

قاعدة الجهاد . . .
الصراع ورياح التغيير
لا إله إلا الله محمد رسول الله
دورة سياسية وعسكرية
(الجزء الثاني)
الثورة . . . الاستراتيجية
جمع وترتيب
سيف العدل - عابر سبيل
محمد صلاح الدين عبد الحليم زيدان

قاعدة الجهاد ..

الصراع ... ورياح التغيير



دورة سياسية وعسكرية

(الجزء الثاني)

(الثورة .. الإستراتيجية)

جمع وترتيب
سيف العدل - عابر سبيل
محمد بن صلاح الدين بن عبد الحليم زيدان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى ..

{ إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَـزَّلَ الْكِتَـابَ وَهُـوَ يَتَـوَلَّى الصَّـالِحِينَ { 196} الأعراف

{ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَـنُ مِنَ اللّـهِ حُكْمًـا لِّقَـوْمٍ يُوقِنُونَ {50} * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ* بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَـوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {51} فَتَـرَى الَّذِينَ فِي قُلُـوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَـرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ {52} وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُـواْ أَهَــؤُلاءِ الَّذِينَ

أَقْسَـمُواْ بِاللّـهِ جَهْـدَ أَيْمَـانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَـالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ {53} يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـواْ مَن يَرْتَـدَّ مِنكُمْ عَن دِينِـهِ فَسَـوْفَ يَـأْتِي اللّـهُ بِقَـوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَـافِرِينَ يُجَاهِـدُونَ فِي سَـبِيلِ اللّـهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِـعٌ عَلِيمٌ {54} إِنَّمَـا وَلِيُّكُمُ اللّـهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُـواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ {55} وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ {56} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـواْ لاَ تَتَّخِـذُواْ الَّذِينَ اتَّخَـذُواْ دِينَكُمْ هُـزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَـاءَ وَاتَّقُـواْ اللّـهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {57} المائدة

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُواْ بَعْـدَ إِيمَـانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْـرًا لَّن تُقْبَـلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ {90} آل عمران

،،، لله .. وللمسلمين ،،،

شكر وامتنان ...

* الشـعب الأفغـاني البطـل الـذي وفقـه اللـه لحمل راية الجهاد في هذا الزمان .. وكـان على قدرها .. ورفع أبطاله رأس الأمة عاليا ..

* الشـــعب الباكســـتاني كنتم خـــير أنصـــار للمجاهدين .. آويتم .. ومولتم .. وجاهدتم ..

* المهنـدس محمـد عطـا ورفاقـه أبطـال 11 سبتمبر .. ما قمتم به يعجز البيان عن وصـفه .. يكفيكم شـــرفاً وعـــزاً وفخـــراً أن رفعتم رأس الأمة عالياً .. وأوجعتم عـدوكم في عقـر داره .. وأعلمتم العالم كلـه بالإسـلام فكنتم خـير وأعـز

دعاة لدينهم .. تقبل الله منكم وأسكنكم فسـيح جناته ..
* أبطال نيروبي ودار السـلام .. أبطـال يـو إس إس كول وجربة .. أبناء الأمـة الأبطـال في كـل مكـــان .. جـــزاكم اللـــه خـــيراً .. وتقبلكم في الصالحين ..
* الشيخ عمـر عبـد الـرحمن وسـليمان بـوغيث وإخـــوانهم الأســـرى في كـــل مكـــان .. الأخت الأســـيرة عافيـــة صـــديقي وأخواتهـــا في كـــل مكـــان .. إخـــراجكم من الأســـر دين في رقبتنـــا ورقبة الأمة .. أبشروا فَـإِنَّ مَـعَ الْعُسْـرِ يُسْـرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ..
* المـــرأة المهـــاجرة والمرابطـــة .. زوجـــات المجاهـــدين وأرامـــل الشـــهداء .. تقبـــل اللـــه منكن .. لقد نصـرتن اللـه ودينـه .. ووقفتن إلى جـــوار أزواجكن .. وحفظتن غيبتهم في الجهـــاد وصبرتن على مشقته وآلامه وآماله .. فجـــزاكن الله خيراً ..
* أبناء المجاهدين والشهداء الذين حملوا الراية من بعد آبائهم .. الجيل الجديد ميراثكم ثقيـل .. فأحسـنوا حمـل الأمانـة .. وأكملـوا مـا بـدأه آبـاءكم .. بـارك اللـه فيكم ونصـركم وأعـز بكم الإسلام ..

* أسـرتي .. زوجـتي وبنـاتي وأبنـائي .. جـزاكم الله خيراً .. هاجرتم وصمدتم وصبرتم .. عشـتم تحت القصـــــف .. وتنقلتم يحفكم الخـــــوف .. وصـــــبرتم على الأســــــر .. لم تتـــــأففوا ولم تعترضوا .. كنتم لي بعد الله خير عون وسـند .. أحسن الله إليكم ..

محمد بن صلاح الدين بن عبد الحليم زيدان

سيف العدل - عابر سبيل

الصراع والثورة

عبر الزمان بين التغيير والترقيع

تمهـــــــــــــــــــــــيد:

تحلم الشــعوب بمـــا فطـــرت عليـــه .. من حريـــة وكرامـة وعدالـة .. وفـق منهج سـماوي بعيـداً عن الخلط البشـري .. لكن هـذه الرغبـة ضـلت دربهـا خلال مسيرتها عـبر الزمـان .. فالطبيعـة البشـرية بمـا غـرس فيهـا من متناقضـات النفس .. إضـافة إلى وسوسـة إبليس وذريتـه .. فعملـوا على إتلاف الخـير في النفـوس وإفسـاد الفطـرة السـوية .. واستعانوا بالشهوات والشبهات .. وحاربوا بها أهل الإيمـان .. فمـا دار الزمـان دورتـه إلا وأنكـر من سلف حال الخلف ..

هكـذا مضـت سـنة اللـه في خلقـه منـذ الصـراع الأول .. في السماء .. ففساد الطبع والحسد هيجا إبليس على آدم .. وعلى الأرض .. عمـد إلى ابـني

آدم فـأغري بينهم الحسـد فسـال الـدم البشـري الأول .. وسن القتـل .. وذهب يعبث بفكـرهم ومـا فطـروا عليـه .. حـتى إذا انحـرفت ذريـة آدم عن عقيدة أبيهم .. أرسل الله الرسل لإصلاحهم وسـن لهم ما يقيم اجتماعهم من شرائع.

المعانــدون الرافضــون لمنهج اللــه في القــرون الأولى .. أخــذهم اللــه فكـان الطوفـان والـريح والصـــيحة والـــزلازل والغـــرق والخســـف والمسخ ...الخ ..

فما بـال هـذه القـرون؟ .. اتخـذ إبليس من ذريتـه وذريـة آدم ممن اتبعـوه جنـداً ينصـر بهم باطلـه .. واتخـــذ الحـــق جنـــده من المؤمـــنين .. وتـــوالت الصراعات بين الحق والباطـل .. وتصـارعت ذريـة آدم .. وتلفت عقيـدة كثـير من النـاس .. وانتشـر الدم الطاهر يروي الأرض ففسدت .. فخيم الظلم بظلامه وقلت البركة .. وتحـول الصـراع في بقـاع أخــرى عن العقيــدة إلى الــثروات .. واســتمر .. وتنــوعت أســبابه تبعــاً لجشــع القــائمين عليــه .. وارتوت الأرض بمزيد من الدماء .. ولم تشـبع ولن تشبع بطون الظالمين .. ولا نفوسهم ..

ولإيقاف الصراع بين الأمم ابتـدع البشـر لأنفسـهم مبادئ وقيم بعضها شيطاني .. وبعضها به بقايا من الفطرة يتحاكمون إليها .. واستمر الصراع .. لأنهم كما حرفوا منهج الله انحرفوا عن بدعتهم ..

واسـتمر الصـراع بين العقائـد .. وعلى الـثروات .. وحســب الأطمــاع .. فكلمــا اغتصــبت أمــة حــق

أخرى .. أو نما طاغية مستبد .. أو انحرفت الذريـة عن مبادئ الآباء .. ثارت عليهم الشعوب .. فظلت الثـــورات مســـتمرة .. والحـــروب مســـتمرة .. والصـراع مسـتمر .. حـتى يـرث اللـه الأرض ومن عليها ..

ولأننـا الأمـة الخاتمـة فلن ينقض الإسـلام دفعـة واحـــدة .. ولن يعـــدم النـــاس من يعيـــدهم إلى منهجهم .. ولكن إلى الـوقت المعلـوم .. والجهـاد مـاض إلى يـوم القيامـة .. وتوقـف الجهـاد معنـاه هلاك الأمة .. وإيذان بالقيامة ..

ولن تعود البركة إلى الأرض إلا بسلامة العقيـدة .. وجهاد المعاندين للـه الرافضـين لدينـه .. والقضـاء على الظلم وأهله .. فعلى الأحرار المؤمنين جهـاد العـــدو الصـــائل من أجـــل عقيـــدتهم وشـــريعتهم ومقدراتهم وسعادة أجيالهم القادمـة .. أمـا العبيـد التائهين فعليهم أن يرزحوا في الـذل ويزحفـوا في الظلام؛ ولينتظر أتباع كل مسيح مسيحهم ..

***

تقـــوم الثـــورات على المغتصـــبين المحتلين أو وكلائهم الخـــائنين .. وعلى الحكـــام الظـــالمين .. وعلى منـاهج الحكم الفاسـدة .. وعلى مؤسسـات الدولة المنحرفة .. وحتى على التجار الجشـعين .. هـذه المنظومـة "المحتـل .. الوكيـل .. الحـاكم .. المنهج .. المؤسسات" يطلق عليها اسم النظام .. نظام الحكم .. قد تجتمع كلهـا في دولـة واحـدة .. وقد يجتمع البعض منها .. أو حتى صورة واحـــدة ..

وكلهم صائل على الآمنين مستحق للـردع باتفـاق الأمم كلهـا .. وبـالفطرة السـليمة .. وبالنصـوص الشرعية ..

الأنظمة الحاكمة وفي كافة الدول بلا استثناء .. أياً مـا تكـون نظريـة الحكم القـائم فيهـا (وراثي .. ديمقراطي .. اشتراكي .. شيوعي) .. تسـعى إلى تحقيـق الاسـتقرار والاسـتمرارية لفلسـفتها .. ولضـمان ذلـك تهـيئ مؤسسـات الدولـة وتوظفهـا لتخـدم فلسـفتها بـإخلاص .. وتجتهـد في وضـع سيناريوهات الخطر التي تنقضها .. وتبتكر الخطط التي تجهض أي سـيناريو .. فمؤسسـات أي نظـام تـربى وتنظم لتقـاوم التغيـير .. وبشراسـة .. وبمنتهى العنف ..

العمل الثوري يتحرك للتغيير .. فهـو يزيـل مـا هـو قائم ويحل منهجـه مكانـه .. العمليـة التغيريـة هي بين الهـدم والبنـاء[1] .. الـترقيع[2] ليس من أعمـال الثـورة .. ولا من سـبل التغيـير الحضـاري .. هـو

[1] الهدم والبناء هنا ليس للأبنية والمدن .. ولا تتعلق بالطوب والرمال والاسمنت .. وإنمـا للنظريـة ورجالهـا .. للعقيـدة الفاسـدة وأصـنامها .. فتنقضـها وتـدمرها .. ثم تضـع أسـس حضـارتها .. وتقيم نظريتهـا تحت قيادة رجالها .. رجال العقيدة الجديدة ودعاتها ..

[2] المرقعون هم جزء من النظام القائم .. وهم على أصناف كثيرة جداً .. صنف يرغب في بقاء النظـام كمـا هـو ولكنـه يـرفض بقـاء رأس النظام لأنه استشرى وأهله في الفسـاد واسـتأثر بالسـلطة .. صـنف لا يهتم بمن على رأس النظـام ولكنـه يـرغب في إجـراء بعض التعـديلات الدستورية أو الإصلاحات الاقتصادية أو الاجتماعيـة .. صـنف يـرغب في أن تسود طبقة على طبقة وتستأثر بـالحكم وتكـون مطالبهـا في مزيـد من إجـراءات القمـع والقهـر وهـو أسـوأهم وأكـثرهم ظلمـاً .. وهنـاك أصناف أخرى ولكن خلاصة فلسفتهم " **أن مهمتهم هي في داخـل النظـام وليسـت على النظـام**" .. لأن بقـاؤهم وبقـاء مصـالحهم مرتبطة ببقاء النظام .. هؤلاء هم المرقعون ..

وسيلة ترميم ما هو قائم .. ربما ينفعه وربما يزيد من الخرق ..

من أجل إقامة الدولة الجديدة أو النظام الجديد فإن عملية التغيير تتم في وعلى ثلاث مجالات .. لكل مجال منها برنامجه .. التغيير يتحرك في **الشعب** ليلبي طموحه .. ويحقق أحلامه .. والتغيير يتحرك على **النظام** الظالم أو **المحتل** المغتصب ليسحقه ويسقطه برجاله ويقيم نظامه .. كما يتحرك على **المؤسسات** ليهدمها ويبني مؤسساته .. ويدعمها بالصالحين من أبناء أمته المؤمنين بعقيدته .. والعاملين بها .. سواء كانوا من رجال التغيير الأبطال أم ممن يحبونهم ولا يقون على تغيير المنكر إلا بقلوبهم ..

الثورة تعمل في الشعب:

فتعلمه (ليدرك حقوقه ويطالب بها) .. وتكسبه (إرادة التغيير فيضحي بطيب نفس) .. وتعرفه (على طرق التغيير ووسائل كل نوع) .. وتلقنه (ما يرد به شبهات دعاة النظام) .. وتحصنه (من حيل وأساليب خداع النظام) .. وتعده (لتحمل رد فعل النظام العنيف) .. وتمده (بوسائل إقامة نظامه وحمايته) .. وتقيم (في نفسه القدوة التي تنقاد لها الجموع وتستمر منارة للأجيال) .. وهي عملية تربوية حركية متطورة لا جمود فيها .. حتى تحقق التغيير .. وتلبي طموحات شعبها ..

***

الثـورة تعمـل على النظـام (الحـاكم المسـتبد أو المحتل أو وكيله):

المناهج المختلفة تلد نظم مختلفة .. في السياسة والحكم والاقتصـاد .. وبالتـالي تـؤثر في المجتمـع وثقافتــه .. والتعــايش بوئــام محــال بين منهجين متناقضتين دون أن يعلوا أحدهما الآخر ويخضـعه .. وما بينهما ليس تنافس أو تسـابق وإنمـا صـراع بلا هـوادة .. وبالتـالي .. فالصـراع من أجـل إسـقاط[3] أحدهما حتمي وليس اختياري ..

ليس هناك سابقة في التـاريخ تفيـد بـأن نظـام لـه رؤيته العقدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعيـة قبل بطيب خاطر أن يتنـازل عن الحكم لنظـام لـه رؤية مناقضة .. كما لا توجد سـابقة - ولا يعقـل أن توجد - في إدارة الدول أن يتم تغيير نظرية الحكم كل أربع سنوات مـع كـل انتخابـات جديـدة .. أربـع سـنوات لبراليـة .. ثم أربــع شــمولية .. ثم أربــع اشتراكية .. ثم أربع إسـلامية .. هـذه ليسـت دولـة ولا حضـارة هـذا كلام فـارغ .. في أمريكـا مثلاً مـا الـذي يحـدث عنـدما يتسـلم حـزب من آخـر؟ .. لا شيء .. فهذا ليس تغيـير هـذه إدارة للدولـة ولكن

[3] لا تسقط الأنظمة بالعمل السياسي الذي يضعه النظام (الانتخابات والبرلمانـات) هـذه ليسـت سـبل تغيـير وإنمـا سـبل تعبـير .. العمـل السياسـي يضـمن تبـادل السـلطة في إطـار نظـام وفلسـفة عقديـة واحدة .. أما في حالة العمل لإحلال نظام محل نظام آخر وبمعنى آخــر عقيدة محل آخرى فلا بد من وسـيلة تغيـير إمـا سـلمية أو عنيفـة .. ولا يمكن تغيير الأنظمة بدون دماء .. تزيد وتنقص بحسب شراسـة النظـام الحاكم في الدفاع عن نفسه .. وخطط المقاومـة والخـداع الـتي يـدافع بها ..

بإستراتيجية[4] مختلفة أو تكتيك مغاير .. وكلاهما نابع من منهج حضاري واحد .. والثورة ممكنة حتى في داخل المنهج الواحد عندما يفنى المؤسسون .. ويرث الأنظمة جيل جديد يتحرر من قيمه ومبادئه ومعتقداته .. ويتنكر لها .. ويحرفها .. ويفسدها .. فعليهم تدور الدائرة ..

ولأن النظام أي نظام سيعمل على تثبيت أركانه بما في الوسع وفي سبيل ذلك يعمل على إجهاض أي محاولة للانقلاب أو الثورة عليه .. والنظام أي نظام سيقاتل ويحارب[5] أي خروج عليه بأي فلسفة أو عقيدة كانت .. والنظام أي نظام سيعتقل ويعذب ويستحل دماء وأعراض وأموال المتمردين عليه .. ولذلك فإن النظام أي نظام عند قيامه يعمل على تأمين استقراره .. ويحافظ على استمراريته .. من خلال:

---

[4] وفي كثير من القضايا تكون متشابهة جداً إلا في بعض التفاصيل البسيطة .. والتي لا يؤثر انتقال السلطة من حزب لأخر فيها على نظام الدولة .. ولهذا لا يرجوا العقلاء من أبناء الأمة أن يَرد للمسلمين خيراً منهم .. سواء كان اسم الحزب ديمقراطي أو جمهوري .. أو العمال أو المحافظين .. أو من فرنسا أو من ألمانيا .... الخ

[5] بمخالفته المبادئ التي قام عليها .. وانقلابه على أسس نشأته .. وترديه في منهجه الأخلاقي .. وانحرفه عن مساره الطبيعي .. وبالتالي افتقر إلى الحجة الدامغة التي لا تقوى على مواجهة المثل العليا .. وأخطر الحجج وأشد المناهج عليه هو المنهج الإسلامي وقوة حجته .. وعليه: فلا عوض عن الحرب لإسكات الحق وإخفاء الحقيقة .. ولا مكان للشرفاء وأصحاب القيم والمبادئ إلا في غياهب السجون .. ولا سبيل لبقاء النظام واستمراريته إلا بإفساد شعبه وإضلاله .. فإن نجح ببلوغ هذه الغاية فلا حاجة للتغيير .. فكلهم فاسدون .. ويبقى الأمل معقوداً على الجيل الجديد .. الراغب في حياة نظيفة تناسب أحلامه وطموحه ..

- فـرض أيدلوجيتـه على كافـة شـرائح المجتمـع .. وبكافة الأدوات من السينما إلى القمع ..

- تقويـــة الســـيطرة الاقتصـــادية للقـــائمين على السلطة .. وبكافة السبل من النصب إلى القهر ..

- الــدفاع عن النظــام الحــاكم وقيادتــه .. وبكافــة الوسائل من دار الإفتاء إلى دبابات الجيش ..

وخلاصـة مـا سـبق أنـه لا بـد من إسـقاط النظـام ووضع نظام جديد .. وهذا هو جوهر الثـورة .. فهي عملية انقلابية على ما هو قائم لإقامـة مـا تريـد .. وبالتــالي لا بــد من وســيلة للتغيــير .. فتُفاضــل الشـعوب بين سـبل التغيـير المختلفـة .. وتختـار طريقــة التغيــير المناســبة لخصائصــها النفســية ولطبيعــة أرضــها .. انتفاضــة شــعبية (ســلمية أو مسلحة) .. حرب عصابات (طويلة أو قصيرة) ..

الثورة تعمل (على وفي) المؤسسات:

تنظر في أمرها فما كان فيها فاسد لا يصلح أزالته .. وما كان منها صالح إلا أنه فاسد الرجـال أزالتهم وحــاكمتهم وحاســبتهم وعــاقبتهم .. ووضــعت من رجالهــا مــا يقيم المؤسســة .. ووفــق رؤيتهــا ومرجعيتها تضع لها نظرية وبرنامج عملها ..

فلو نظرنا لمنظومة الأمن مثلاً لوجدنا أنها فاســدة في منهج التربيـــة .. وفاســـدة في اختيارهـــا .. وفاســدة في التطــبيق .. وفاســدة في المهمــة .. وفاسدة في رجالهـا الكبـار والصـغار .. وفي كافـة أفرعها ..

فإذا كانت محصـلة منهج التربيـة ونتيجتـه الحتميـة هو التعـالي على أبنـاء أمتـه وإذلالهم .. وإذا كـانت تقبل أعضائها الجدد من أبناء العاملين بها حتى لـو كانت نسبة نجاحهم دليل على عمق غبـائهم ورغم ذلـك تقـدمهم على أبنـاء الأمـة المتفـوقين .. وإذا كـانت تعمـد إلى اسـتخدام المجـرمين والشـواذ والساقطين وتقـوم بتلفيـق التهم وأسـر الشـرفاء والأبرياء .. وإذا كانت مهمتها حماية النظـام وأمنـه بدلاً من أمن المجتمع وحفظـه .. وإذا كـان رجالهـا يتكسـبون من الرشـاوى ويتـاجرون في الحـرام .. وإذا كـانت أفرعهـا لا هم لهـا إلا إفسـاد المجتمـع والتجسـس عليـه وقتـل الغـيرة والنخـوة ومعـاني العزة والكرامة .. فهكذا مؤسسـة لا مسـتقبل لهـا مع الثورة .. والواجب كما أسلفت بالنسبة للرجال يتم عزلهم ومحـاكمتهم ومحاسـبتهم ومعـاقبتهم .. وبالنسبة للمؤسسة يقيمها الثوار حسب مرجعيتهم وشـــريعتهم ورؤيتهم لـــدورها في الأمـــة .. أمن وسلامة المجتمع .. تتلافى الأخطـاء الـتي ارتكبتهـا في المنهج والاختيـــار والتطـــبيق والمهمـــة والرجال ...الخ ..

وكــذلك تفعــل الثــورة ببــاقي المؤسســات[6] الفاسـدة .. تزيـل الفسـاد المنهجي والبشـري .. وتقيم المنهج الصالح .. وتنتخب لها الصـالحين من أبناء الأمة كل في تخصصه ..

عادة ما تبدأ عمليـات التغيـير بثـورة سـلمية .. تبح حنــاجر أبنائهــا بطلب العيش والحريــة والعدالــة الاجتماعيــة .. سـرعان مـا تقمـع وبمنتهى العنـف والقسوة .. وبكافة وسائل البطش والقهر .. وبكل أساليب الذل والاحتقار .. وربمـا بالخـداع والعنـف معاً .. فتُقهر وتذبل ..

لكن الـدماء الـتي سـالت ترويهـا وتغـذيها فتحيـا .. وسـرعان مـا تعـود وقـد خـبرت عـدوها وتهيـأت لمقارعته .. أيضـاً بكـل طـرق التغيـير العنيفـة من الانتفاضة المسلحة إلى حرب العصـابات .. عنـدما تعـود تـأتي مفتقـرة لمعـاني الرحمـة والعفـو مـع النظام الذي استباحها وقهرهـا .. تعـود وقـد ألقت

[6] أكثر المؤسسات فساداً في هذا العصر هي المؤسسة العسكرية .. ولقد خفا دورها عن كثير من الناس .. تبعاً لمـا أعـدت لـه .. ولكن بعـد الانتفاضة المصرية "ينـاير 2011" والانقلاب العسـكري "يونيـو 2013" عـرفت الشـعوب الإسـلامية حقيقـة مؤسسـاتها العسـكرية وتاريخهـا المشـبوه .. فقـد قـامت بريطانيـا وفرنسـا في أواخـر عهـد الخلافـة العثمانيـة ببنـاء المؤسسـات العسـكرية لبعض الـدول الإسـلامية وعلى رأسها مصر .. كما أقـامت بريطانيـا كلا من الكيـان السـعودي والكيـان اليهـودي .. وورث الأمريكـان الإنجلـيز .. ولازال أبنـاء الملـوك والأمـراء يرسلون إلى الدراسة في الجامعات العسكرية في بريطانيا وأمريكـا .. وكذلك ترسل باقي الـدول قـادة العسـكر إليهمـا .. ويصـهر كلاهمـا في بوتقة العدو لتحقيق ما حشا به عقولهم .. وربما أيضـاً عمـق من نقـاط ضعفهم البشرية بإسقاطهم في بعض الفضائح المفيدة لهم مسـتقبلاً .. فهم رفقـاء سـلاح أو فضـائح .. فلا عجب إذن عنـدما يتحـالف الملـوك والأمراء وقادة الجند على شعوبهم .. هم العدو .. فالذي ربـاهم وثقفهم وغرس فيهم عقيدته .. هو العدو ..

بكل الرقع والمرقعين خلف ظهرها .. تعود لتقلع شجرة الباطل من جذورها .. فتحرقها بكل فروعها ولآخر ورقة نمت عليها .. تعود لتغرس شجرتها هي .. الشجرة التي ارتوت وترتوي بالدماء .. الذين يقطفون ثمرتها .. أبنائها الواعيين المخلصين الذين لا يدعون الثمرة تسقط في الأيدي الخبيثة .. أيدي المتاجرين والمرابيين بقضيتهم ودمائهم ..

وخلاصة القول أن الثورات تقوم للتغيير لا للترقيع .. .. الثورات تنطلق لتهدم وتبني الإنسان وتقيم العقيدة .. الثورات تعمل على التغيير في نظم الاقتصاد والحكم والمجتمع .. ولا يمكن تصور حدوث تغيير أو تحول للمجتمع دون كفاح مسلح .. ولا يوجد احتمال لاستسلام النظام دون مقاومة مسلحة .. كما لا يوجد احتمال أن يُهزم النظام دون اللجوء إلى الحرب المضادة للثورة ..

الدرس الذي يُتَعلم بالدماء لا ينسى .. ويروى ولا يطوى .. تخطه يد الكتاب تاريخاً يفتخر به الآباء .. وينظمه الشعراء ليتغنى به الأبناء .. وتبقى تجربة مجيدة تتوارثها الأجيال .. وتدوم ذكراها في سجل البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

***

وأحب في هذا السياق أن أهدي نصيحة صغيرة لإخواني المجاهدين في ليبيا خاصة وباقي العالم عامة .. انتفاضتكم لها خصوصيتها إلا أنها تتشابه في الجملة مع التجربة الروسية الثانية في مطلع

القرن المنصرم .. فعليكم بدراستها واستخلاص ما بهـا من نتـائج عسـى اللـه أن ينفعكم بهـا .. وقـد أوردت في نهاية الكتاب الثـورة الروسـية 1905 و 1917 والحرب الأهلية ..

***

ملاحظة عامة:
إذا امتطى التيـار الإسـلامي صـهوة ثـورة لم يخطـط لها .. عليه أن لا يطالب الشـعب أثنائهـا بمطالبـه هـو بـل عليـه تفهم المطـالب المشـتركة بينهمـا .. فربمـا تحركت الرغبة الشعبية من أجل إحلال شخص مكـان آخر فقـط .. ولا يـرى في بـاقي النظـام بـأس .. هنـا يكـون التيـار في ورطـة حقيقـة على مسـتوى الـدين وعلى مستوى السياسة .. فقبول الشعب لهم نبع من ثقته في أمانتهم وعدالتهم الشخصية وليس رغبـة في منهجهم[7] .. وبالتـالي فـإن عناصـر النظـام الـتي لهـا عمـق بـيروقراطي وقبـول دولي سـتكون منـافس وبضـراوة على السـلطة .. فعلى التيـار الإسـلامي الصادق أن يدرك أن ما هـو فيـه خطـوة على طريـق التغيير .. وأمامه طريق طويـل جـداً فهـو بحاجـة أولاً: إلى حشـد كـل طاقتـه الدعويـة من أجـل أن يمـارس برنامج تثقيفي شـرعي سـريع للشـعب يسـتعين فيـه بالعلماء المخلصين .. من أهل القبلة من أمة لا إله إلا اللـه .. بعيـداً عن التعصـب المـذهبي أو المنهجي .. فالسلفية منهج لا مذهب .. ومراعـاة مـذهب الشـعب مهم في هــذه المرحلــة التثقيفيــة .. واللــه أعلم بالصواب ..

---

[7] يغلب على ظني أن هذا هو الوضع في تونس ..

أما ثانياً: فعليـه العمـل على إعـادة النظـر في منـاهج التعليم للمعاهــد الدينيــة وبرامجهــا وبــرامج عمــل الخريجين بعد ذلـك في حقـل الـدعوة ودعمهم ماديـاً ومعنويــا لغــرس هيبتهم واحــترامهم في القلــوب .. وإعطائهم مساحة كافية على وسائل الإعلام ..
وثالثاً: العمل على ترسيخ المحاكم الشرعية ومحاربـة المحاكم الـتي تحكم بـالقوانين الوضـعية .. ومهاجمـة هذه القوانين وعدم الرضـا بهـا أو قبولهـا .. وإسـقاط سلطانها من القلوب .. ورفـع الضـرائب عن الشـعب وأخذ الزكاة ..
رابعاً: النظر في باقي مؤسسات الدولة فيتم القضـاء على ما مخالف للشريعة ومنـاقض لإسـلام .. وتقـويم وإصلاح ما به انحراف أو خلل .. والعمل على أن تدير أعمالها على أسس إسلامية سليمة
خامسـاً: النظـر في أمـر النـاس خاصـة أولئـك الـذي أفسدهم النظام السابق وأتلـف ذممهم والعمـل على إعادة تأهيلهم لإصلاح آخرتهم بصلاح دنياهم .. وكـذلك النظـر في أهـل العقائـد الأخـرى الـذين يعيشـون بين المسلمين من نصارى أو يهـود وتجديـد عهـد إقـامتهم في الدولة وفق شـروط ترضـي اللـه بحسـب قواعـد الإسلام وسماحته وما يناسـب هـذا الزمـان .. وتحـدد نشاطاتهم وفق ما يناسب المسلمين ..
سادســاً: العلاقــات الخارجيــة مــع بــاقي الــدول أو الإمــارات الإســلامية يجب أن يســودها روح التعــاون والاجتماع للوصول لهـدف أسـمى وهي الوحـدة تحت مظلة الخلافة الجامعة بعيداً عن الطموحات والأوهـام الشخصـية .. أمـا مـع الـدول الكـافرة فيجب إعـادة النظر في التواجد الدبلوماسي ووضع الحدود والقيـود المناسـبة لضـبط العلاقـات الـتي يفرضـها الواقـع ..

وتنظيم حركة التبادل الاقتصادي بما ينفع .. وكذا باقي الارتباطات والعلاقات تتم وفق رؤية شرعية سليمة تهدف لنشر الدين وفق إستراتيجية قوية وجدية ..

هذه النقاط تسير متوازية لا متوالية .. وهناك نقاط أخرى لا يتسع لها المقام .. وأهل كل ميدان أعلم وأدرى بخصوصية تجربتهم وما سقته لا يخرج عن كونه توجيه عام قابل للنقاش يَرِد عليه الخطأ والصواب .... والله أعلم بالصواب ..

وأخيراً هذه العملية تحتاج إلى قدر كبير من الحكمة والحلم .. وبشكل عام يغلب على ظني أن نتائج حرب عصابات أو ثورة أعد لها وأنشأها ويقودها تيار إسلامي تسهل من عملية تطبيق الشريعة بعكس القيام بحرب أو ثورة تشترك فيها عناصر أخرى لا تنسجم مطالبها مع الشريعة .. وترغب في أن تكون انعكاس لصورة الحياة الغربية بما فيها من انحلال وحرام ..

***

في هذه المحاضرات نتناول تحرك الشعب للقيام بالثورة (السلمية - المسلحة) .. ومقاومة النظام لها (الثورة المضادة) .. ثم ننتقل إلى الإستراتيجية ونبحث فيها .. ثم نعرج على بعض المفاهيم الشرعية[8] التي أصبحت متداولة في دولنا الإسلامية وحتى لدى المطلعين والمتابعين من غير المسلمين .. ومن كثرة تناول الإعلام لها وتناقلها على ألسنة الناس .. انتشرت وانتفت الجهالة بها ..

وأخيراً نحط رحالنا مع خلاصة ما تقوم منه وله وعليه الثورات .. لنتبين أي الثورات يمكنها أن تدوم .. وأيها عمرها

[8] نعرج عليها كمقتطفات وليس أبحاث نأخذ الخلاصة .. ومن أراد الزيادة فالمكتبة الإسلامية عامرة بهذه الموضوعات .. كتباً وكتيبات وأبحاث ..

من عمـر مؤسسـيها وربمـا أقـل .. ونعـرض لبعض التجـارب الثورية سـواء السـلمية أو المسـلحة .. لـنرى عمـق وحقيقـة التجربة .. والشخصيات التي كانت أعمدة لثورتهـا .. وضـحت بوقتها ومالها وصـحتها من أجـل مـا آمنت[9] بـه .. ونجحت في أن تحظى بـالقبول والرضـا الشـعبي .. فهـزمت عـدوها .. وتفـوقت على منافسـيها .. وصـاغت دولتهـا وصـبغة شـعبها بمنهجها .. فالثورة وسيلة لا تعرف الترقيع .. والمنهج أسلوب حياة لا يعرف المشاركة[10] .. وإذا كان التغيير هدفه هو رضـى اللـه فعـدوك هـو كـل من حمـل رايـة للكفـر .. أو اصـطف معهم[11] ينصـــرهم ويـــدعمهم .. وآخـــرين يبطنـــون مـــا لا يظهرون .. وغـيرهم خـائفين أو مسـالمين .. وتكمن الحكمـة في ترتيب الأولويات وطرق التعامل أو المواجهة ..

فإذا أنهينا ذلك تحضرنا لرحلة جديدة مـع الكتـاب الثـالث في هذه السلسة .. وموضوعه حرب العصابات ..

***

في الثقافة الثورية

(1) محــاضرة في الثــورة

---

[9] الإيمان والاعتقاد هنا وفق رؤيتها هي .. ووفق أسس قد تكون أرضية أو سماوية .. والمهم هنا ما فعله إيمان هؤلاء بهم حتى قـدموا أرواحهم فداء لما يؤمنون .. وهذه الروح (الفداء والتضحية) هي الـتي يفتقـدها التيـار السـلفي العلمي الـذي يعمـل منعـزلاً عن الطمـوح وتحت رضـا وقبول أجهزة الأمن ..

[10] الإسلام لا يقبل المشاركة في نظام الحكم ولا في التشريع .. ولكنه لا يمنع من أن يحيا في ظلاله من يخالف عقيدته من أهـل الكتـاب ومن على شـاكلتهم .. وفـق شـروط تضـبط إقـامتهم ونشـاطهم .. وتضـمن للمسـلمين سـيادة عليهم .. قـال تعـالى: {وَلَن يَجْعَـلَ اللّـهُ لِلْكَـافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً {141} النساء ..

[11] حتى لو زعموا أنهم مسلمون أو أنهم حماة العقيدة وخدام المقدسات ..

الثـورة: تحـرك شـعبي لإحـداث تغيـير جـذري في نظـــام الحكم والنظـــام الاجتمـــاعي والنظـــام الاقتصادي .. بإسقاط الطبقة الحاكمة ومؤسساتها ومحاسبتهم .. ويتحقق ذلك بوسائل سلمية وعنيفة .. ثم .. إحلال نظام جديد محـل النظـام القـديم .. وبنــاء بيئــة اجتماعيــة وثقافيــة جديــدة .. وتقــديم برنـامج اقتصـادي طمـوح يضـمن تكافـل الشـعب ويلـبي مطالبـه .. وإعـداد أدوات ووسـائل تضـمن الحفاظ علي روح الثـورة وتـأمين مسـيرة النظـام الجديد ..

فالثورة تقوم لرفض قهر لا يمكن احتماله (سـواء كـان هـذا القهـر: عقائـدياً .. أمنيـاً .. اقتصـادياً .. سياسياً .. اجتماعياً .. عسكرياً .. استعمارياً حقيقياً أو بالوكالــة) وتجســيد هــذا الــرفض بالعمــل الجمـاهيري المباشـر والمنظم .. مسـلحا كـان أو بدون .. في سـبيل التخلص من القهـر وبنـاء حيـاة أفضل.

نلاحظ من التعريف السابق ست عناصر أساسية:

1- التغيير الجذري كلمة يستنبط منها القارئ ثلاثـة نقـــاط: الأولى: وجـــود نظـــام قـــديم لـــه منهج وممارسات فشلت في تلبية رغبـات الشـعب أو لا تتوافق مع رغباته .. أو نظـام يخـدم طبقـة واحـدة ويستعبد باقي الشعب لها .. ويسـلبه حقوقـه .. أو نظام يستأثر بالمال والسـلطة ويبقي شـعبه لاهثـا حول متطلبات حياته وطموحاته .. والنظام يتشكل من القيادة وحزبها والكتلة البيروقراطيـة (الدولـة العميقة) والمؤسسات غير الرسـمية المواليـة لـه

سـواء كـانت دينيـة أو اجتماعيـة أو اقتصـادية أو سياسية ..

الثانيـة: وجـود برنـامج جديـد اقتصـاديا وسياسـيا واجتماعيا .. يتحرك به الشـعب لتحطيم ومحاسـبة النظـام القـديم بكـل برامجـه ورمـوزه .. وبالتـالي سيكون هناك نظام سياسي واقتصادي جديـدين .. كما سيظهر على السطح شكل اجتماعي وثقـافي جديد .. وسـيتم إدارة علاقاتـه المحليـة والإقليميـة والدولية وفق نظريته .. هذه النظام يلبي طمـوح الشـعب وينـدفع بـه للأمـام تماشـياً مـع التطـور الطبيعي والتاريخي للشعوب الحرة .. وهو بالتـالي يدفع بعجلة التطور الإنساني .. في إطار المنافسة البشرية الحرة في العالم ..

الثالثة: "الثورة تغيير للنظام .. الإصلاح تغيير داخل النظام" .. لا يمكن التصالح أو الإصلاح مـع النظـام القديم ورموزه وبرامجه في الثورات .. لأن الثورة تقـوم على أسـاس التغيـير الجـذري لا الـترقيع والإصـلاح .. فـالترقيع والإصـلاح يتم تنفيـذهما من خلال النظام الحاكم فلا يحتاجان إلى ثورة بـل إلى برنامج إصلاحي يتقبله وينفذه النظام الحـاكم وقـد يرفضه .. ومع سقوط الشهداء فإن المصالحة مـع النظام القديم هي خيانة لهذه الدماء .. وفي حالـة افـتراض جـدلي فـإن المصـالحة مـع النظـام تولـد حالة من الإحباط واليأس لدى الشعب الـذي قـدم الشهداء والمال تحتاج إلى عقود لعلاجها وهـذا مـا حدث في تجربة طاجيكستان ..

2- المحاسبة: تعني وببساطة **محاكمة** رموز وكوادر النظام السابق ومؤسسات الدولة العميقة .. على ما قاموا به من جرائم في حق الشعب .. أو ما تسببوا فيه من إفساد أو سرقات لمقدرات البلاد .. أو بسبب تبعيتهم وعمالتهم أو وكالتهم لدولة الاستعمار ورعاية مصالحها على حساب مصالح الشعب ومستقبله .. ثم .. **استيفاء** الحقوق منهم فيرد ما سلب ويعوض عما اتلف .. ويقتص فيما لا يمكن رده أو تعويضه .. ثم .. **معاقبتهم** على ما كان منهم كل بحسب جرمه .. سجناً .. أو قتلاً: رجماً أو قصاصاً .. وعادة ما تكون المحاسبات دموية بسبب تغول النظام السابق في دماء الأبرياء .. فالثورات لا تعرف الرحمة لأن الثائرين لم يحظوا بها من النظام السابق .. وإن كان يتحتم عليها العدل .. ويتم ذلك من خلال محاكم ثورية تم إعدادها أثناء الثورة ولديها كافة الوثائق عن فظائع وجرائم النظام ورموزه ..

3- العنف: سمة أساسية في الثورات .. فالعادة أن تبدأ الثورة بالوسائل السلبية التي تزعج النظام .. مثل الإضرابات والاعتصام والمظاهرات والاضطرابات والشعارات التي تمثل مطالب الثوار .. إقامة المتاريس والحواجز .. قطع الطرق .. تعطيل القطارات .. شل حركة المواصلات .. تعطيل المؤسسات الحكومية والمحاكم والوزارات .. ومع قيام القوى الأمنية بقمع الوسائل السلبية .. ومحاولة قتل الثورة في مهدها .. وتغول هذه القوى الأمنية في الدماء بغية قهر

الثوار .. تستفيد القوة الثورية من حماقات الأمن في تسريع النضج الثوري .. وتهيئة الأوضاع في البلاد للانفجار .. وعند لحظة الانفجار الثوري .. يندفع الشعب لاستخدام القوة لحسم النزاع مع النظام ومؤسساته العميقة .. يمارس الشعب القوة بأعداد كبيرة بل بأكبر عدد من راغبي التغيير .. ويوجه عملياته لتشمل كل أنحاء البلاد .. وفي توقيت واحد لضمان تفتت القوة الأمنية وإنهاكها وسقوطها .. وفي حالة تدخل الجيش بقمع جنوني .. وكان هذه الجيش عقائدي أو جيش أقلية حاكمة .. فالشعب يستخدم كل أشكال العنف بحسب ما تحولت إليه ثورته (حرب العصابات .. الانتفاضة المسلحة .. التمرد في صفوف الجيش والأمن .. .. هجوم الجماهير على المؤسسات العامة .. الحرب السرية: الألغام والمتفجرات والاغتيالات لرؤوس النظام ...الخ) ..

4- البناء: هو إقامة النظام الجديد خلفاً للنظام السابق .. والشروع في تنفيذ عملية التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي .. فالثورات قامت وتحركت بعقيد تغيرية تختلف بحسب نوع الثورة .. فالثورة تهدم لتبني .. مثلاً: العقيدة البرجوازية واللبرالية قامت لهدم وإسقاط النظم الملكية والحكم المستبد لتبني نظام رأسمالي برجوازي وحكم ديمقراطي ليبرالي .. أما العقيدة الاشتراكية فقامت لهدم النظم السابقة لتبني نظام اشتراكي مع حكم ديمقراطي وفق مفهومها الخاص بالاشتراكية .. أما العقيدة الإسلامية

فقامت لتهـدم النظم السـابقة ولتبـني نظـام على أساس التوجيهات السماوية في الأبعـاد السياسـية والاقتصـــادية والاجتماعيـــة أي نظـــام رأســـمالي تكـافلي مـع حكم إسـلامي في جوانبـه السياسـية والاجتماعيـــة والثقافيـــة وفي نظمـــه الماليـــة والأمنية ..

عندما تستقر هذه المرحلة تتحول الثورة إلى دولة .. والخوف عليها أن تفقد روح المبادئ التي نشأت عليها فتفقد طهارتها وتعمل وفقا للمصالح الماديـة .. ممـا قـد يـؤدي مـع طـول الزمـان لجمودهـا .. وحاجتها لثورة جديدة ..

5- التجديد: لا يمكن لبرنـامج الثـورة أن يقـف بـل عليـه أن يسـتمر ناشـطا مرنـاً لمواجهـة تغـيرات وتعقيـدات الحيـاة ومسـيرة العمـل السياسـي والاقتصـادي والاجتمـاعي .. على مسـتوى الخـارج والداخل .. فالدولة لا تحيى معزولـة على الكـوكب عن موازين القوى المحلية والإقليمية والعالميـة .. والمؤامرات التي يبتكرونها لاستعادة النظـام مـرة أخرى .. كمـا أن المجموعـة الحاكمـة في مسـيرة حكمها إن لم تفرخ قيادات ذات قدرة على الابتكار والخيال تتجمـد على حالتهـا الأولى وتخلـق فقاعـة تتحصن فيهـا وتـرفض التطـور .. لا بـد من تحطيم الفقاعـــة باســـتمرار .. المقصـــود وببســـاطة أن المؤسسات حينما تستقر تفضل قيادتها الاستمرار بنفس الصورة التي ولدت بها رافضة التغيير .. فلا تراعي مسـيرة الزمـان والتقـدم التقـني والـذهني

وحماسة الأجيال وترفض التطور والتغيير وهى الحالة التي يجب تحطيمها دائما ..

6- تأمين الثوار .. تأمين النظام .. تأمين الشعب .. تأمين الدولة .. الكلمات الأربعة لها مدلول وهو الأمة .. والتأمين يكون .. بالسلاح والقضاء وباقي الأجهزة المتخصصة .. إن الواجب الأول للثورة قبل وأثناء وبعد استلام الحكم هو إنشاء جهاز عسكري أمني لحماية الثورة ومكتسباتها يتبع قيادة الثورة مباشرة .. وهو خطوة مهمة للحفاظ على الدولة الوليدة .. إلا أن تأمين عقل الثوار أيضا مهم .. فلا يُسمح بعودة أذناب النظام السابق بعلة أنهم تابوا .. أو يُسمح لقوى الدعم الإقليمية للنظام السابق بأن تبدأ أعمالا استثمارية بعلة حاجة البلاد .. فعدائهم سيظل يعمل في الظلام ولا تعاون معهم قبل أن يتم تغيير أنظمتهم الحكمية .. ولا يكون مقبولا أبداً بعد ثورة إبقاء ما فيه تقيد لطموحات الدولة .. من اتفاقيات ومعاهدات إقليمية ودولية تحد من تطورنا التقني أو العسكري أو الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو تمنعنا من التقارب من إخواننا في العقيدة أو تمثل خطراً على أمننا القومي .. أو الدخول في منظمات وجمعيات عالمية ليس لها هدف إلا خدمة مصالح القوى العظمى .. حتى نتكلم عن دولة مستقلة حقيقية لا تنتظر أوامر أو توصيات .. ولن يتم ذلك في الحقيقة إلا بتأمين عقل الشعب .. بتوعيته بالمخاطر المحيطة به من قوى الثورة المضادة

والداعمين لها إقليميا ودولياً .. وتوعيته أيضا بسبل مقاومتها والقضاء عليها .. فالثقافة الثورية تحصن العقل فلا تخترقه الشائعات .. وتنير الرأي العام الوطني فلا تحبطه المؤامرات .. ويظل التماسك الداخلي للشعب متيناً .. فلا يتسلل الأعداء إليه من خلال قواهم الناعمة .. ويظل عقله منتبهاً .. فيدرك حيل الاستعمار حينما يرغب بالعودة مرة أخرى للسيطرة على البلد من خلال اتفاقيات الدفاع المشتركة .. ويدرك الخلل الكبير عند إرسال البعثات العلمية للخارج ليتم تربيتها على عين الأعداء ووفق أطماعهم .. كما ينتبه للمناورات الإعلامية التي تلبس عليه دنياه بدعاوى ومعتقدات تبعده عن المصلحة الدينية التي عليها مدار حياته .. وكما يكون التأمين بتوعية الشعب بالأعداء كذلك يكون بتوعيته بالأصدقاء أو بالامتداد الحقيقي له وهو مفهوم الأمة .. التي ينتمي إليها عقائدياً .. بغض النظر عن بعض العوامل الأخرى كاللغة أو الموقع الجغرافي أو الأصول العرقية أو غيره .. لأن رابط العقيدة هو الضابط للطموحات والرغبات والأهواء .. وهو الرابط الصحيح لتحقيق مستقبل يجمع الأمة ولا يفرقها .. طالما تخلت النفوس عن أطماعها!! وأنكرت ذاتها!! وسعت لنصرة عقيدتها ..

أسباب اندلاع الثورة:

حتى يثور الشعب فلا بد له من وعي لأسباب معاناته وإدراك لحقوقه المسلوبة .. ويمكن ذلك من خلال التوجيه المستمر لقيادة الثورة .. أو

المفكــرين وأهــل العلم أو عــدوى الثــورة .. أو بالإدراك العفوي للشعب من خلال الكم الهائل من تراكم الضغوط عليه .. ولكل ثورة خصوصياتها مـع اختلاف الزمـان والمكـان .. إلا أن هنـاك أسـبابا جامعـة لكـل الثـورات .. ويكفي للقيـام بـالثورة تحقق سبب واحد مما يلي:

1- تشـرنق أو تقوقـع النظـام الحـاكم على نفسـه في واحدة من الصور التالية: عندما يعيش النظـام ومؤسساته داخل فقاعة ويصبح عاجزاً عن التطور (إفلاس) وتنقطـع صـلته مـع الشـعب .. أو حينمـا تســيطر شــريحة على الســلطة العســكر مثلاً وتستأثر بها داخل المؤسسة العسكرية ولا تـراعي مبـدأ تـداول السـلطة وتفشـل في علاج القضـايا السياسـية والاجتماعيـة والاقتصـادية .. أو عنـدما يفقـد النظـام الحـاكم مـبررات وجـوده في الحكم (أنجز مهمته التاريخيـة لكنـه غـير صـالح للحكم) ويصر على البقاء .. أو تعمـل المجموعـة الحاكمـة لتحقيــق مصــالحها على حســاب الشــعب وتــبرز نفسها كطبقة جديدة لها خصوصـيتها وبالتـالي لهـا امتيازات عن باقي المجتمع ولا تراعي مبدأ توزيــع الـثروة .. **عنـدها** تبـدأ الشـرائح الأخـرى بالتـذمر والمطالبة بالتغيير .. فإذا كان النظـام مـتزن فإنـه يقــدم إصــلاحات ولكنهــا عــادة لا تلــبي مطــالب المتذمرين .. وإذا كـان النظـام متخلـف فإنـه يـرد بتــدابير قمعيــة تــؤدي لمزيــد من عزلــة النظــام ومعـاداة الشـعب .. ومـع كلا النظـامين تلـوح في الأفق أجواء الثورة التي تتعاظم مع انتشار وزيـادة

عوامــل تفتت النظــام .. عوامــل التفتت: تجمــد انطلاقة النظام التجديدية وفقدان قوته الدافعــة .. ضـعف تماسـكه الـداخلي ..البقـاء في الحكم من أجل تـأمين المكتسـبات .. عنـدما تكـون إجراءاتـه الإصلاحية لا تلبي مطالب الشعب ولا تحتوي غضبه وتذمره .. عندما يستخدم النظام قوة قمعية تؤدي إلى بعده عن الشعب ومعاداته له .. والشك فيه .. ومضاعفة العنف مع الشعب يؤدي إلى العزلة عنه .. وكلمـا زادت حـدة القمـع زادت العزلـة .. وزاد تذمر الفئات الأخرى ورغبتهـا في التغيـير .. وكلمـا زادت النقمة سارت الأزمـة الثوريـة إلى النضـج .. وزيادة العنف تعنى تمام إفلاس النظـام الحـاكم .. وعجـزه عن إيجـاد أو تقـديم حلـول تلـبي مطـالب الشعب .. وأصبح الحـوار لا يجـدي ولا يفيـد إلا في محاولة استغفال الصـحوة الشـعبية .. وتحـول إلى العنف المطلق .. أصبح من المستحيل التغيـير من داخل النظام أو القبول به .. وتحتم خلعـه والثـورة عليه ..

2- الأزمات الاقتصادية: يصـاب الشـعب بحالـة من القلق العام في مواجهة المستقبل بحالة اقتصادية متردية عـادة مـا يتحمـل هـو تكـاليف علاجهـا دون جدوى .. وأصبح الضرع يـدر دمـا لا لبنـا .. وحينمـا يتضاعف القلق من إهمال النظام لعلاجها متجـاهلا طمـوح الشـعب ومطالبـه .. وأن انتظـار التغيـير سيطول كثـيراً وربمـا دون جـدوى فلا يكـون أمـام الشعب حلا إلا تغيير النظام ..

3- الانفجـار الاجتمـاعي: كمـا أن تـراكم الضـغط الاجتماعي الناتج عن نظام يسلب الشعب حقوقـه الأساسـية .. ويتسـلط عليـه دون وجـود مقابـل يمتص غضـب الشـعب .. ويواجهـه بأزمـات تحطم مسـتقبله .. وتنتشـر بين الشـباب حالـة من البطالـة .. أو خـداع الشـعب ببعض الفتـات الدسـتوري أو الاقتصـادي .. في حين أن كـل السلطة والثروة بيد النظام .. عادة مـا يكـون هـذا النوع من الأزمات مقابل أنظمة وراثية من الأمراء والملـوك الـذين يرثـون البلاد والعبـاد .. أو أنظمـة العسـكر الدكتاتوريـة الـتي تتحـول إلى طبقـة إقطاعية لهـا امتيازاتهـا ويتم تـوارث الحكم داخـل المؤسسـة العسـكرية .. وكلا النظـامين الملكي والعسـكري يتفشـي فيهمـا الـثراء .. وتحتكـر الاسـتثمارات .. ويتلقـون الـرواتب والرشـاوى من الخارج (ملك الأردن – عسـكر مصـر) .. ويحظى أبنـائهم بالوظـائف العليـا في الدولـة .. ويمتلكـون الشـركات العـابرة للقـارات .. فتصـبح السـلطة والـثروة حكـراً عليهم وعلى أبنـائهم دون بـاقي الشـعب .. وينفـق المـال العـام على الاحتفـالات الخاصة .. وتبدوا مظـاهر البـذخ والـترف والإنفـاق المسـتهتر .. ويكـون الفسـاد هـو الأصـل .. وتتـوج المصلحة الأنانيـة على الـرؤوس .. وتتـوه المبـادئ فلا فـرق بين مـا هـو طـاهر وعـاهر .. والشـرف والوفـاء ذكريـات من الماضـي .. والشـعب يعـاني من سطوة فسادهم ..ويتضور جوعا ويعاني فراغـاً

وفقراً من البطالة .. كل هذا يولد انفجاراً اجتماعياً ..

4- الحروب وما ترتب عليها من هزيمة: نتائج الهزيمة[12] تزيد من حدة الأزمات الاقتصادية والتبعات السياسية والأعباء الاجتماعية في البلاد .. وتخلق مناخا مناسبا للثورة .. بسبب المرارة الناتجة عن التضحيات الكبيرة والكرامة المهدورة والمعاناة المالية .. الهزيمة هي المناخ المناسب للثورات لتجديد مسيرة الشعوب .. الدول المنتصرة لا يكاد يذكر فيها اسم الثورة أو مشتقاتها .. والحديث عادة يكون عن بعض الإصلاحات من باب المنافسة السياسية بين الأحزاب ..

5- القهر الخارجي: عندما يقوم المستعمر (أو نائبه) بتجريد الأمة من استقلالها وحريتها السياسية .. وحقها في تقرير مصيرها .. ومعاملة الشعب معاملة من الدرجة الدنيا .. واستغلالهم اقتصاديا بأعمال السخرة .. ونهب ثرواتهم وثروات البلاد .. والعمل على إفقار الشعب .. وأكثر من ذلك بفرض التخلف عليه وحرمانه من التقدم .. والعمل على تجريد الأمة من هويتها الدينية .. وعاداتها وتقاليدها ولغتها وتدمير تاريخها وموروثاتها .. وفرض ثقافة المستعمر ولغته

---

[12] علق صاحب كتاب لعبة الأمم على جمال عبد الناصر بقوله: لقد نجحنا في صناعة الزعيم الذي يهزم ويتمسك به شعبه .. وحث على أن يتم إشاعة النموذج الناصري في الدول العربية ..

وتاريخه وأخلاقه .. هذه العوامل تؤجج روح التحرر الوطني .

6- العبث بالمعتقدات والاستهزاء بالمقدسات: هي محاولـة من أنظمـة الحكم (خاصـة في الـدول الإسـلامية) لتغـير دين الشـعب وتغريبـه بوسـائل ناعمـــة .. لتكســـير وإتلاف موروثـــه العقـــدي واستقراره الاجتماعي والـذي يمثـل مفهومـا لـدى الشــعب أقــوى من مفهــوم الأمن القــومي .. أو تحــدي الشــريعة الســماوية ومحاولــة إشــباع الشـهوات المحرمـة بـالقوة والجهـر بهـا وإرغـام المجتمـع على قبولهـا .. أو محاولـة عـدو خـارجي يدين بعقيـدة مختلفـة احتلال البلاد بشـكل مباشـر ويبـدأ في هـدم مـا هـو عقـدي حسـيا ومعنويـا .. فينتفض الشـعب في حالـة هيجـان يبـدأ بشـكل عفوي غيرة على موروثاته .. سـرعان مـا تنضـبط مشـــكّلة انتفاضـــة مســـلحة هـــادرة تعم أرجـــاء الوطن .. وعادة ما تكون دموية وحادة وسـريعة .. وتلقى قبول في كافة الأوسـاط الاجتماعيـة داخـل الدولـة .. وتؤيـد من قبـل محيطهـا العقـدي حـول العــالم .. ويتم دعمهــا بالمــال والرجــال منهم .. وتحسم حربها خلال عقد من الـزمن يزيـد أو يقـل قليلا .. ونظراً لأن القائمين بها تجربتهم في الحكم جديـدة .. ممـا يجعلهـا تمـر بسلسـلة من الأخطـاء على المســتوى الاجتمــاعي والسياســي .. إلا أن الأحــداث والنصــائح والاســتعانة بــالخبرات من محيطها العقدي يؤهلها تـدريجا لإحسـان برنامجهـا التغـيري .. وتصـل للنضـج وفهم إشـكاليات إدارة

البلاد مع الوقت .. والشـعب يتحملهـا ويلتمس لهـا الأعذار ويدعمها ويصـبر عليهـا لأنـه يـدرك طهـارة هذا التغيير وطهر الأيدي القائمـة عليـه .. (حركـة طالبان أفغانستان) ..

هـذه الأسـباب منفـردة أو مجتمعـة يطلـق عليهـا الجـانب الموضـوعي في الثـورة .. وهي لا تسـبب قيام الثورة دون وجود الشق الثـاني وهـو الجـانب الـذاتي .. المتعلـق بمـدى وعي الشـعب وإدراكـه ورغبتــه في التحـــرر .. وهنــا تــبرز الحاجــة إلى مجموعة ثورية ناضجة تعمل على توعية الشعب .. فتعلمــه حقوقــه .. وتوضــح حقيقــة الــدور الــذي تمارســه الحكومــة في ســرقته وإذلالــه .. وقهــره واستعباده .. وتبين له وسائل التغيــير .. ومراحلهـا وما هو مناسب لوضـعهم .. وتتـولى قيـادة الثـورة وتعمــل على إنضــاجها .. وهــذه تســمى مرحلــة الإعداد والتجهيز للثورة ونفصل فيها لاحقاً ..

<u>النظرية الثورية: (الفكرة .. العقيدة)</u>

للثــورة ســمات أساســية تحــدد النظريــة: تطــور تاريخي نابع من المعاناة .. ضرورة العنف .. تحقق هـدف الثـورة بإعـادة بنـاء كـل شـيء .. اسـتقرار الأوضاع ..

وبالتالي النظرية الثورية هي: الفكرة الـتي قـامت الثــورة لتحقيقها .. وتحــرك تحت لواءهــا الثــوار مستخدمين القـوة في التغيـير .. في البـدء انتفض الثوار ضد الملكية المطلقـة والطغـاة .. (الأسـرة السعودية واستئثارها بالسـلطة والـثروة وتسـلطها

على الإنسـان وهـدمها للـدين .. نمـوذج محتمـل لقيام ثورة عليه) .. من أجل بناء عالم جديد .. إن جملة "عالم جديد" فسرت بعد ذلك بنظـام الحكم والاقتصاد والنظام الاجتماعي والثقافي ..

والعقيـدة تـدور حـول مجموعـة من الجمـل الـتي تتجسد في الواقع العملي [تغيير جذري عـنيف .. ضـد نظـام غشـوم .. لإنشـاء نظـام حكم جديـد .. ونظام اقتصادي جديد .. ونظام اجتمـاعي وثقـافي جديد ..] ..

ولتحويل النظرية إلى برنـامج عمـل يلزمنـا جـانب واقعي موضـوعي .. وجـانب ذاتي إنسـاني .. فمن الممكن أن تتوفر الظـروف الموضـوعية (الـوعي بأسباب الثـورة) ولكنهـا تفتقـر إلى الشـق الثـاني (إرادة التغيـير) فلا تقـوم الثـورة .. وكمـا سـبق الإشـارة يجب العمـل بالشـقين معـا .. وبالتـالي فـالثوريون وحـدهم هم القـادرون على إحـداث التغيير .. لأن التغيـير يلـبي مطـالب شـعبهم الـذي يمثلونـه .. ويشـكلون طليعتـه الـتي تقـدم أسـمى معاني الوفاء للعقيدة بالتضحية بـالنفس في إطـار عنف الثورة ..

وعلى الجانب الأخـر فـإن النظـام الحـاكم (ملكي كان أو جمهوري أو غـيره) .. يعتقـدون أن عقيـدة التغيـير الثـوري عقيـدة هدامـة .. وأن اسـتمرار النظام السياسي وبرنامجه الاقتصادي هو ضروري لكل مجتمع منظم .. وثبـات الطبقـات الاجتماعيـة يضـمن الاسـتقرار النـوعي في المجتمـع .. وترويجهم هذا طبيعي فالأسـرة والطبقـة الحاكمـة

معهـا لا تهتم بخـط التطـور السياسـي والتـاريخي والاجتمـاعي .. قــدر اهتمامهمــا بثبــات الأوضــاع الملائمة لها وبقائهـا على حالهـا .. وهـو مـا يؤصـل للـــدفاع المســـتميت عن حكمهم .. ويجعـــل من الثورة عملا عنيفاً .. سواء كانوا يواجهـون ثـورة .. أو يخشون من عدوى الثورة المجاورة ..

مراحل المسيرة الثورية:

من المهم أن نؤكد دائما على الخصوصية لكل بلـد وكل زمان .. وطبيعة الثورة وأهـدافها .. لكن هـذا لا يمنع من وجود مراحل متعاقبة بشكل عام تسير وفقها الثورات:

1- مرحلة الإعداد والتحضير:

(تشـــكيل النـــواة الثوريـــة) وهي مجموعـــة من المفكـرين الثـوريين الـذين تلتقي أفكـارهم حـول التناقضـات في البلـد .. ويتبنـون علاجهـا وحلهـا بالقوة .. ويقومون بوضع الإستراتيجية والتكتيـك .. ورسم أهداف الثورة والأساليب التي ستسـتخدمها لتحقيـــق هـــذه الأهـــداف .. من خلال إنتـــاجهم الفكري .. وأدائهم العملي ..

يلي ذلك توعية الشعب بالواقع والحقـوق وإفهامـه بالنظريـة الثوريـة .. ثم يتم التحـالف بين الفئـات المقهـورة وفـق برنـامج الحـد الأدنى .. ويبـدأ التحريض الثوري على نطاق واسـع مـع الاسـتفادة من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الـتي تمـر بهـا البلاد .. للوصـول إلى نقطـة الانفجـار أو النضـج الثـوري .. وهي اللحظـة الـتي تشـتد فيهـا الأزمـة

الثورية إلى أبعد مدى من جراء تزايد أعمال القمع وتصاعد حدة التناقضات الداخلية .. ويتساقط الشهداء .. وتتولد قناعة لدى الشعب بأنه لم يعد هناك أمل بحل الأزمة سلميا .. وأن مجرد التفكير السلمي هو خيانة للدماء الذكية الطاهرة التي أريقت على أرض الوطن وفي سبيل العقيدة ..

قد يكون الوعي الثوري موجوداً .. كما أن إرادة التغيير حاضرة .. ولكن .. **لحظة البدء لم تحن حتى يأتي سبب لحظي يفجر الشرارة** مثل اغتيال شخصية شعبية .. أو تعذيب الأمن لبعض الأفراد وقتلهم بشكل سافر (محمد البو عزيزي تونس - خالد سعيد مصر) .. أو منع اجتماع شعبي .. أو إضرابا عماليا .. أو صداما محدودا مع قوى الأمن .. أو اعتقال زعامة شعبية وتاريخية (مرشد الإخوان) .. أو ثبات جيل جديد في الميادين ضد قوى القمع يهيج جموع الشعب (25 يناير مصر) .. أو غير ذلك من الحوادث البسيطة التي يمكن تجاوزها في الأحوال العادية ولكنها تؤدي إلى الانفجار في الأزمات الثورية ..

وعلى المجموعة الثورية الانتباه لتفاعل الشعب مع مسيرة الثورة .. وعدم انتظار قدوم لحظة الانفجار بسلبية بل العمل على تسريع الوصول إليها .. مع الانتباه التام لعدم استباق لحظة الانفجار والذي يؤدي للإجهاض .. أو التأخر الذي يفوت الفرصة المناسبة ..

يرافــق هــذه المرحلــة عــدد من التظــاهرات والإضـرابات .. وتنتشـر الشـعارات الـتي تعـبر عن الثوار ..

2- مرحلة العمل الثوري لإسـقاط النظـام القديم

أشـرنا إلى جـزء منهـا عنـد الحـديث عن العنـف الثـوري في البنـد الخـامس من الملاحظـات على التعريـف .. وابتـدأً نؤكـد على أن مجـال الأفكـار والابتكـار فيـه مفتـوح متطـور مـع تطـور العصـر والإنسـان .. أضـيف لمـا سـبق بعض الملاحظـات الهامة للثوار .. فهم يواجهون عدة قضايا أساسية:

أولاً: بطش الأمن والجيش ..

على الرغم من الخسائر اليومية والـتي قـد تكـون ضـخمة في بعض الأيـام إلا أنـه لا يجب أن تخلـوا الشــوارع من المتظــاهرين .. وقــد يكــون من المناسب بداية عدم الرد على العنـف بعنـف لعـدة أهداف أولهم: إحداث انشقاق وتفتت في صـفوف القوة الأمنية .. وثـانيهم: تفـويت الفرصـة عليـه .. بإظهار العمليات القذرة للجيش والأمن التي يقوم بها بغية تشـويه الثـوار .. فيقـوم بحـرق الـوزارات وغيرهـا .. وتفجـير المسـاجد والكنـائس لإشـغال الشــعب ببعضــه .. ويضــحي بعــدد من ضــباطه وجنـوده فيقتلهم بيـده .. ويهلـك بعض الإعلامـيين والصحفيين .. ويخنق علماء الأديان الموالين لـه .. ويتوســع في صــفحة القتــل ويبتكــر في مجــال الإعـدام والمحاكمـات .. وثـالثهم: إتلاف أعصـاب

قائد النظام فهو وإن كان مجرم إلا أنه بشر يجري عليه ما يجري عليهم .. فيخرج على الإعلام يتفـوه بعبارات غير مفهومه وتهديـدات مبطنـة وشـائعات مفبركة وأكـاذيب مفضـوحة .. يقـف متلعثمـا تائهـا زائغ العينين .. فيكشف عن حالته النفسية وضعفه وقرب انهياره .. فيفقـد المقربـون منـه الثقـة في قدرته على الاستمرار فيساعد على سـرعة تفـرق مؤيديه داخليا وخارجيا ..

التصدي لقوات القمع هو أول تحدى يواجـه الثـوار وهى قـوات اعتـادت على البطش المبـالغ فيـه بلا ممانعـة من الضـحية .. كونهـا تعمـل في أوسـاط مدنيـة عـاجزة عن الـدفاع عن نفسـها .. أمـا وقـد خـرج النـاس إلى الشـوارع وهم مصـممون على التصـدي والانتصـار .. فـإن تلـك القـوات تفقـد معنوياتهـا بسـرعة .. وتكتشـف في نفسـها ذلـك الخوار المهين وضعفها الداخلي .. وذلك شأن كـل طاغيـة يخفى بوحشـيته الظـاهرة خـواء وضـعفا .. يفضحه وقت احتدام المعارك الحقيقيـة مـع جنـود الحـق ولـو كـانوا ظاهريـا ضـعفاء .. إلا أن قـواهم الداخلية تتجلى لأعين أعدائهم فيموتون رعبا ..

ابتكـرت العقليـة الأمنيـة العربيـة جهـازاً جديـدا لحراسة النظام (البلطجيـة .. الشـبيحة) .. وهـذا بتوجيـه ودعم من المخـابرات الأمريكيـة نقلا عن فكرة (فرق الموت) في أمريكا اللاتينيـة .. هـؤلاء يجب اسـتثنائهم من قواعـد الانتفاضـة الشـعبية .. فهؤلاء ليسوا نتاج طبيعي من صلب المجتمع .. بل هم نتـاج سـفاح بين النظـام القـائم والفقـر الـذي

طوقوا الشعب بـه .. فهـؤلاء التقطهم النظـام من الشوارع والأرصفة .. هؤلاء لا يفهمون معاني مثـل الكرامــة أو الوفــاء أو الأمــان أو الحريــة .. فقــد عاشــوا في ذل وقلــق وشــك وغضــب وتشــربوا بالخيانـة .. وجبلهم من ربـاهم على الحقـد الأعمى على الشـــعب .. وعمليـــة احتـــوائهم إن لم تكن مســـتحيلة فهــذا ليس وقتهــا .. فهم لن يفهمـــوا مشاعر الرحمة ولن يدركوا معاني العفو ولا أرحام لهم أو قرابـــة لـــتردعهم .. وبالتـــالي لا بـــد من مواجهتهم بكـل حـزم ليكونـوا عـبرة لرجـال الأمن الذين يرتدون زيهم.

في المرحلــة الــتي يتحــرك فيهــا الثــوار لاحتلال المؤسسات والهيئـات الأمنيـة والحكوميـة .. لا بـد لهم من العنف والسلاح لتصـفية الجيـوب الأخـيرة للنظام وإسقاطه .. وقد ترى قيادة الثورة ضرورة القيام بعدد من العمليات المدروسـة بدقـة .. وقـد يكون من المناسـب في بعض الحـالات الـرد على العنــف بــالعنف خشــية تفكــك الثــورة وتعرضــها للإرهــاب .. ويتعين العنــف عنــد نقطــة الانفجــار الثــوري فتنطلــق المجموعـات المنظمـة لإحـداث التغيير بالقوة..

إن فلسفة التغيير الإسلامية التي تصبغ أي ثـورة .. قائمــة على أمــرين: الأول القضــاء على الســلطة السياســية لتتحــرر العقـول وتمتلـك إرادة الاختيـار بمنتهى الحريــة وتتحمــل توابــع ذلــك في الــدنيا والآخرة .. الثاني القضـاء على مؤسسـات النظـام القديم لتضمن سلامة مسـيرة التغيـير بلا عراقيـل

وقلاقل تشغلهم عن هـدفهم .. ويسـتحيل أن تنجح ثـورة سـلمية كـانت أو مسـلحة دون القضـاء على القوى الرئيسية المثبتة للنظام القديم قضـاءً تامـاً حقيقيـاً وليس معنويـاً .. قضـاءً بمـا تعنيـه حـروف الكلمة .. تحت مبدأ بلال بن رباح ﷺ "لا نجـوت إن نجا" ..

ثانيـاً: اسـتمرارية بنـاء قـوتهم الشـعبية ومجموعاتهم العسكرية ..

البناء مسـألة حيويـة بالنسـبة للثـورة .. سـواء في المجال المـدني أو العسـكري .. والتوقـف عنـه أو عدم الالتفات إليه يؤخر التطور المنشود بعد وأثناء الثــورة .. والبنــاء يبــدأ مــع اليــوم الأول لانطلاق الدعوة أو الفكرة الثورية والتفات النـاس تـدريجيا حولها .. لكن الدولة عندما تسقط بيـد الثـوار بعـد أحداث عنف وفقد طاقـات وكـوادر وربمـا قيـادات كبيرة .. تظـل في حاجـة دائمـة للشـخص الثـوري الكفء الذي يكـون أمينـا على إدارة مؤسسـة من مؤسسات الدولة .. أو بعض فروعها ..

الدولـة لا تـترك الثـوار يبنـوا عناصـرهم .. فمـا أن تستشعر المناخ الثـوري يهب في سـمائها .. حـتى تبدأ في استدراج الثوار بقصـد القضـاء عليهم قتلاً وحبساً ونفياً .. ويتمثل نجـاح الثـائر في ألا يـتركهم يبيدونه .. فلا يتعجل الصدام .. ويتعلم فن التملص والتسلل حتى لا يقع في يدها ..

إن عقيدة الجيش وولاء ضـباطه يملي على الثـوار نهجا ثورياً معيناً في مراحل مختلفـة من الثـورة ..

مما يستدعي برامج تربية وبناء خاصة تناسب حالة الحرب المعلنة على الثورة .. ولتوضيح ذلك فالجيش الذي يغلب عليه طابع التجنيد الإجباري يكون أقل عنفاً مع الثوار .. بل ينفرط عقده سريعا وينضم الكثير منهم للثورة .. ويناسب هذا الجيش الانتفاضة الشعبية ..

أما الجيوش العقائدية أو الحزبية أو المحترفة التي لا تعتمد على التجنيد أو التابعة لشركات أمن أو الطائفية أو الجيوش التي **ينال كبار الضباط بها رشاوى وامتيازات ضخمة** أو قوات الاحتلال .. فهذه الأصناف ستتبنى عنف بلا حدود وتنفذ جرائم ومجازر ضد الثوار ودفاعا عن النظام .. **والأسلوب السلمي لا يؤدي إلى انهيارها** .. بل تتمادى في غيها بشراسة وقسوة بلا رحمة .. وبالتالي فإن حرب العصابات أو انتفاضة مسلحة تكون هي الوسيلة الأنجع لتطور الحالة الثورية .. وإلا لو بقيت الثورة حبيسة المدن تمارس سلميتها فإنها ستتعرض لحرب إبادة بلا رحمة .. واعتقالات وتعذيب حتى الموت .. وتشريد لأسرهم وانتهاك لأعراضهم بغرض كسر إرادتهم .. **السلمية** في هذه الحالة هي شهادة وفاة وقعها أصحابها .. **السلمية** هنا هي انتكاسة للفطرة السوية التي تبادر للقتال حتى عند أضعف المخلوقات ..

في التربية الثورية ينبغي المرور بسلسلة من الصدامات الصغيرة المتفرقة في أنحاء البلاد .. بهدف تدريب الكوادر وإكسابهم الجرأة على

التصدي للنظام وأجهزته القمعيـة .. والتجـرؤ على طرح مشاكلهم والمطالبة بحقـوقهم .. وإكسـابهم الخـبرات السياسـية والحقوقيـة .. وأيضـا مهـارات الصدام مع طواغيت أجهزة القمع .. وإسقاط هيبة هـــؤلاء من النفـــوس .. واكتســـاب الجـــرأة في مواجهتهم والاستهانة بالعقوبات مهمـا كـانت .. ثم تصعيد تدريجي لحدة المواجهات .. وتوسـيع رقعـة انتشارها .. بحيث إذا حانت ساعة الخروج الحاسم إلى الشـوارع .. تكـون قطاعـات من الشـعب قـد اكتسبت الخبرة والجرأة على المواجهة.

ومن الوســائل الــتي يمارســها الثــوار في هــذه المرحلة وسـائل سـلمية هـدفها فقـط التعبـير عن الــرفض وإثــارة الــرأي العــام ضــد النظــام ومن أمثلتهـا: المواقـع الإلكترونيـة .. القنـوات الإذاعيـة والتلفزيونية .. الرسـومات والشـعارات واللافتـات في الشوارع .. الأعمال الفنية المتنوعة "الأناشــيد والشــعر والكوميــديا الســاخرة والأدب .. ارتــداء رموز تعبر عن المقاومة .. نشر ورفع صور لأبطال وشـهداء المقاومـة .. ارتـداء الأقنعـة .. عـدم دفـع الفواتير من كهرباء ومياه وهاتف وسـحب الأمـوال من البنــوك وعــدم ســداد الضــرائب .. ومقاطعــة الاستفتاءات والانتخابات على كافة المستويات ..

ومن الوسائل التي تكسـب الجـرأة وتسـتخدم في مرحلة متقدمة من الصراع مع النظام عندما تصل المقاومة لدرجة عالية من القوة .. تغطيـة أحـداث العنف الحكومي وتسويقه عالمياً للضغط النفســي على النظــام .. الإضــراب عن الطعــام .. احتلال

منشآت حكومية ووزارات هامة حتى ولـو لفـترات متقطعـة .. إعاقـة المواصـلات العامـة دون إيـذاء للمواطـــنين من أجـــل إعاقـــة ســـير الأعمـــال الطــبيعي .. إرهــاق الحكومــة وإرباكهــا بالطلبــات الواقعيـــة وإظهـــار فشـــلها وعجزهـــا عن حـــل المشـكلات اليوميـة والحياتيـة .. إقامـة محاكمـات صورية لعناصر النظام وتوقيـع العقوبـات عليهم .. إنشاء مؤسسات بديلة تتحـدى مؤسسـات النظـام الرسـمية في تهميش النظــام وجــذب مزيــد من الجمــاهير ســواء كــانت مؤسســات خدميــة أو اقتصادية أو إعلامية ..

وعلى الثـــوار أن يبتكـــروا ويبـــدعوا في الأفكـــار لإشغال النظام دائمـا وحـتى لا يجـد النظـام وضـع روتيني يستطيع أن يتأقلم معه ويقمعه ..

ثالثا: الوقت ..

النظام يرغب في القضاء على الثورة سـريعا قبـل أن تتفاقم وتتمكن من بناء قوتهم الذاتية .. والثوار هـدفهم اسـتهلاك قـوة العـدو واسـتنزافها وخلـق أزمات أمنية واقتصادية وأدبية تحرج أنصار النظـام وتســـاعد على تفتتـــه من داخلـــة .. فـــالإجراءات القمعيـة الشرسـة تشـكل عبء معنـوي لحلفـاء الـــداخل والخـــارج وتضـــعهم أمـــام مســـؤوليتهم التاريخيـــة أمـــام مؤيـــديهم أو شـــعوبهم لإيقـــاف الحماقات والجرائم الأمنية .. وتساعد ردود فعلهم ومواقفهم من عزلـة النظـام وتأهيلـه للسـقوط .. كمـا أن طـول الـوقت يخيـف أصـحاب الأمـوال

والمشروعات .. وكما قيل رأس المال جبان يفر في الأزمات ويتقدم عند الأمن ..

كما أن الثوار[13] يحرصون على إطالة زمن الثورة ليتشرب أفراد الشعب الدعوة ويطمئن القائمون عليها على وجود وحدة فكرية إلى حد ما لها أغلبية نسبية بين جماهير الشعب .. هذه الوحدة توفر لحكومة الثوار القادمة الاستقرار المجتمعي وتساهم في إحباط الثورة المضادة .. الخلاصة في الوقت هو إحسان استخدامه لبناء قوة الثوار وخنق النظام بالأزمات ..

رابعاً: التكافل الاجتماعي ..

إشاعة أخلاق الفداء والتضحية والإيثار .. وأننا أمة واحدة جسداً واحداً إذا اشتكى من عضو تداعى له الكل .. قال تعالى {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {9} وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ {10} الحشر .. و قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا

[13] يحرص الثوار والعصابات على إطالة الوقت .. ولكن في الثورة عادة ما تستمر مرحلة البناء والتشرب بالأفكار وممارسة العمل الثوري والقيام بالتغيير قرابة السنتين لتخلق جمهور كبير من المؤيدين .. أما العصابات فقد تمتد لعقود من الزمن .. ليتفتت النظام وتبني العصابات قوتها .. فمثلاً الصين (27 سنة) وأفغانستان ضد الروس (14 عام) .. ومازال الصراع ضد الأمريكان مستمر ..

اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُــونَ {10}الحجـــرات .. هي روح هذه الفترة التي تلهم وتثبت الثوار .. وتنشر مناخا من الإخــوة .. كمـا تؤسـس لبرنـامج من التكافـل الاجتماعي يستمر أثناء وبعد الثورة .. ويكون ذلـك من خلال مسـاعدة الجـرحى .. وتنظيم عمليـات إمـداد المتظـاهرين بالطعـام والمـاء والخـدمات الضرورية .. كما رأينـا في الثـورة الليبيـة الأمهـات وهن يطبخن للمجاهـــدين .. يتم ذلـــك من خلال مجهـود وتمويـل شـعبي .. ونلاحـظ في يوميـات الثورة المصرية ويوميات اعتصـام رابعـة المجهـود الطـبي الأسـطوري في علاج المرضـى ومـداواة الجــــرحى .. وجميــــع الأطبـــاء العــــاملين من المتطوعين .. هذا المناخ يحقق انسجاما اجتماعيـا تســوده الرحمـــة والوفـــاء .. ويعمـــق العلاقـــات الإنسانية التي سبق وأفسدها النظام الساقط ..

أنظـــر الفـــرق بين هـــذه الحالـــة وبين الثـــورات "المخمليـة" .. الـتي افتعلتهـا أمريكـا بعـد حـرب العـراق في عـدة دول مثـل أوكرانيـا وجورجيـا .. حيث أن تمويـــل المظـــاهرات يتم من الخـــارج .. وملايين الـــدولارات أنفقت في شـــراء الوجبـــات الجـاهزة والخيـام الحديثـة .. وقـدمت لهم تغطيـة إعلاميـــة لا مثيـــل لهـــا .. ومســـاندة قانونيـــة من المؤسسات الدولية وجماعات حقوق الإنسان ..

<u>3- مرحلة بناء النظام الجديد</u>

بسقوط النظام الحاكم تستولي قيادة الثورة على السـلطة .. ويكـون أولى الواجبـات تصـفية أعـداء الثــورة من خلال محاكمـات ثوريـة فوريـة .. أمـا

الواجب الثـاني فهـو الاسـتعداد لمواجهـة المحيـط الإقليمي وتداعيات الثورة عليـه وردود أفعالـه مـع الثوار .. والعمل على إرسال رسائل هادئــة تعطي الانطباعــات الأوليــة عن الثــوار وتــبين شــكل برنــامجهم الجديــد .. وعــادة مــا تحظى الثــورات بقبـول محلي وإقليمي ودولي لأنهـا إرادة الشـعب وهذا بخلاف الانقلابات العسـكرية .. هـذه النقطـة وسـابقتها لن تجـدي نفعـا في حـال كـون الثـورة إسلامية أياً ما يكون التيار الذي قام بها .. وبالتالي فعلى الإسلاميين تصدير الثورة لجيرانهم لإشغالهم عنهم والتفـرغ لعمليـة البنـاء من طـرف .. وبنـاء حليف جديد من طرف آخر .. أمـا الـواجب الثـالث هو إعادة الحياة إلى طبيعتها بحذر .. وإدارة عجلـة الاقتصاد لتلافي أزمـات مـا بعـد الثـورة .. ثم تبـدأ المخاطر تواجه الثورة .. وهـذه الفـترة في منتهى الدقة ..

عند نجاح الثورة تنتشر حالة من الطلاق السياسي بين حلفاء الأمس .. وبرنامج الحد الأدنى الــذي تم التفاهم عليه لم يعد مجدياً .. وشعارات الثورة عفا عليه الوضع الجديد .. ويبدأ نوع من الصراع البــارد بين الحلفاء اللـدودين .. سـرعان مـا تشـوبه بعض التصفيات .. فالثورات تأكـل أبنائهـا .. إلا أن الفئـة الأكثر ظهوراً وقـوة وتنظيمـاً تسـيطر على الثـورة وتبدأ في برنامج البناء وفق عقيدتها الثورية ..

فـإن طـالت فـترات الصـراع والتصـفيات تتعـرض الثورة لمخـاطر جديـدة أكـثر جديـة وأشـد ألمـاً .. فالصراعات تـؤدي إلى إضـعاف السـلطة الجديـدة

وتفتت قوتها .. وتفتح الباب على مصراعيه أمام الثورة المضادة .. وربما يستغل حالة الفوضى هذه العسكر فيثبون على السلطة كمنقذين ويؤسسون دكتاتورية عسكرية ..

من المخاطر أيضاً التي تواجه الثورة في هذه المرحلة: التدخل الخارجي .. التخريب الداخلي .. انهيار الاقتصاد .. هروب الأموال .. سفر الكوادر .. ضعف الجانب الإداري لقادة الثورة فالنجاح في قيادة الثورة ليس دليل على النجاح في إدارة الدولة .. افتعال الأزمات المالية والاجتماعية ...الخ ..

لا بد أن يشمل برنامج الثورة الوسائل البديلة لأجهزة الدولة البيروقراطية للقضاء والأمن والجيش والإعلام .. كما لا بد من وجود برنامج واضح للعرقيات والأقليات .. خاصة تلك التي لها عقيدة مختلفة وتحظى بغطاء خارجي ..

عادة ما تستلزم مرحلة البناء قيادة حازمة (كعمر) لفترة من الزمن .. يكون مؤهلاً لاتخاذ قرارات ثورية .. حتى تعبر الدولة المرحلة الحرجة .. وتتمكن من تثبيت النظام الجديد وإحلال المؤسسات الجديدة محل مؤسسات الدولة العميقة .. وتأمين الاقتصاد .. وتوعية المجتمع .. وتأكيد قدرتها الأمنية والدفاعية .. واكتساب الأصدقاء .. وترتيب علاقتها الخارجية .. ثم تبدأ الدولة في أخذ الشكل الطبيعي لها .. هذا إن لم تصيب القيادة حالة مرضية فتستأثر بالسلطة وتحتكر الاقتصاد .. ونعود للمربع رقم صفر من

جديـــد .. ولهـــذا يـــروج دائمـــا لنظريـــة الثـــورة مستمرة ..

جماهير الثورة وأعدائها:

الثورة تعـبر بوضـوح عن هويـة طـرفي الصـراع .. فعندما تخرج جمـوع الطبقـات الكادحـة فـالطرف الأخر سيكون أصحاب الأراضي والأمـوال والأمـراء والملــوك وكلهم مســتعبدين لفئــات من العمــال والفلاحين .. وإذا خرجت جموع المثقفين فالطرف الأخـر نظـام دكتـاتوري مسـتبد مسـتأثر بالسـلطة ســواء كــان ملكي أو جمهــوري أو غــيره .. وإذا خــرجت جمــوع التجــار والمســتثمرين وأصــحاب الأموال فالطرف الآخر هو نظام احتكاري مسـتأثر بالمال .. وإذا خرجت جموع الشعب وكل طوائفــه فـالطرف المقابـل هـو عـدو محتـل أو وكيلـه على البلاد .. والغريب أن ثورات الدول العربية كلها من النوع الأخير .. والتحركات الشعبية تحركات واعيـة وحساسـة وعميقـة وتعـبر عن نـوع الظلم الواقـع عليها .. وتُجسد ذلـك في شـعاراتها .. عيش حريـة عدالة اجتماعية .. سـنحيا كرامـا .. وهمـا شـعاران يعبران عن احتلال الدولـة واغتصـاب المقـدرات .. احتلال بالوكالـــة .. واســـتئثار بـــالأموال .. أداة الاحتلال كان الجيش الوطني التابع للقـوة الغربيـة الأقوى .. ومغتصـبي الأمـوال هم جيـل من القـادة العسكريين والسياسيين المواليين للقـوة الغربيـة الأقوى ..

يعاب على الثورات العربية أنها قـامت عفويـة ولم تجد من يقودها .. علاوة على قلة الثقافـة الثوريـة

لـدى الثـوار .. إضـافة لاختلاف المشـارب وعـدم وضوح أي برنامج متفق عليـه .. إضـافة إلى عـدم إنشاء أجهزة حماية ولو بسيطة لحماية مكتسـبات الثـوار وحمايـة دمـائهم .. وهـو مـا أفقـدهم كـل شيء .. وهو نذير خطر على باقي الثورات العربية الحديثـة .. قـد يـدفعنا هـذا إلى تقـييم الثـورات العربية الحديثة على أنها انتفاضات شـعبية بعضـها أُفشل (ثورة مصر أُفشلت / ثـورة اليمن قُلمت) وبعضـها في مرحلـة الإفشـال (تـونس) والبعض تحول إلى انتفاضة مسلحة ..

ونلخص مـا سـبق .. الجـانب الموضـوعي كـان حاضرا وبقوة في الثورات العربيـة الحديثـة .. لكن الجانب الذاتي افتقد الكثير من مقومات نجاحـه .. القيادة .. الإعداد .. البرنامج .. الأمن .. القوة

فهـل مؤشـرات الثـورة الحاليـة (ثـورة القهـر في رابعــة العدويــة) ســتأخذ بعين الاعتبــار ســلبيات تجربة انتفاضة يناير .. وتُرممها؟

قادة الثورات:

في هـذا القـرن قـامت الثـورات على الانقلابـات المشبوهة التي قامت في منتصف القرن الماضي ونصفه الأخير .. وبينهمـا تفـاوت كبـير في الفكـرة والمنفذين والـداعمين .. في القـرن الماضـي قـاد العسـكريون أغلب الثـورات مـدعومين من القـوى الغربية أو الشرقية .. والحقيقة أنها كانت انقلابات عســكرية وليســت ثــورات مطلقــا .. وقــامت الانقلابات ضد أنظمـة ملكيـة مسـتبدة ومسـتهترة

وتابعة للقوى الغربيـة أو الشـرقية .. وبمعـنى أدق أن الغــرب أو الشــرق يومهــا تخلص من عملائــه الفاشلين بعملاء آخرين من طبقة أخـرى .. وعليـه فقــادة انقلابــات أو ثــورات القــرن الماضــي في الحقيقة هم: الدولة الأقوى في الشـرق أو الدولـة الأقـــوى في الغـــرب .. والمنفـــذين عناصـــر من الجيش الوطني الذين يدينون بالولاء الكامل شرقا أو غربـاً .. فمـا حـدث لم يكن ثـورات شـعوب .. وإنمـــا انقلابـــات[14] بالوكالـــة لـــدول الاســـتعمار الحديث .. ومن وُكل بها وقادهـا كـان عميلاً يعمـل ضد شعبه ..

هذا القـرن اختلـف الوضـع إلى النقيض .. نضـجت الشــعوب كثــيرا انتشــرت فيهــا روح موروثاتهــا الثقافيـــة الدينيـــة .. مـــرت بتجـــارب عســـكرية وسياسية ضخمة أحيت وعيها ورغباتها " فلسـطين والحـروب العربيـة .. نكبـة الإخـوان المسـلمين .. الجهاد في أفغانستان .. الثورة الإيرانيـة .. مأسـاة كشمير .. الصـحوة الإسـلامية .. الحـرب العراقيـة الإيرانية .. الجماعات الجهادية .. الحرب الأمريكية

[14] من بـاب الثقافـة الثوريـة يجب القـراءة في كتب التـاريخ السياسـي والعسكري خاصة المتعلق بالثورات والانتفاضات وتجـارب العصـابات .. وما تخطه يد المؤرخين المعاصرين للأحـداث أو مـذكرات قـادة أجهـزة المخـــابرات .. من هـــذه كتب: كتابـــات ورســـائل جيفـــارا .. حـــرب المستضعفين .. حـرب المطاريـد .. تجربـة مـاو تسـي تـونج .. الحـرب الثورية لبـوفر .. التجربـة السـورية .. تجربـة عمـر المختـار في ليبيـا .. وتجارب المهدي في السـودان والإمـام شـامل وعبـد القـادر الجزائـري وعبـد الكـريم خطـابي وعـز الـدين القسـام .. الموسـوعة العسـكرية للمؤسســة العربيـــة .. موســـوعة الجهـــاد الأفغـــاني .. (ثـــورة يوليـــو الأمريكية) لمحمد جلال كشك .. كتاب (لعبة الأمم) لمـايلز كوبلانـد .. والحذر من بعض كتاب الأنظمة ممن على شاكلة هيكل ..

الأولى على العراق .. الانهيار السوفيتي .. تحطيم جدار برلين .. تحرر وسط أسيا وثوراته الداخلية .. ضرب وإخراج الأمريكيين من الصومال .. المجازر البوذية والهندوسية على المسلمين .. حرب اليمن .. الانتخابات في الجزائر وفلسطين .. نهب الأموال في الخليج ودعم أعداء الأمة بها .. انفصال تيمور .. الجهاد في البوسنة والهرسك .. القاعدة وضربها للقوة الأكبر عالمياً .. إنهاء سيطرة العسكر في تركيا أردوغان .. الحرب الأمريكية على الإسلام في أفغانستان والعراق .. تقسيم السودان ....الخ" .. كل هذه التجارب أحيت الوعي الثوري في الشعوب لتطالب بحقها في الحرية والاستقلال والسلطة والثروة .. ولتسقط وكلاء استعمار القرن الماضي .. وتسقط معهم الثقافة والعادات والسلوك والأخلاق الرديئة التي صبغوا بها الشعب .. ولتعمل على تحقيق طموحها واستقلالها .. وتقدم بلادها وتطورها .. وضمان عدم تبعيتها إلا لموروثاتها التاريخية ..

وللأسف .. لم تستكمل المسيرة وتتطور بشكل سليم .. العجيب أنها لم تبرز لها قيادة تندرج تحتها وتقود لحظتها التاريخية .. فانضوت تحت أبناء الوطن القدامى .. وبعضهم مشبوه الانتماء للخارج كالتيار العلماني والليبرالي .. وتفرقت بحسب انتماءاتهم الفكرية المختلفة .. فانقسمت وجرت بينهم العداوة بعد إسقاط النظام .. في مصر انقلاب عسكري استفاد من فوضى نزاع أطراف الثورة .. في ليبيا نذر التقسيم بين الشرق

والغــرب بعــدما تم إقصــاء الثــوار والقضــاء على الجيش فنجت من انقلاب عســكري .. في تــونس ارتباك وتـربص .. في اليمن خضـوع لإرادة الكيـان الســـعودي .. في ســـوريا الحـــرب مســـتمرة .. باختصــار **افتقــدت ثــورات القــرن للقائد .. تباينت بهـا المرجعيـات الفكرية .. وفشـل أي واحـــد منهـــا على الحســـم .. تلاعب مؤسســات الدولــة العميقة وعلى رأســها المجلس العسكري .. وتحالفاتـه الإقليميـة والدولية بالمســيرة الثوريــة ..** بهـذه النقـاط الأربع دخلت الثورات في معـترك جديـد .. والمهم بل المهم جداً .. أنها تعرفت على الثغـرات .. كمـا تعــرفت بشــكل دقيــق على عــدوها وعناصــره .. وهذه هي نقطة النجاح التي يجب أن تنطلـق منهـا الثورة الجديدة .. والتي ستكون إن شاء الله ثـورة مسلحة خلال عقد من الزمان ..

أسباب نجاح الثورة أو فشلها:

حـــتى تنجح الثـــورة لا بـــد لهـــا من أمـــرين: الأول إسقاط النظام القديم .. الثاني بناء النظام الجديد .. ومن عوامــل نجــاح الثــورة: تــذمر الشــعب .. ارتفاع الوعي مع فقدان الأمل في التغيير .. وجود نظرية ثورية تنسجم مع طموح الشـعب وتسـتطيع أن تحركـه .. وجـود القيـادة الثوريـة (مجموعـة .. بــؤرة .. حـــزب) قـــادرة على تجســـيد النظريـــة وتنظيم الشعب وقيادته .. وإدارة البلاد بعد استلام السلطة وفق برنامج واضح المعالم ..

إن عدم وجود هذه العوامـل يـؤدي إلى اضـطراب الثــورة وفشــلها .. حــتى لــو نجحت في إســقاط النظام القديم فإنها لا تلبث أن تفشل بعد ذلك في مرحلة البناء .. لأسباب منها: الخلافـات الشخصـية التي تحطم النـواة القياديـة .. عـدم وجـود برنـامج سليم تسير عليه أثناء البناء .. الصـراع بين فرقـاء الثــورة على الســلطة وتنــازع الــوزارات .. عــدم القضــاء على المؤسســات العميقــة في الدولــة .. استغلال حالة الفوضى وقيـام العسـكر بـانقلاب .. التلاعب بالشــعب إعلاميــاً وإيقــاع انقســام كبــير فيـه .. نجـاح الثـورة المضـادة في تفـتيت عناصـر القوة والاجتماع في الثورة ..

وقد تحقـق الثـورة المـراد لكن التـدخل الخـارجي لصــالح النظــام القــديم يجعــل الثــورة تنتهي إلى الفشــل .. وفي هــذه الحالــة تمــارس المجموعــة الحاكمة عنفاً مضاداً يتسم بالشراسة .. ويستهدف تدمير الكوادر الثورية .. وإيقاف التطـور التـاريخي للبلاد .. كما تلجأ المجموعـة الحاكمـة رغم ذلـك – إلا في الحــالات الــتي تكــون فيهــا متخلفــة جــداً ومحرومة من الرؤية السـليمة – إلى تحقيـق بعض مطالب الشعب .. والتقيد تكتيكيا بجزء من برنامج الثورة نفسها ..

وقد تحقق الثورة المراد لكن الثورة المضادة التي تقوم بها المؤسسـات العميقـة بالدولـة مـع أنصـار النظام القديم .. وبـدعم خـارجي إقليمي ودولي .. مستغلة حالة الفوضى في مرحلة البنـاء .. فتعمـل وفــق تقنيــات الثــورة في التحــريض والتعبئــة ..

وتعمل على استعادة النظام القديم .. وإذا قلنا أن الثورة هي الانتقال بالبلاد إلى التطور ومستقبل جديد .. فإن **الثورة المضادة انتقال بالبلاد إلى واقع أكثر تخلفا .. وأشد عنفاً ..**

نجاح الثورة ضد المستعمر يقاس بالقدرة على: طرد المستعمرين وعملائهم وتحطيم سلطتهم .. بناء نظام جديد يضمن تطور البلاد .. ثم تأمين البلاد من الوقوع في حبائل الاستعمار الجديد الذي يحاول العودة متنكراً بثوب اقتصادي أو ثقافي أو على شكل حلف سياسي عسكري ..

نجاح الثورة على الأنظمة الفاسدة يقاس بالقدرة على: تحطيم النظام القديم وإزالته بمؤسساته والاستيلاء على السلطة .. بناء النظام الجديد وبناء واستحداث ما يناسبه من مؤسسات بعقلية جديدة .. تأمين النجاح بحسن إدارة العلاقات بين فئات المجتمع المختلفة لعلاج الأزمات الاجتماعية والاقتصادية بهدف الوصول إلى التقدم والتطور الذي يشبع رغبات ويحقق طموحات الشعب .. إنشاء جهازي أمن ودفاع جديدين ومسلحين تسليحا قوياً إن لم يكن أفضل من الجيش القديم فمثله وبكوادر جديدة تابعين لقيادة الثورة لمواجهة أطماع وأوهام العسكر .. وبدونهما لن تنجح أي ثورة وستكون معرضة للانقلاب عليها .. من الملاحظات المهمة هي ضرورة إخراج جميع الرتب العسكرية الكبيرة المعروف ولاؤها أو التي تم تربيتها تحت عين العدو .. من قيادة القوات

المسـلحة .. ودعم الجيش بعناصـر سياسـية من كوادر الثورة ..

***

العدوى الثورية:

ظاهرة تاريخية .. الثـورات تنتشـر بالعـدوى حـدث هذا في أوروبا كمـا حـدث في الجـزء الصـيني من أسيا .. وأمريكا اللاتينية كما تجلى ذلك في الـدول العربيـة .. فعنـدما تقـع ثـورة في بلـد مـا تنتقـل العـدوى الثوريـة إلى البلـدان المجـاورة مشـجعة على خلـق منـاخ ثـوري فيـه .. خاصـة إذا كـانت مجموعـة الـدول المتجـاورة تعـاني من نفس الظروف التي ولدت الثورة الأولى ..

والعـدوى الثوريـة تختلـف عن تصـدير الثـورة .. فتصدير الثورة محاولة لنقل الثـورة من بلـد لآخـر لم تنضـج فيـه الحالـة الثوريـة بعـد .. في حين أن العـدوى هي انتقـال طـبيعي بين الـدول لتشـابه الواقع بينهم ..

مقاومة العدوى الثورية

تعـاني الـدول المجـاورة لبلـد الثـورة من إمكانيـة انتقـال الحالـة الثوريـة لبلادهـا خاصـة مـع تشـابه الظروف والمناخ .. فتعمل هـذه الـدول على دعم الأنظمـة السـاقطة .. ومسـاعدتها على مقاومـة

الثــورة .. وقمعهــا .. وتــوفر للأنظمــة الســاقطة السـلاح والمـال .. والبعـد الإقليمي والمجهـود الإعلامي .. لذلك نرى النظام السعودي والإماراتي .. واليهــودي؟! تحــالفوا على تقــديم الــدعم الإقليمي .. فقــدموا الســلاح والمــال والــدعم السياسي .. كما فتح بعضهم العديد من الفضائيات بهـدف إسـقاط الثـورة واسـتعادة نظـام مبـارك .. وحـاكم الكيـان السـعودي الآن وعلى لسـان وزيـر خارجيتـه يطمئن نظـام السيسـي بتوفـير الـدعم المادي وتعويض البلاد عن الدعم الغـربي الـذي تم قطعه ..

وهكـذا تفعـل الثـورات في فضـح الحلفـاء .. فهـل تأمـل الأمـة الإسـلامية من وراء الكيـان السـعودي موقفـا واضـحا من القضـية الفلسـطينية .. لقـد زايدوا في الرد واتخـاذ المواقـف ضـد السـادات .. ثم قــدموا المبــادرات والوعــود .. وعلى رأســها مبادرة آل فرعون حاكم الرياض ..

في الختام:

الثورة .. تعتبر كالحرب عملاً عنيفاً مدمراً تتعــرض فيـه البلاد للنكبـات والمآسـي .. ولكنهـا تبقى رغم ذلـك من العنـف العـادل (على اعتبـار أن الثـورة المضادة عنف قمعي غير عـادل) الـذي يسـتهدف تحريــر الإنســان من القهــر الوطــني أو القهــر السياسي أو الاجتمـاعي أو الاقتصـادي بعـد فشـل جميع السبل الأخرى للتحـرر .. وتبقى الثـورة رغم طابعها العنيف عملاً ضرورياً لكسـر القشـرة الـتي تمنع التقدم .. وإعطاء الشعب زخماً يساعده على

الانطلاق نحـــو حيـــاة أفضـــل .. ومســـتقبل حـــر وكريم ..

ولقد أدت الثورات إلى تحقيق منجزات ضخمة في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعيـة والسياسـية والثقافية .. وحـررت شـعوباً كثـيرة من الاضـطهاد والاسـتغلال .. وسـمحت لهـا بالمشـاركة في بنـاء حضــارة العصــر .. فكــانت (الثــورة) من هــذه الزاوية عملاً حضارياً أفادت منه الإنسانية جمعاء ..

على هامش الثورة المصرية[15]:

الثورات وسيلة التغيير لدى الشعوب لا الجيوش .. الانقلابــات العســكرية هي وســيلة التغيــير لــدى الجيــوش لا الشــعوب .. الجيش عنــدما يواجــه المحتـل فهـو في حالـة حـرب لا ثـورة .. والجيش عندما يواجه الشعب يكون في حالـة فقـدان وعي وولاء .. ويكـــــــون في حالـــــــة انقلاب عقلي وعسكري .. الثـورة عـادة تلـبي مطـالب ورغبـات الشـعب وتحقـق طموحاتـه .. الانقلاب العسـكري ينفذ أوامر الجهة الـتي تقـف وراءه بقهـر الشـعب وتدمير أحلامه .. عقيدة الثورة السعي إلى الأمــام وفـــق التطـــور الطـــبيعي لرغبـــات للشـــعوب ومرجعياتهــا العقديــة ووفــق شــريعتها .. الانقلاب يســير بــالبلاد للخلــف وفــق الهــوس الــدكتاتوري والشذوذ الفكري لقادة الانقلاب .. عادة مـا يكـون

---

15 هـذا تحليـل سياسـي عن تجربـة واقعيـة وبالتـالي حينمـا يـأتي ذكـر الديمقراطية أو الدستور أو الانتخابات أو غيره فهذا لا يعبر عن قناعـات كاتب المقال بهـا .. كـاتب المقـال ينتمي إلى المدرسـة الجهاديـة ومن قاعدة الجهاد تحديداً ..

العنف في التحول الثوري أكبر منـه في الانقلابـات العسـكرية .. كمـا جـرت العـادة أن العنـف بعـد الانقلاب العسـكري لا يطـاق ويكـون أكـثر دمويـة وبوسائل غير شريفة بهدف كسر إرادة الشـعب .. المحاكمات في الثورات تقـوم عـادة على أسـاس عــادل لمحاســبة المتســببين عن جــرائم العهــد السـابق .. وفي الانقلاب العسـكري فالمحاكمـات تقوم على تهم باطلة وتكون عنيفة وحاسـمة بغيـة التخلص من الرموز والكوادر .. العسـكر لا تمكنهم قــدراتهم الذهنيــة والنفســية من قيــادة الأمــة وتطويرها بقدر ما يدمرونها .. القيـادات الإسـلامية (السياسـية والتربويـة والفكريـة) للثـورات تلـبي مطــالب الشـعوب وتحقــق طموحاتهــا وتســعى لتطوير البلاد .. الانقلاب العسكري إذا كـان ضـمن وســائل الثــورة المضــادة يــدخل البلاد في كارثــة اجتماعيــة وثقافيــة واقتصــادية وسياســية وعزلــة داخليــة وخارجيــة وأنهــار من الــدم .. وحالــة من التخلف التاريخي تؤدي إلى انهيار البنية الأساســية للدولة وفقدان لعقـدها الاجتمـاعي .. وقـد تتحـول لعدة إمارات صغيرة متشاكسة .. في عصر تجـاوز الانشــــقاقات والتفتت وتحــــول إلى تحالفــــات واتحادات ضخمة ..

السؤال الذي يطرح نفسه .. ماذا حدث في مصــر قبـل وبعـد يـوم الــ25 من ينـاير؟ .. وهـذا ينقلنـا مباشــرة لســؤال آخــر .. هــل كــان في الأفــق مقدمات لثورة؟ .. فآثرت قيادة الدولـة السياسـية والأمنية افتعالها لإفشالها قبل نضجها .. كما حـدث

تمامــاً في انقلاب 23 يوليــو 1952 من القــرن الماضي .. أم أن قيادة الجيش هي التي أرادت أن تسـتفيد من مقـدمات الثـورة منطلقـة من منـاخ العدوى لثورة تونس فافتعلتها لتحقق مأربهـا .. ثم تضخم الأمر عليهم جميعا وخـرج عن السـيطرة .. وما تم بعدها من دخول قيـادة الجيش على الخـط الثـوري وفـرض الوصـاية عليهـا .. ثم العبث بهـا وبكوادرها .. وحماية مؤسسات الدولة العميقة من أن تمس .. والوصـول لحالـة من التيـه الثـوري .. والعبث بمـــا اخـــترعوه هم من تلمـــود أســـموه بالدســـتور .. والتلاعب بالشـــعب في انتخابـــات واســـتفتاءات .. وبتنزيـــه الفاســـدين وشـــيطنة المخلصين .. كل هـذا يجعلنـا نتسـاءل مـاذا حـدث قبــل وبعــد الخــامس والعشــرين من ينــاير في كواليس الدولة؟!! .

إن كان هناك سببين رئيسيين للفشـل الثـوري في مصر .. فأولهما: عدم وجود وحـدة فكريـة تناسـب الشعب المسلم ليجتمع تحتها وتشكل لـه مرجعيـة ثابتة يأوي إليها عنـد الخلاف .. فتزيـد من تماسـك صف الثوار .. فالواقع كان متاهة فكرية ضل الثوار في ثناياهــا .. الثــاني: فقــدان الانتفاضــة لقيــادة تحركهـا وتنظمهـا .. وكـان من المنطـق أن تعمـل الانتفاضة على إفـراز قيـادة حقيقـة .. على القمـة تواجد أبو إسماعيل كرمـز أثـار الكثـير من الجـدل وألهم الكثـــير من الثـــوار وأقلـــق الكثـــير من المتربصـــين .. وتواجـــد الإخـــوان كتنظيم يمكن القبول به مؤقتاً .. ومع ظهور حازم أبــو إســماعيل

من جيل الشباب الثوري كنموذج لإفراز الانتفاضة لقائد حقيقي .. لكن الرجل كان واضحا بشكل أحرج الشركاء في الانتفاضة من أصدقائه الإسلاميين أو من الحلفاء العلمانيين .. فتحالف عليه الشريك والصديق والعدو .. فالتحالفات على الانتفاضة بين القوى الخارجية ومؤسسات الدولة العميقة والتيارات التي ركبت على الانتفاضة علمانية ولبرالية وإسلامية هزمته .. واليوم وقد عادت أجواء الثورة مرة أخرى فعليهم أن ينتبهوا فيسدوا هذه الثغرة العظيمة ..

من الأسباب الرئيسية أيضا هو عدم وجود برنامج لبناء الدولة فالشعب كان يريد .. إسقاط النظام .. ثم .. عيش حرية عدالة اجتماعية .. كيف .. برنامج إسلامي؟ أم برنامج لبرالي؟ أم برنامج اشتراكي؟ .. دخلت الانتفاضة في متاهة .. ومع التمايز الذي حدث قبل وبعد الانقلاب .. وارتماء اللبراليين والديمقراطيين والاشتراكيين والناصريين في حضن الانقلاب .. لم يبق للشعب إلا الله والعودة إليه والثقة به .. ثم في التيار الإسلامي ..

ولكن الوقت كان قد مضى لتأمين الانتفاضة .. كما أن المناخ لم يعد مناخ الانتفاضات السلمية .. أو حشد المتجمهرين في مدينة أو اثنين فقط .. لقد كان الحل الوحيد في هذه الحالة هو تفشي الاعتصام في كافة أنحاء الدولة .. والدعوة إلى عصيان مدني عام يعم الدولة كلها .. ولكن منصة رابعة تباطأت كثيراً في الأفكار الحركية وبالتالي

في تنفيــذها .. وانشــغلت بــالأجواء الإيمانيــة .. والمهرجانات الكلامية ..

من الأسباب الرئيسة أيضا التهاون مـع مؤسسـات الدولـة العميقـة وعلى رأسـها القضـاء الفاسـد .. الذي أفسد التجربـة الثوريـة بعبثـه الدسـتوري في إسقاط مؤسسات الثورة المنتخبـة .. والأسـوأ من عبثه قبول القوى الثورية لقراراته بدلا من رفضـها والقضاء عليه .. وتستر القضاء على كل عتل زنيم من بلطجيـة المخـابرات الحربيـة ووزارة الداخليـة وأمن الدولـــة .. وأفـــرج عنهم وقضـــى على المخلصين بـالحبس .. والأنكى والأسـوأ هـو قبـول الثـوار لهـذا بـردود فعـل مؤسـفة .. وانقسـامات مخزية ..

لقد كان الأولى عندما اكتشـفوا حقيقـة القضـاء .. ولتلافي هذا الضـرر الفـادح كـان على الثـوار بنـاء قضائهم الشرعي المنبثق من موروثاتهم الإسلامية .. وإحـــراق القضـــاء الحـــالي ودســـتوره في مستوعبات محارق التاريخ ..

ومن الأسباب الرئيسـية أيضـا إهمـال الحسـم في العلاقات الخارجية .. وترك تحـالف اليهـود وحكـام الكيان السعودي وصبيانه في الإمـارات يتنافسـون بأموال المسلمين في دعم النظام القـديم .. وفتح قنوات لأبواق إعلامية فاسدة خلقاً وديناً للتحـريض على الانقلاب .. والسينمائيين الذين سـحروا أعين الناس .. بخدعهم وخداعهم وكلامهم المعسول ..

إن سـيل الـدماء الـتي امتلأت بهـا أفـواه التحـالف اليهــودي وحــاكم الريــاض وصــبيانه في الخليج .. دافــعٌ عظيم يحــرض الثــوار على تصــدير ثــورتهم لإسقاط هؤلاء المجرمين .. لتحرير شعوبهم أولاً .. ولتقتص للدماء المسلمة الطاهرة ..

أمـا اليهـود فيـومهم قـادم إن شـاء اللـه لا محالـة وأقسم على هذا .. كما أن عليهم أن يعـاقبوا هـذه الأبواق وهؤلاء السينمائيين بعنف وقسوة فأيــديهم ملئ بالــدماء الطــاهرة وجيــوبهم ملئ بــالأموال النجســة .. وحكم هــؤلاء وحكم كــل من اصــطف تحت راية السيسي أو دعمه بـأي نـوع من الـدعم كــان ولــو بشــق كلمــة .. حكمهم حكم السيســي نفسه .. لا فرق بينهم .. وسواء كـان من مصـر أو جزيرة العرب أو غيرها من الأنظمـة أو الجمعيـات أو الهيئات أو المؤسسات أو الأفراد ..

ومن الأســباب الرئيســية أيضــاً بقــاء طبقــة كبــار الضــباط على رأس الجيش بعــد الثــورة .. وهم طبقــــة لا تنتمي للشــــعب ولا تحمــــل همومــــه وطموحاته ولا تستشعر ألامـه ولا آمالـه .. بـل هم نتــاج انتقــاء والتقــاط غــربي لعناصــر شــاذة من الجيش قُــــدمت وربيت لخــــدمتهم .. وخدمــــة مصــالحهم .. والشــاهد أنهــار الــدم المنحــدرة من رقبة الشعب المذبوح .. ولا دمـوع في عيـون دنيـا الديمقراطيـة ولا خجـل من فعلهم .. فعلى الثـوار أن يحـاكموا هـذه الطبقـة أمـام محكمتهم الثوريـة الشــــرعية وعقــــابهم بلا اســــتئناف أو نقض ..

فالشعب لم يرى منهم إلا الويلات والخيانة ورداءة الأخلاق ..

آمل أن التهاب الثورة الحالي ضد الانقلاب يستفيد من هذا الدرس: وأن يلتف حول قيادة مخلصة .. وأن ينتبه للعبث الذي أدخله فيه دعاة العلمانية والليبرالية وحواة السياسة من أمثال البرادعي ومخلفات ديمقراطية مبارك وأحزابها الكرتونية وتلون حمدين وموسى .. وأن يقطع ألسنة الأبواق الإعلامية التي أفسدت وحدته .. وعلى جموع الشعب المسلم أن **تزيل** مؤسسات[16] الدولة العميقة وتقضي على الرتب الكبرى في الجيش فولاؤها لأعداء الأمة ..

كان ينـ25ـاير انطلاقة لتحرر الشعب من كثير من المعتقدات والأوهام .. وكسرت العديد من القيود والمحظورات التي جعلت لعقله سقفاً لا يتجاوزه .. وأسقطت هيبة النظام وهالته من قلبها وعقلها .. وأزاحت الخوف من نفوس المصريين وغيرهم وأعادت لهم مشاعر الإحساس بآدميتهم .. ووضعت التيار الإسلامي أمام حقيقة تخاذله السابق عن نصرة المجاهدين أو الوقوف في وجه الطاغية وأسروا أنفسهم في تيه الفتنة

[16] استفاد المنظرون من (كومونة باريس 1871م) على أن الشرط الأول لنجاح أي ثورة شعبية هو **"عدم نقل الآلة البيروقراطية والعسكرية من يد لأخرى بل تحطيمها"** .. ولا شك أن الانتفاضة المصرية أهملت تماما الدروس المستفادة من كومونة باريس .. للأسف فالثوار لم يبقوا على مؤسسات الدولة العميقة فحسب بل سلموا لها القياد والتزموا بأحكامها القضائية التي حرمتهم كل مكتسباتهم ..

ومصلحة الدعوة .. وما خرجوا منه!! على أمل أن ينبغ جيل جديد ..

ورغم كل الارتدادات الحالية منذ الثالث من يوليو إلا أن الشعب عرف دروب النجاح وعرف أسباب الفشل .. وقادم الأيام إنشاء الله له لا عليه .. ومهما أثقله الأعداء بنكبات ومآسي فالشعب إن صمد وصبر في تقديم التضحيات .. واتبع سبيل المؤمنين .. إن شاء الله وفقه الله ليحقق طموحه .. "بإسقاط الانقلاب وتحرير البلاد من التبعية الغربية .. ولبناء نظام على أساس توجيهات رب السماوات والأرض في الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية أي نظام رأسمالي تكافلي مع حكم إسلامي حقيقي" ..

بيَّن انقلاب الثالث من يوليو حقيقة بعض الشرائح المنتسبة زوراً وبهتاناً للتيار الإسلامي أولاً والأمة ثانياً .. فهم ممن اصطفوا تحت راية السيسي .. وتحالفوا معهم على الإسلام أولاً .. وهم من العدو فاحذروهم .. تيار سلفية "الحاخام ياسر برهامي" وتيار المداخلة .. فضحهم الله أجمعين .. ولن ينالوا من السيسي خيراً في الدنيا .. وإن شاء الله في الآخرة لهم من الله ما يستحقون ..

أضاف انقلاب الثالث من يوليو نتائج مهمة أيضاً .. تعرف الشعب على حقيقة العسكر الذين نهبوه وسخروه طوال 60 سنة .. فأدرك على من تكون انتفاضته القادمة .. انتبه لأخطائه في 25 يناير ولن يكررها إن شاء الله .. تعلم من أسلوب

الانقلابيين كيف يسيطر على مفاصل الدولة .. وهي دروس ما كان ليفهمها كما بينتها التجربة العملية .. خاصة أنه دفع ثمن هذا الدرس أنهاراً من دمه ..

أوجد خطف الرئيس محمد مرسي أرضية تحالف قوية بين الشعب والتيار الإسلامي .. كما فعَّل نوع تآلف بين شرائح التيار الإسلامي لمواجهة هذا الصائل الذي لن يترك أي منهم ..

هذا التفاعل والتمازج إن كتب له التوفيق آمل أن يكون مدخل لحالة من التوافق بين شرائح التيار الإسلامي تعالج فيه مسائل ورؤى التغيير المتباينة .. فالمناخ الثوري الجهادي أكثر صحة وحركة من مناخ السجن والأسر .. والله الموفق.

ولا أنسى قبل مغادرة المقالة أن أشير في هذه العجالة لدور القوى الدولية[17] في الصراع مع الشعب والدين ونظرتهم لهما كجسم واحد هو المسلمون .. فالحروب الحالية التي تشنها علينا أمريكا وإسرائيل وحلف الناتو .. والحروب المستقبلية التي تلوح في الأفق .. تتعرض شعوبنا فيها لحملة إبادة حقيقية .. بوتيرة متفاوتة من مكان إلى آخر .. ومن وقت إلى آخر .. لكنها حملة ماضية بكل عزم في طريقها .. إن مسئولية الدفاع عن الأمة تقع على الأمة نفسها .. وعلى أبنائها من المطاريد .. لأن الأنظمة والحكومات القائمة كما بات معلوما للجميع هي طليعة لقوات الغزو الغربي علينا .. وجيوشها هي يده الممدودة

[17] من كتاب حرب المطاريد المهندس مصطفى حامد ..

إلينا بالبطش والتنكيل المبكر .. لتحطيم مقاومتنا وتكبيلنا أمام الهجوم حتى يفرضوا علينا الهزيمة والاستسلام.

هذه الأنظمة يجب إقصاؤها بأي وسيلة ممكنة .. ومحاكمة مسؤوليها على جرائمهم في حق الدين أولاً لأنه المرجعية التي ما تحركوا إلا لنزعها من قلوب الناس .. وثانياً الشعب .. الذي مصوا دمائه بجرائم الفساد والسرقة والقتل .. والتعاون مع العدو الأجنبي .. وخيانة الشعب والدين والوطن .. والإفساد المتعمد للبلاد والأخلاق والبيئة والاقتصاد والتعليم والصحة العامة .. ثم الدفاع والأمن اللذان تحولا إلى خدمة أعداءنا في الخارج وليس حماية الوطن والدفاع عنه.

على مصر حتى تتحرر ويكون قرارها بيد أبنائها وفق بناء تغييري متكامل أن تعد نفسها للقيام بثورة تشمل ثلاث ميادين .. الميدان الأول على الدولة العميقة وانقلابها .. والثاني على التدخل الإقليمي .. والثالث على التدخل العالمي .. فإذا وفقت فيهم فهي مضطرة لأن تخوض حربين مفروضتين لا خيار لها .. استكمالاً للثورات أو تطويراً لها .. فالأولى على التدخل الإقليمي.. والثانية على التدخل العالمي .. ولن أجادل في نوع أو أسلوب أو وسائل الحرب أو الثورات .. فنوعها ينبع منا .. ومن إصرار العدو على إبادتنا .. والعمل الثوري أو الحربي هو علم وفن وموهبة .. وهما سياسة واقتصاد وقتال .. المهم كيف؟ وأين؟

ومتى؟ وضد من؟ .. وتفسير هذه الفقـرة سـيكون إن شاء الله في مقال آخر ..

ولا يفوتني أن ألخص المقال في ثلاث جمل فقط:
لا يمكن تصور حدوث تغيـير أو تحـول (إسـلامي) للنظام **دون ثورة مسـلحة** .. ولا يوجـد احتمـال لاستسلام النظام **دون مقاومة مسـلحة** .. كمـا لا يوجد احتمال أن يُهـزم النظـام دون اللجـوء إلى **الحرب المضادة للثورة** ..

***

انتهينـا في هـذه المقالـة السـريعة من التعريـف بالثورة .. قبل دقائق من إخراج مبـارك من سـجن طره .. المقال القادم إن شاء اللـه في الانتفاضـة الشـعبية .. والـذي يليـه في الثـورة المضـادة .. وأخيراً حرب العصابات

عابر سبيل
14 شوال 1434هـ - 22 أغسطس 2013م

اقتبس في المقال جمل من:
الموسوعة العسكرية - كتاب حرب المطاريد

في الثقافة الثورية (2)

الانتفاضة الشعبية (المسلحة)

هي تحـرك عـنيف من جـانب الشـعب .. وقـد تسلحت منه مجموعات .. لاستخلاص السلطة من أيـدي فئـات تفـرض أوضـاعاً جـائرة على الغالبيـة العظمى من الشعب .. سـواء كـانت هـذه الفئـات

منتمية للبلد أو غريبة عنه .. وسواء كانت هذه الأوضاع عقدية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أمنية أو عسكرية .. وفي حال نجاحها تفرض سلطة جديدة ..

الانتفاضة ليست عملا عسكريا بحتا .. ولكنها حركة ثورية قوية .. وعمل سياسي - عسكري .. وهي فن وعلم .. فن يعتمد على موهبة وحساسية القيادة .. سواء في الإعداد لها سياسيا وعسكريا .. أو في اختيار لحظة البدء التاريخية .. كما أنها علم له قواعد ودورات دراسية ..

تتبع الانتفاضة قواعد الفن العسكري .. وتعتمد وجود خطة عسكرية ذات طابع هجومي .. وهي تتطلب من المجموعة القيادية حزب كانت أو جماعة بطولة وتضحية .. وفهماً أمنياً عميقاً لكل أدوات وحيل النظام الحاكم .. كما تتطلب منهم خططاً مرنة وقيادة حازمة ..

خاصة في هذا الزمان الذي تطورت فيه وسائل القمع .. وتضخمت أجهزة الأمن والرقابة .. وتعاونت على سحقها الدول وفق مصالحها بشكل سافر .. وليس مبادئ (وهم) الماضي التي روجوها عن أنفسهم من نصرة الشعوب المسحوقة ضد الاستبداد بكل أشكاله .. وحقوق الإنسان .. فمع عصر التقنية والفضائيات والهاتف المحمول والإنترنت .. ارتفع مستوى الثقافة لدي البشر .. وسقطت الأقنعة وظهر مدى قبح الوجوه .. خمدت روسيا بوجهها البغيض مع تحلل الاتحاد

السوفيتي .. والعالم المستبد يـرقص على ألحـان أمريكيـة .. يعزفـون بالرصـاص ويـؤدون رقصـة الموت في محراب الحرية .. يا لهـا من سـخرية .. أمريكا تدعم وتمول دكتاتورية العسكر ضد شعبهم بـل وتحرضـهم على القتـل وبقسـوة .. وتشـجعهم على استخدام فرق القتل المحترفة بلا رحمـة في إبـادة الشـعوب .. وكـأنهم قـد ورثوهـا من "بابـك الخـرمي" .. وتتبـاكى بـدموع التماسـيح ليس على الشعوب ولكن على أرباحها المعطلة ..

الـدور الـدولي بـات ينصـر من يخـدم عقيدتـه (المصلحة والانتهازية) حتى لو كانت أقلية وافـدة على البلاد طالما أنها تحمي مصالحه .. ويقف ضـد عقيـدة أغلب الشـعب الـذي يطمـع في اسـتقلال بلاده اسـتقلالاً حقيقيـاً .. فالـدول القويـة سـوف تخسر ما تجنيـه من مكاسـب وتـدخل في أزماتهـا الحقيقية .. وتعيش مـع شـعوبها هـزات قـد تـؤدي إلى تقسيمها أو زوالها .. حال استقلال الدول التي تسيطر عليها ..

في الثورات العربية الحديثة في مطلع القـ21ـرن عجـائب وغـرائب .. منهـا أن المجلس العسـكري المصري يتولى قيادة الثورة .. رغم أن الثـورة في مضـمونها قـامت ضـد العسـكر وحكمهم .. وعمـا قليل سيكتشفون أن الثورة في أصـلها كـانت ضـد القوى الأجنبية (أمريكا) ووكيلها (العسكر) .. ورغم ذلك تـولى العسـكر قيـادة الثـورة؟!! .. ومنهـا مـا صارت إليـه الأمـور في اليمن .. فالـذي يقـف في

خلفية الصورة اليمنية هو النظـام السـعودي الـذي يعمــل على إذلال الشــعب اليمــني بكــل صــور القهر .. إلا أن النظـام السـعودي هـو الـذي تـولى علاج القضية اليمنية .. واختار شاويش آخر لقيـادة اليمن تحت وصايتهم .. وكان أكـثر مـا أثـار العجب في تاريخ الانتفاضـات .. اسـتدعاء الثـوار في ليبيـا للغــرب لمســاعدتهم .. ولا يخفى على أحــد مــا للغرب من أطماع في بلد يطفـوا على بحـيرة من النفـط مـع قلـة سـكانية منتشـرة على مسـاحة ضخمة .. ناهيك عن أن النظام القبيح الذي يقاتلـه الثوار هو وكيل عن قوى خارجية ..

والخلاصــة في عجـائب ثـورات القـرن أن الـذين قامت ضدهم الثـورة هم الـذين تولـوا قيادتهـا في مرحلة لاحقة .. وأعادوا الأمور إلى سابق عهدها .. وانتهى الزخم الجماهيري إلى لا شيء ..

هذا يقودنا بالضرورة إلى وقفة مع التعريف:

1- لماذا تحرك عنيف؟! ..

أدرك الشـــعب من خلال تجاربـــه الســـابقة أن اسـتخدام القـوة أصـبح ضـرورة كـأداة للتغيـير لا يمكن النجاح بدونها .. كما بنيت هذه العقيـدة على أساس أن القوة القديمـة والـتي تـرفض التغيـير لا تتنحى جانباً مرحبـةً بـالقوى الثوريـة .. إن النظـام القديم يرغم الثوار على ذلك إرغامـاً ومثالـه الحي الآن هـو (الثـورة الليبيـة 2011) .. فقـد كـان رد فعل نظام القـذافي وأبنـاءه في مواجهـة انتفاضـة

سلمية بحرب استئصال وعمليات انتقام وحشية .. وأدار آلات القتل من جيش وشرطة على الشعب الأعزل .. وزاد في غيه فاستأجر مرتزقة لاغتصاب النساء وقتل الرجال .. فلم يعد أمام الثوار إلا خيارين: إما أن يقاتلوا .. أو يبادوا ..

ولهذا يتحرك الثوار في هذا النوع من الثورات من أجل أهداف محددة .. فهم لا يكتفون باستلام السلطة وأدواتها .. ولكن مهمتهم هي تحطيم مؤسسات الدولة كشرط لنجاح ثورتهم .. فالدور الخطير الذي تلعبه مؤسسات الدولة العميقة في الثورة المضادة أصبح واضحاً تماما من خلال تجربة الثورة المصرية التي تغافلت عن تحطيم المؤسسات العميقة ولم تحاسبها وعمدت للتصالح معها .. حدث هذا في لحظة التنحي التاريخية لقمة النظام السياسي (تنحي مبارك فبراير 2011) .. حيث استلمت المؤسسة العسكرية القيادة .. القيادة السياسية للبلاد والقيادة الثورية للثورة!! .. وتبعها الشعب .. لتسقط ثورته بعد ذلك في منتصف (2013 انقلاب السيسي) .. بعدما أسقطت المؤسسات المنتخبة من قبل الشعب واحدة تلو الأخرى!! .. باختصار المجلس العسكري المصري قام بدور الطليعة المسلحة للثورة ودور القيادة السياسية .. وهذا قمة العجب في ما يسمى ثورات الربيع العربي ..

ما حدث في مصر هو درس لا يصح أن يمر أمام أعين الشعوب دون النظر العميق والتحليل

الـدقيق لكـل مراحلـه .. في بدايـة الانتفاضـة ومسيرتها ونهايتها .. وقد استعرضنا جزء من ذلـك في سلسلة مقالات بعنوان "يا مـا في الجـراب يـا حاوي" .. فيرجع إليها ..

2- الطليعة المسلحة:

هذا العنصر يؤكد على أسبقية اختيـار قـرار القيـام بانتفاضـة مسـلحة في عقليـة القيـادة .. وكـل الخطوات التالية تعتمد على هذا القرار .. فالإعداد والتجنيـد والوسـائل الـتي يتم تحضـيرها والخطـط التي تناقش .. وتجهيز نفسية الشعب والتوجيهـات والقصـص والأدبيـات .. تـدور كلهـا حـول اسـترداد الحقوق بالقوة .. وأي قوة عادلة كـانت أو ظالمـة لا تتحرك إلا من خلال تغطية سياسية .. والدعوات الصالحة تحركهـا الأولي هـو تحـرك سياسـي .. ثم يتطور تدريجيا وفقا للخطـة والظـروف المصـاحبة لها ..

الجماعـة أو التجمـع أو الجبهـة الـتي تقـرر قيادتهـا القيام بانتفاضة مسـلحة .. يلزمهـا أن تكـرس كـل جهودهـا للإعـداد لهـا .. والبـدء بمرحلـة جديـة في حياة الجماعة ونشاطاتها .. وتجهيز مجموعـات يتم تدريبها سياسياً وأمنياً وعسكرياً وعقدياً .. لتمارس العمل المسـلح في وقتـه .. إن لحظـة اتخـاذ هـذا القـرار (الانتفاضـة المسـلحة) مهمـة وحاسـمة .. تماماً كلحظة اتخاذ قـرار البـدء بشـن الانتفاضـة .. فالعمـل العسـكري لا يمكن ارتجالـه أبـداً في الانتفاضة .. ولا بـد من الإعـداد لـه بشـكل منهجي

كامـل طويـل .. وأي إهمـال أو تقصـير في هـذا المضمار يؤدي إلى الفشل حتى لو كانت الظروف السياسية مواتية .. أما التراجع وتغير الإسـتراتيجية فهو النهاية وستكون قاسية ومؤلمة.

الطليعة هي عنـوان الانتفاضـة وقوتهـا الضـاربة .. وبحسب قوة وتماسك هذه الطليعـة يكـون شـكل الدولة المسـتقبلية .. فـإن كـانت الطليعـة مؤهلـة للتعامـل مـع قضـيتها بمثاليـة ودقـة فهكـذا تكـون الدولـة .. وإن كـانت ارتجاليـة ومشـتتة وقاسـية وعنيفة بلا عقل أو أيدلوجية توجهها فـإذا قـدر لهـا النجاح فهكذا تكون دولتها .. ولهـذا يجب الاهتمـام بها وبذل قصارى الجهد والوقت لإعدادها ..

3- الهدف تدمير السلطة القائمة:

يسـبق الانتفاضـة إعـداد شـعبي واسـع لتهيئـة الجمـاهير وتعبئتهـا .. بهـدف نقلهـا إلى مسـتويات ومراحل من التضـحيات والقتـال أعلى .. فالبدايـة دائمـا تكـون بـإطلاق الشـعارات والإضـرابات والتظاهرات والاعتصام .. ثم تنظيم فئات الشـعب خاصـة تلـك المنضـوية تحت لـواء الجماعـة في وحدات قتالية .. وتجعلها رأس الحربـة تنضـم على إثـر ضـرباتها الجمـاهير تباعـاً .. كمـا أن هـذه المجموعات هي التي سـوف تتقـدم الشـعب عنـد البدء **بهدف** تـدمير القـوات العسـكرية المضـادة وتجريـدها من السـلاح والمواقـع الحيويـة .. كمـا **تعمل** هـذه الطليعـة على المؤسسـات القويـة (مقر قيادة الجيش والأركان) وعلى المؤسسات

الحكومية (وزارة الداخلية ومراكـز القمـع الأمـني من مقار أمن الدولة ومراكـز الشـرطة والسـجون والمعتقلات السـري والـوزارات والإدارات الحكومية كالمحكمة الدسـتورية ودار القضـاء ومـا يتعلق بالوزارات من أندية خدمية وخلافه) .. كمـا تعمل على السيطرة على المؤسسات الاقتصـادية (الغرف التجارية والبورصات والبنوك والشـركات الكبيرة والمصـانع ...الخ) والمؤسسـات الخدميـة (محطـات القطـار والباصـات ومراكـز البريـد والهـاتف وشـبكات الميـاه والكهربـاء والكبـاري والجسور الحيوية ...الخ) والمؤسسات الإعلامية (التلفاز والإذاعة والفضائيات خاصة المناوئة ومقـار الصحف والمطابع ...الخ) .. والمتطوعين (مراكز وحدات المتطوعين لنصرة النظام خاصة تلك التي توفرهـا الكنـائس بشـكل سـري ...الخ) .. كمـا لا تخلـوا الأهـداف من الجـانب الشخصـي المحصـور في اغتيـال وخطـف الشخصـيات (القيـادات السياسـية .. العسـكرية .. قـادة وعناصـر القمـع الأمـني .. الجواسـيس والمخـبرين في طليعـة عمليـات الاغتيـال لإعمـاء النظـام .. رجـال الـدين المسـيحي ورجـال الأعمـال والإعلامـيين والسـينمائيين المتـورطين مـع النظـام .. الـذين يفتون بقتـل المتظـاهرين والمجاهـدين ويسـوغون للنظام فعاله من المنتسبين للإسـلام سـواء كـانوا رسميين أو غير رسميين) .. محصلة الأهـداف في النهاية تجرد الدولة من مصادر قوتها ..

هذه الطليعة تعوض خسائرها من خلال الشـعب .. الـذي يـوفر لهـا دائمـا الـدعم بالمـال والرجـال .. الشـعب يقـدم الـدعم الكامـل لكـل احتياجـات الانتفاضة .. التي يجب أن تكون منتشـرة في كـل أنحاء الدولة ..

ويكــون الشــعب وقيادتــه وطليعتهمــا في منتهى الحساسية والحزم .. تجاه أي تدخل خارجي سواء كان معادي أو مؤيد راغباً في احتـواء ثمـرة جهـود الانتفاضة .. فيتعامل بمنتهى العنف والحزم مع أي مؤشـرات تهـدف إلى القضـاء على انتفاضـته .. والعناصـر الأجنبيـة على أرض البلـد هـدف .. يتم التعامل معه بحكمة واقتدار لردع التدخل الخارجي ..

التدخل الخارجي الوحيد المسموح به وبحذر شديد .. هو ما كان لـه نفس البعـد العقـدي .. ونموذجـه الأمثل هو التعـاطف والتمويـل الشـعبي الإسـلامي من كافة الدول الإسلامية .. كذلك الإمداد بالرجال والسلاح .. وأيضاً التنظيمات الإسلامية التي تتبـنى نهج التغيير وقدمت في سـبيل ذلـك مـا يـدل على حقيقة هويتها ..

الحــذر كــل الحــذر من الحكومــات في الــدول الإســلامية فهي لا تــزال وكيلــة عن المســتعمر الأجنبي .. كما أن خشيتها من عدوى الثورة تجعلها تعمل وبخبث ضـد الانتفاضـة وقيادتهـا .. ولا تـدخر في سبيل هدمها شيء ..

4- الخصم الظاهر والخصوم في خلفية المشهد:

لا بـد من التعـرف على الخصـم بشـكل دقيـق .. لمعرفة أسلوبه وردود فعله هذا من طرف .. ومن طرف آخر اختيار الأسلوب الأمثل للعمل عليه ..

العمــل الثــوري الــذي يتطــور تاريخيــاً وبشــكل طـــــبيعي .. يتولـــــد من خلال منـــــاخ من الظلم والاستبداد .. يفرز قيادة تشكل حزب أو جماعة أو نواة .. تتلمس سبل خلاص الشعب من معاناتــه .. من خلال دراســة العديــد من العناصــر: "الشــعب وطبيعتــه وتاريخــه في البــذل والتضــحية .. قــدرة الشــعب على التحمــل .. نســبة الشــباب بالنســبة لأغلبيــة الشــعب .. جغرافيــا البلاد .. مــدى التفتت في النظام الحــاكم .. القــوات المســلحة وموقفهــا التاريخي .. الأمن الداخلي وتعامله ضــد انتفاضــات ســـابقة .. الأســـلحة المتـــوفرة في أيـــدي الأمن والقوات المسلحة .. مــدى تغلغــل المخــابرات في الشــعب .. طبيعــة العلاقــات الداخليــة بين رجــال المـــال والســـلطة .. وبين الزعامـــات الشـــعبية والسياســيين .. وبين الطبقــات المختلفــة ومــدى تماســك المجتمــع .. حجم الظلم والتعاســة الــتي تعيشها الشــعوب .. مــدى التنــافس على الســلطة بين المؤسسات القويــة في الدولــة .. السياســات التي يمرر بها النظام الأزمــات الداخليــة .. الوضــع الاقتصــادي للبلاد .. حجم المــدن مســاحة وســكاناً وأهميتهــا الاقتصــادية .. هــامش التحــرك والتحييــد للثوار بين متناقضات النظام .. قدرة النظــام على

استدعاء حلفاؤه في الإقليم .. رد الفعل المتوقع على الانتفاضة من دول الجوار التي تعيش شعوبها نفس الأزمات .. تفاعل الحكومات المنفتحة على شعوبها ومدى دعمها للانتفاضة .. الطبيعة الطبوغرافية للإقليم .. المضايق والمعابر البحرية التي تهم العالم أجمع .. وجود كيان معادي في المنطقة وتخوفاته من انتماءات القائمين على الانتفاضة .. مدى أهمية المنطقة جغرافيا للقوى المسماة عظمى .. حجم الثروات الموجودة والمتوقعة في البلاد والتي تهم القوى الدولية .. مدى التدخل الخارجي ووضوحه للشعب .. القوة الناعمة للدولة محل الانتفاضة وتأثيرها على الوضعين الإقليمي والعالمي ...الخ .. باختصار يتعين دراسة موازين القوة المحلية وموازين القوة الإقليمية وموازين القوة الدولية باستفاضة للتعرف على الأخطار ونقاط الضعف والقوة التي تسهم في نجاح الانتفاضة" .. وبدراسة هذه العناصر دراسة متمهلة يتحدد أمرين:

الأول: العدو الحقيقي وأذنابه ..

ثانياً: اتخاذ القرار المناسب بشأن أسلوب التغيير الذي سيمارسه الثوار لاستلام الحكم " انتفاضة سلمية .. أم مسلحة .. حرب عصابات ...الخ" ..

أعمال الانتفاضة المسلحة توجه عادة على المستوى المحلي وقد تتخطاه أحيناً للمستوى الإقليمي .. ومن هنا تنبع أهمية الدور الكبير الذي تقوم به القاعدة .. في ممارسة العمليات

الخارجية على البعد الدولي في المعادلة .. والــتي تصب بالدرجة الأولى في مصلحة الدول الثورية ..

يجب أن نؤكـــد على أن الـــدول المعاصـــرة هي الأخـرى قـد درسـت أنـواع الثـورات والحـروب .. ووضعت لهـا الحلـول المناسـبة لكـل صـنف .. من أجل إجهاضها في بدايتها أو إفشالها في أي مرحلة لاحقة .. أو القضاء عليها بالعنف الهمجي القاســي بهـدف الإبـادة والاستئصـال .. وقـد قـامت بإعـداد أجهزتها الحكومية والأمنية والقمعيـة بشـكل مـرن وفعـال لمجابهــة الانتفاضــة المسـلحة .. فنحن لا نعمل في الفراغ .. وكما نبذل فالخصم أيضاً يفعل .. والانتفاضة كفن قد يلف فيه القائمين عليها قبل الـدفن .. خاصـة إذا كـانت الانتفاضـة جزئيـة غـير شاملة .. وكانت محدودة لا تمتـد على طـول البلاد وعرضها .. من هنا وجب التحذير للاهتمام ومتابعـة النشاط الديناميكي بحيوية ..

وكمثال عن النظام في حالة الثورة المصرية فقــد تشـــكل على المســـتوى المحلي من: "النظـــام السياسي .. مؤسسات الدولة من قـوات مسـلحة ومخــــــابرات وقضـــــــاء وأمن وإعلام ...الخ .. والمؤسسـات الدينيـة الأزهـر والكنيسـة .. ورجـال الأعمــال ومؤسســاتهم الإعلاميــة .. ومؤسســة السـينما .. والأحـزاب السياسـية الـتي تلعب دور المعارضـة الافتراضـية مثـل حـزب النـور والوفـد وجبهـــة الإنقـــاذ ...الخ" .. أمـــا على المســـتوى

الإقليمي التحــالف[18] بين اليهــود وحــاكم الريــاض وحكـــام الأمـــارات والأردن والكـــويت .. وعلى المســتوى الــدولي الولايــات المتحــدة الأمريكيــة والاتحاد الأوروبي .. أما الــذين تحـالفوا مـع الثـوار فكانوا الشعوب الإسلامية دوليــاً .. وتركيـا وقطـاع غـزة وإمـارة قطـر والشـعوب العربيـة إقليميـاً .. التيـــار الإســـلامي وشـــرائح من عـــوام الشـــعب المصري محلياً ..

5- مقومات النجاح والبناء

من أهم أسباب نجاح الانتفاضـة هـو وجـود الوضـع الثـــوري .. والـــذي يســـتدل عليـــه من: تفتت المجموعــة الحاكمــة وتزايــد تناقضــاتها .. تزايــد حرمان الطبقات المسحوقة إلى حد يصـبح البقـاء فيه غـير مقبـول .. الآثـار المترتبـة على مـا سـبق والتي تعصف بالشـعوب فتـدفعها لانـتزاع حقوقهـا من مغتصبيه ..

كما أن هذه الشعوب يجب أن تكون مؤهلة للقيـام بأعمال تزلزل كيان النظـام .. فالأنظمـة المنهـارة في ذروة أزماتهــا لا تســقط حــتى تمتــد لهــا يــد لتسقطها .. ولهذا فلا بد أن يسبق الانتفاضة توعية وإعداد للشعب لنقلـه دائمـا إلى مسـتويات أقـوى في التضـحية .. فمن طـرح الشـعارات والأناشـيد الثورية .. والنكات والاستهزاء بالنظـام ورمـوزه ..

[18] هـذا التحـالف الشـيطاني مؤشـر خطـر يمثـل انشـقاق في الصـف الإسـلامي .. علاوة على ذلـك فلم تعـد القضـية الفلسـطينية بين أيـد أمينة .. وكون حماس تمثل مدرسـة الإخـوان في غـزة .. فربمـا كـانت الهدف التالي بعد الحركة الإسلامية في مصر ..

إلى المظــاهرات والإضــرابات والاعتصــام .. إلى العمل المسلح .. إلى انتزاع السلطة .. إلى تطهير الدولة .. وتحصينها .. ثم إلى البنـاء .. وقـد تكلمنـا عنه في المقالة الأولى ..

هذه الجماهير يجب أن تكـون حاضـرة عنـد نقطـة البدء .. التي لا يستطيع كائن من كان أن يحدد لهـا وقتــاً تنطلــق فيــه .. وإنمــا هي اختيــار اللحظــة التاريخيـــة .. عنـــد تـــوفر مؤشـــراتها .. والـــتي تستشعرها قيادة مؤهلة وموهوبة وحساســة لنبض الشعب ..

6- القيادة التاريخية:

القيــادة يفرزهــا منــاخ التغيــير .. وتولــد من رحم أخصبته موروثاتــه الحضـارية .. بهـا تشـبعت ومنـه انطلقت .. وينضم لها قيادات شابة خلال المسيرة الثورية .. سرعان ما تنضج وتتسلم الراية .. وتدور عجلة الزمان فتسلمها لغيرها ..

يأتي على قمة الانتفاضة المسلحة حزب أو جماعة كبيرة متماسـكة عقائـدياً وتنظيميـاً .. تمثـل قيـادة الانتفاضــة .. وعنــدما يثمــر مجهودهــا في إعــداد الشــعب .. فتشــتعل في صــدره رغبــة أوليــة في الصــراع .. وعنــدما يعي ملايين الرجــال والنســاء استحالة العيش في ظل الحكم القـائم .. ويقفـون على أهبـة الاسـتعداد لتقـديم التضـحيات .. يصـبح دور الحزب أو الجماعـة: اختيـار اللحظـة الملائمـة لشــن الهجــوم على الخصــم .. وقيــادة الشــعب

بحكمـة نحـو مواقـع القتـال الأساسـية .. وقيـادة المعركة سياسياً وعسكرياً وأمنياً خلال المواجهات العنيفة ..

لا شك أن بروز عناصر قيادية تتحمل أمانة التغيـير وتلبي مطالب الشـعب وقيـادة المسـيرة بنجـاح .. هي قيـادة فـذة وتصـنف ضـمن عبـاقرة السياسـة ورمـوز التغيـير .. وحـق لهـا أن تكـون كـذلك .. وتكمن عبقريتها في نقطتين: اختيـار نـوع الصـراع ووقت البدء .. لأن التبكير في العمل قبـل الـوقت المناسب يجهض الانتفاضة .. والتـأخير في العمـل يفوت الفرصة ..

في الانتفاضــة المســلحة يجب أن تتســم القيـادة بالحكمة .. ويتضـح هـذا من حسـن فهمهـا لمعـنى الذاتيــة والموضــوعية .. ومن ثم حســن إدارتهــا للصـراع .. باختيارهـا لحظـة الإعـداد .. والإعـداد المكثف .. والتحضير الجيد للطليعـة والشـعب في انتظار لحظة البدء .. التي تختار بحكمـة ودرايـة .. ودون تردد أو تسـرع .. ومـا أن تنـدلع حـتى تكـون طليعتها في المقدمة .. وتأخذ دورها القيـادي بكـل بطولة وشجاعة .. وقيادة الصراع بحزم وإقدام ..

استثناء في الانتفاضة المسلحة:

وهنــا ينطلــق ســؤال صــارخ .. في حالــة انطلاق الشـعب في انتفاضـة مسـلحة عفويـة قبـل الأوان كما حدث في (فينا عام 1927) .. والسؤال هـو: كيــف تتصــرف قيــادة الانتفاضــة؟!! .. مــاذا

تفعـل؟!! .. هـل تغلب المصـلحة أم المبـادئ؟ .. المصلحة تقتضـي الحكمـة في عـدم الـدخول إلى معركة لم تكتمل أركانها .. والمبادئ تلزم من دعـا وروج وحرض أن يقف في مقدمة المنتفضين.

من الأفضـل أن يجـاب على السـؤال بسـؤال: أين الشعب؟ .. وعلى قيادة الانتفاضة أن تقف معـه .. في عام (1870) حذرت قيادة الثورة الشـعب من المبادرة للانتفاضة .. لكن مـا أن بـدأت الانتفاضـة حـتى وقفـوا إلى جـوار الثـوار وقـالوا "مهمـا يكن مصـير الانتفاضـة الباريسـية .. وحـتى لـو سـحقتها الـذئاب والخنـازير والكلاب القـذرة في المجتمـع القـديم .. فإنهـا سـتبقى عملاً من أمجـد أعمـال حزبنا" .. وقـد تكـرر نفس المشـهد في الانتفاضـة الروسية (1917) إذ رفض البعض قائلاً أن الـوقت لم يحن بعـد .. ومـا أن نـزلت الجمـاهير للشـارع حتى وجدوا أنفسهم بينهم ..

أسباب تحول الانتفاضة الشـعبية السـلمية أو تطور الثورة إلى انتفاضة مسلحة:

الانتفاضــة المســلحة تنشــأ مســلحة .. ولكن في حالات خاصة تتحول فيهـا الانتفاضـة السـلمية إلى انتفاضـة مسـلحة .. أو تحـرم الثـورة من التطـور الطبيعي فتتحول إلى انتفاضة مسلحة .. بسبب رد الفعل العنيف والقمع الوحشي ..

لمــاذا تجابــه الانتفاضــة بــرد فعــل عــنيف ووحشـي؟!! .. يـرى بعض المتخصصـين أن سـبب

رد الفعـل العـنيف والقمـع الوحشـي الـذي يجـبر الانتفاضة الشعبية أن تتحـول إلى انتفاضـة شـعبية مسلحة .. يرجـع إلى مـدى مسـاهمة الشـعب في الدورة الاقتصادية العالمية .. في الحالات التالية:

أولاً: إذا كـانت الدولـة ضـعيفة اقتصـاديا وغـير صـناعية .. ومتخلفـة اقتصـاديا إلى درجـة أن العاصمة لا تمثـل قيمـة اقتصـادية كبـيرة بحيث أن تكبيلهـا بعصيـان مـدني لا يـؤثر كثـيرا على الوضـع الاقتصادي للدولـة .. وبالتـالي اسـتقرار النظـام .. حيث أن الدولة تعتمد على موارد مثـل بيـع النفـط أو المسـاعدات الخارجيـة .. (ليبيـا - اليمن والأردن) .. فـإن الثـورة الشـعبية سـتجابه بالمجازر ..

ثانياً: إذا كانت الدولة متطورة صـناعيا والعاصـمة أيضـا قويـة .. ولكن الدولـة واقعـة تحت احتلال أجنبي مصمم على البقاء .. ومـا زالت البلاد تمثـل قيمة كبيرة لديـه .. فـإن الثـورة الشـعبية سـتجابه بالمجازر ..

في تلك الحالات يجد الثـوار أنفسـهم أمـام اختيـار إجباري باستخدام السلاح المتاح بين أيديهم دفاعـا عن أنفسـهم .. وتتحـول الثـورة أو الانتفاضـة السـلمية إلى "الثـورة الشـعبية المسـلحة" أو "الانتفاضـة المسـلحة" .. ميـدانها الأساسـي هـو شـوارع العاصـمة والمـدن .. فـإذا كـان جيش الطاغيـة قويـا بمـا فيـه الكفايـة أو قـوات الاحتلال متشبثة باحتلالها .. تحول الأمر إلى مجازر وحمـام

دم تزهـــق فيـــه آلاف الأرواح من أبنـــاء الشـــعب (روسيا 1905 – الجزائـر 1945) .. أمـا إذا كـان الجيش ضعيفا .. فيمكن أن تتقـدم الثـورة وتحـرز نجاحـا وقـد يصـلون إلى الحكم .. كمـا حـدث مـع حركة طالبان في أفغانسـتان في زحفهـا المسـلح نحـــو العاصـــمة الـــذي اســـتغرق عـــامين (94-1996) ..

وحـتى إذا كـانت الدولـة صـناعية ولكن انتفاضـتها عشوائية وغير منظمة .. بينما يتمتع النظام بحلفاء أقويـاء مسـتعدون لاسـتخدام القـوة لحمايتـه من ثورة عشوائية لا يمكنها الصـمود ولا تتمتـع بقيـادة جيـدة .. فـإن الانتفاضـة سـتجابه بـالقمع العـنيف وتفشل (ثورة المجر 1956 وثورة تشيكوسلوفاكيا عـــام 1968)[19] .. وهكـــذا هي الثـــورات .. مـــا لم تتوفر لها قيادة مقتـدرة .. تحـولت إلى وبـال على الشعب .. ونكسة عظمى في أوضاعه ..

<u>الخطـــــر الحقيقي على الثـــــورات والانتفاضـــــات (سلمية أو مسلحة) :</u>

أولاً: رد فعـل النظـام والجيش .. ويكـون بحسـب المشاركة الشـعبية في الاقتصـاد كمـا أسـلفنا في الفقرة السابقة ..

[19] راجع الموسوعة العسكرية – للمؤسسة العربية للدراسـات والنشـر - الجـــزء الأول من صـــفحة 351 إلى صـــفحة 424 .. أشـــرف على الموسوعة نخبة من العسـكريين من الـدول العربيـة .. وبهـا ملخصـات جيدة للثورات والانتفاضات الـتي قـامت سـواء على النظم الفاسـدة أو الدول المحتلة ..

ثانياً: قدرة الثورة المضادة على استعادة النظام .. راجــع المقالــة الأولى والتاليــة: "محاضــرة في الثورة" .. "الثورة المضادة" ..

ثالثـاً: الـدور الـدولي .. من أهم عوامـل إجهـاض الانتفاضات هو المجهـود "الـواعي والـراقي تقنيـا" الـذي تبذلـه أجهـزة مخـابرات الولايـات المتحـدة الأمريكيــة .. فأمريكــا المســتفيد الأول من بقــاء الوضع على ما هو عليه .. وعلى حـد تعبـير وزيـرة خارجيتها الذي يشمل حسني مبارك ونظامه وكــل من عمـل لهم .. قـالت: "إن الحـذاء القـديم أكـثر راحة" .. هكـذا شـبهت الأنظمـة العميلـة بالأحذيـة القديمــة .. وهي لم تكن تعــني مبــارك كشــخص وإنما الجيش المصـري كمؤسسـة مهترئـة ولكنهـا أكثر راحة من أي قادم جديد ..

فالولايــات المتحــدة الأمريكيــة كســيدة تــرعى مصالحها .. تضمن أمن وسلامة بعض الأنظمـة في المنطقـة العربيـة والإسـلامية .. فتتحسـس بعمـق المشاعر الشعبية وتفاعلاتها مع الأنظمة والأزمات .. أيا ما يكون نـوع الأزمـة (شـرعية .. أخلاقيـة .. اجتماعية .. أمنية .. سياسية .. اقتصـادية) وتقـوم بقيـاس نبض الشـعب وحـرارة غضـبه .. فـإذا مـا تيقنت عن نمو روح الثورة وقرب الغليان .. بادرت لإخراج الشعب إلى الطرقات .. وتحركـه لإجهـاض الثورة قبل أن تتطور طبيعيـا .. فلا تسـمح للثـورة أن تســتكمل عناصــر نجاحهــا .. وتقــوم بإحباطهــا والقضاء عليها .. وقد تختلـف أسـاليب إجهاضـها ..

وفي نهاية التجربة سواء كانت الانتفاضة سلمية أو مسلحة .. تسعى أمريكا لتحقيق عدة أهداف:-

الأول: تأديب الشعب على قيامة بالثورة وجعله عبرة لغيره من الشعوب .. **الثاني**: إحباطه وإذلاله وتدمير الغيرة فيه وإخضاعه حتى لا يقوم بهكذا عمل مرة أخرى ..

الثالث: تدمير بنيته الاجتماعية بشكل لا يسمح له بمعاودة العمل ضد النظام .. وأقصد ببنية الشعب الاجتماعية العبث بأخلاقه وعاداته وموروثاته وثقافته .. فتصنع مسخا بلا عقل ولا عقيدة ولا خلق .. بلا ماضي ولا مستقبل في إطار حاضر أشبه بمسوخ هوليود التي يأكل البشر فيها البشر .. من هنا يجب أن نفهم المواقف المتراخية للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين وخصومها الشرقيين فكل يغني على ليلاه .. ويجب أن نفرق بين الجيوش والشعوب .. فالأعداء يمكنهم هزيمة الجيوش .. لكنهم لا

يستطيعون هزيمة الشعب[20] (فيتنام وأفغانستان وليبيا) فيعمدوا إلى وسائل أخرى منها:-

الأولى نظام حقير تابع لهم يقوم نيابة عنهم بأعمالهم القذرة .. وهذا لا يقضي على الثورة وإنما يطيل من عمر الظلم فقط .. ويزيد من عدد الفائزين بالشهادة .. ويدمر بنية الدولة اقتصادياً واجتماعياً ..

الثاني العمل على إشاعة الانحلال الخلقي من طرف .. والقضاء على اللغة العربية من طرف آخر .. فيتم تغريب الشعوب عن عقيدتها وهويتها التاريخية .. فتحولها إلى مسخ كما أسلفنا فلا

[20] من المحال هزيمة شعب يرغب في الحرية .. من الممكن إبادته (الهنود الحمر) .. ولكن .. إن لم يقدروا على إفناءه ومهما قتلوا منه فمن تبقى سيقاوم حتى ينال حريته (إيطاليا أبادت أكثر من نصف سكان ليبيا) ..
جاء في الموسوعة العسكرية صفحة 357 الجزء الأول: تحت عنوان الثورات الليبية (1911 ـ 1931): اتبعت القوات الإيطالية في القضاء على الثورة الليبية مختلف الوسائل الوحشية .. ودعمت ذلك في عهد موسوليني عام 1922 بالإعلان عن قرار يهدف إلى امتلاك البلدان العربية القائمة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط .. وإبادة أهل هذه البلاد .. وإفنائهم .. وتحويلها إلى رقعة لاتينية .. وتنفيذاً لهذا القرار أصبحت جرائم القوات الإيطالية سلسلة متشابهة الأحداث والوقائع في إبادة العرب وقتلهم والضغط على حرياتهم واغتصاب أملاكهم ونهب أموالهم وحرق بيوتهم .. مع التوسع في محاولات القضاء على اللغة العربية .. والعمل على إشاعة الانحلال الخلقي .. وعندما دخلت القوات "جفاره" عام 1923 عملت على قتل 1000 رجل أمام نسائهم وأطفالهم .. ثم اعتقلت عشر سيدات فجردتهن من ثيابهن وشنقتهن عاريات .. وأبقتهن سبعة أيام معلقات وهن على هذا الوضع .. وكانت هذه التحديات كلها حافزاً دفع "عمر المختار" نحو مزيد من التصميم لمتابعة النضال والاستمرار في الثورة .. أهـ النقل من الموسوعة العسكرية ..

تعـرف حلالاً ولا تنكـر منكـراً .. وهي في الخلفيـة آمنة تصلها ثروات ومقدرات الشعوب بلا تكلفة ..

الثالث التفرقة بين أبنـاء الأمـة الواحـدة بـالطرق على العرقيات وفصلها عن الـدين والعقيـدة الـتي جمعتهمـا .. حـاولت فرنسـا وأسـبانيا ذلـك في المغرب[21] لكنهما فشلتا في ذلـك .. فرابـط الـدين إن كـان هـو المحـرك للثـورة تـذوب فيـه كـل الخلافـات .. لوجـود المرجعيـة الـتي يعـود الجميـع لها .. ويرضى بها .. ويطمئن إليها ..

من هنـا نبـع أهميـة الـدور الكبـير الـذي تقـوم بـه القاعدة في جهادها ضد أمريكا والغرب واليهـود .. فقيـام القاعـدة بالضـرب في داخـل أمريكـا .. أو ضرب مصالحها في أي مكان بالعـالم .. أو اغتيـال

---

[21] ثورة الريف المغـربي (1920 – 1926) شعـرت فرنسـا من خلال الاحتكاك بقوات الثورة وعـبر الصـراع الـدائم معهـا أن "وثـاق العروبـة والإسـلام" هـو الـذي كـان يجمـع فصـائل الثـورة المختلفـة .. فأخـذت للتمهيـد لتطـبيق "الظهـير الـبربري" ...... وكـانت منطلقـات "الظهـير الـبربري" تسـتهدف فصـل المسـلمين الـبربر عن المسـلمين العـرب .. والاعتراف بكيان بربري متميز عن الكيان العربي .... لتمزيق وحـدة المسلمين من عرب وبربر وإرسال المبشرين إلى القبائل بعـد الادعـاء بأن أصل البربر أوروبي وأن دينهم الأصيل هـو المسـيحية وأن العروبـة والإسلام أجنبيان وغريبان عن حياة المغرب ..أهـ الموسوعة العسـكرية الجزء الأول صفحة 387 ..

في عهد مبارك انتشرت دعوة شـبيهة لمـا سـبق بـأن أصـل المصـريين فراعنة وأن العـرب هم دخلاء وكـذلك الإسـلام .. كمـا أن سـكان مصـر كانوا من القبط أي مسيحيين .. وهذا ليس سليما؛ فكلمة قبط لا علاقة لها بالأديان أو العقيدة وإنما أطلقت على ساكني الأراضـي المصـرية .. هكذا درسنا في كتب التربية القوميـة في سـبعينات القـرن الماضـي .. المهم أن هذه الدعوة وجدت لها مرتـع خصـب بعـد انقلاب السيسـي .. وأظن أن الصورة التي ظهر بها الانقلاب تنبأ باسـتمرار هـذه الـدعوة .. هذا هو اتجاه الانقلاب الذي ناصره عدد من حمقى المسلمين ..

عناصرها .. أو تحريض الشعوب الإسلامية ضدها .. كل ذلك يصب بالدرجة الأولى في مصلحة الشعوب وانتفاضاتها .. كما أن القيام بالضرب من خلال أبناء أمتهم وفق مفهوم الأمة بلا فاصل حدودي يعيد ربط الشعوب الإسلامية سويا كوحدة عقيدة وجغرافيا .. فالشباب الذي خطط ونفذ الضربات من كافة الأقطار الإسلامية والعربية ..

أسباب نجاح الانتفاضة المسلحة:

واحد من أكبر الأخطاء وربما الخطأ الأكبر الذي ينبغي تجنبه هو "التحرك بالصفوة" .. فسرعان ما يعزلهم النظام عن الشعب ويباشر إبادتهم .. ويبقي عناصر منهم في المعتقلات مدى الحياة بلا محاكمات تأديباً وعبرةً لغيرهم .. إن تجاهل التحذير السابق لا معنى له إلا الهزيمة الساحقة للحزب أو الجماعة التي تقف وراء الانتفاضة ..

أسباب النجاح تكمن في العمل من خلال **جموع الشعب** وليس بالحزب أو الجماعة فقط .. والاعتماد على الاندفاعة الثورية للشعب .. أما صفوة الحزب أو الجماعة (ومنها الطليعة المقاتلة) فهي لتقود ولتلهب حماسة الجماهير ببطولاتها وتضحياتها .. فتقدم المثل والنموذج الذي يتحرك معه الشعب .. فتكسب قيادة الانتفاضة تعاطف الشعب وحبهم وتحولهم إلى رموز شعبية تلقى قبول وتأييد من أغلبية الشعب ..

ومن أسباب النجاح أيضاً **حسن اختيارهم لمفتاح الصراع والشعارات** التي تلبي مطالب الشعب .. وتؤكد قبول الشعب لهم .. فقدرتهم على مخاطبة مكونات الشعب كلها المثقفين والعمال والفلاحين والتجار و...الخ .. ونجاحهم في حشدهم للتظاهر أو الاعتصام أو الإضراب .. وترديدهم للشعارات التي ابتكروها .. يدل على حسن اختيار مفتاح الصراع ..

ومن أسباب النجاح توفيق القادة في **تحييد أجهزة الأمن والدفاع** عن النظام الفاسد ..

وجود **تذمر في القوات المسلحة** .. وعدم رضا عن بعض القرارات السياسية خاصة فيما يتعلق بمستقبلها .. هذا المناخ قد يوفر للانتفاضة فرصة التقدم دون تدخل حاسم من القوات المسلحة ..

من المهم تهيئة قيادة[22] الانتفاضة الأوضاع لدى الحلفاء الإقليميين والدوليين .. ليوفروا الدعم المناسب سياسيا وماديا ومعنوياً وإعلامياً .. ومن المهم بل الأهم التعامل مع الشعوب المؤيدة والشبيهة والتي لها نفس الاعتقاد وتعيش في ظل حكومة مناوئة لهم ..

---

[22] ننظر لهذه النقطة في حالة وجود انتفاضة مسلحة في غزة .. فتسعى قيادة حماس للاستفادة من مصر الدكتور مرسي إقليمياً .. ومن الشعوب الإسلامية دولياً .. لا شك أن الموقف سيكون مواتي للمسلمين في فلسطين أكثر من أي وقت مضى .. أو مما يمكن أن يفعله نظام الانقلاب الحالي ..

أعود للتأكيد على أهمية **تفتت النظام** الحاكم والصراع بين مؤسساته ورجاله على السلطة والثروة .. وعدم انسجام بين طموحات كوادره .. **وسوء إدارة** النظام الحاكم للبلاد وإدخال البلاد في أزمات بسبب الوضع الاقتصادي المنهار .. وغضه الطرف عن انتشار الفساد .. ومساهمته في سرقة مقدرات الشعب .. وفرضه للضرائب المرهقة في حين أن أقطاب النظام ومؤيديه وتابعيه لا يعانون ويعيشون في ترف .. كل ذلك يساعد في نجاح الانتفاضة ..

أيضاً إدراك القيادة للوضع الدولي وأبعاده وفلسفته .. خاصة مع وجود قوة كبيرة مسيطرة .. فأمريكا رغم تآمرها إلا أنها لا تلتفت إلى رعاية وكلائها الخاسرين - فعلت هذا مع كثير من وكلائها السابقين - وتفضل التعامل مع النظام الجديد لتطويعه أو حتى للتآمر عليه .. فالسياسة لا تعرف إلا لغة المصالح .. ولا تتفاهم إلا مع الأقوياء .. أما الضعفاء فيفرض عليهم ..

العناصر السابقة توفر البيئة الملائمة لنجاح الانتفاضة .. ويبقى العمل الشعبي والطليعة المسلحة وتحليهم بالروح الهجومية .. واستمرارية العمل الهجومي بتصميم وحزم .. ومواصلة الضربات اليومية الناجحة .. وتحقيق المفاجأة مع كل هجوم .. وضرب العدو عندما تكون قواته مبعثرة .. والانسحاب عندما يستجمع قوته .. وقدرتهم على تحاشي الانتكاسات .. وصبرهم

على تحمل الضربات .. والحفاظ على المعنويات .. والجرأة .. ومزيد من الجرأة .. والجرأة دائماً .. وبعدهم عن الروح الدفاعية .. ففي الدفاع موت كل انتفاضة مسلحة .. سوف يشل ذلك العدو فكراً وعملاً لفترة تكفي لتحقيق النصر ..

وباختصار إتقانهم للعمل الميداني سياسياً وعسكرياً وأمنياً .. هو المؤشر الرئيس على النجاح .. وذلك بعد توفيق الله وفضله ..

السمات العسكرية للانتفاضة:

1- عدم وجود خطوط تماس بين الخصمين: فساحة العمليات هي كل الدولة .. وعادة ما تبدأ العمليات ضد أهداف غير محمية أو بها حماية ضعيفة .. ثم تبدأ بالتطور مع زيادة ثقة وخبرة المقاتلين .. كما أن المقاتلين بعد الهجوم يذبون في الشعب ..

2- وجود أنصار للانتفاضة في معسكرات النظام: هذه من سمات الحروب العادلة حيث تتحول مجموعة من العدو لدعم المقاتلين بالمعلومات عن تحركات القوات المعادية .. أو مستودعات السلاح والذخائر .. أو اجتماعات القادة .. وقد يمارس بعضهم العمل العسكري ضد عناصر النظام الأكثر تطرفاً والمكشوفين أمنياً لهم .. ويصعب على المقاتلين الوصول إليهم ..

3- صـغر تشـكيل وحـدات المقـاتلين: تشـكيلة المجموعات العسكرية لدى المنتفضين تعتمد على العمل بالمجموعـات الصـغيرة والأسـلحة الخفيفـة مع المتفجـرات .. وتعـوض صـغر حجم المجموعـة بكثرة عدد المجموعات .. والـتي تتحـد في النهايـة لتشكل قـوة حسـم كبـيرة .. واسـتخدام تكتيكـات العصــابات بالإغــارة والكمين بغــرض التــدمير والخطف .. أو الحصـول على أسـلحة أو الحصـول على معلومات .. والتي تتطور في النهايــة لاحتلال الأماكن الإستراتيجية والحيوية في الدولة ..

4- قلة عدد الكوادر العسكرية لدى الثوار القادرة على القيام بعمليات ناجحة: يرجع ذلك إلى طبيعـة الانتفاضــة الــتي تخــرج من فئــات ومؤسســات وطبقـات مختلفـة من الشـعب .. وأعمـار صـغيرة نسبيا .. كما أنها لا تحترف العمـل العسـكري .. إلا أنهـا مثقفـة عسـكريا بحكم سـابق خـدماتها في الجيش .. مما يسـاعد على سـرعة نموهـا .. ومـع الــوقت ومن التجربــة والخطــأ تكتســب الخــبرة تدريجياً ..

5- الشعب يمثـل العمـق الاسـتراتيجي للانتفاضة: القاعدة العريضـة الـتي تتحـرك بهـا الانتفاضـة هـو الشعب الذي يساهم بكل ما يملك في سبيل تغيير الوضع .. فيقدم الدعم الطبي والمـالي والمعنـوي والإعلامي .. ويــوفر ملاجئ لإخفــاء المقــاتلين أو الأسلحة والـذخائر .. ويقـدم يوميـا عناصـر جديـدة من الرجال والنساء لصفوف المقاتلين ..

6- تطابق العمل العسكري مع العمل الدعائي والسياسي بين الشعب وبين النظام: العمليات العسكرية يجب أن تكون وفق الرؤية السياسية .. وتسعى لتحقق الهدف السياسي المعلن عنه .. والدعاية والأعلام يخدمان العمل السياسي ويوفران التغطية للعمل العسكري .. يمارس هذا المقاتلون .. كما يمارسه النظام الفاسد .. فكلاهما يعلن عن قتل الفاسدين والإرهابيين .. وكلاهما يحمي الوطن ومكتسبات الشعب .. وكلاهما يوجه خطابه السياسي والدعائي للشعب وللقوات المسلحة ..

7- عدم وجود أسلحة كافية لكل المشاركين في الانتفاضة: ولذلك يوجه قسم من العمليات من أجل الحصول على الأسلحة والذخائر .. لتوزيعها على المقاتلين ..

8- حساسية الوضع النفسي داخل القوى المضادة: تختلف الانتفاضة المسلحة عن أختها السلمية في هذه النقطة اختلافاً كبيراً .. في الانتفاضة السلمية يسارع عدد من رموز النظام إلى سرعة القفز من مركب النظام الغارق والالتجاء إلى صفوف المقاومين .. مثل انحياز السفراء واستقالة الوزراء وهروب رجال الأعمال .. حياد القوات المسلحة .. ويسقط النظام بانهيار قوات الأمن وفرار الرئيس أو تنحيه .. أما في الانتفاضة المسلحة فتشبه أختها في الانحياز والاستقالات .. إلا أن رأس النظام وقواته

المسـلحة يواصـلان القتـال ضـد المقـاومين إلى النهايـة .. وتكـون النهايـة إمـا بفشـل الانتفاضـة المسلحة (انتفاضة سطيف الجزائر 1945) .. أو بقتـل الـرئيس وأسـر قـواده وتحلـل القـوات المسـلحة (طالبـان أفغانسـتان 1996 – ليبيـا 2011 - وإن شاء الله سوريا) ..

خطة الانتفاضة:

فيما يلي نمـوذج لخطـة انتفاضـة في مدينـة مـا .. هـذا النمـوذج غـير مثـالي فهـو لا يغطي كافـة الجـوانب وقـد لا يناسـب التطـور التقـني والأمـني والعسـكري .. ولكنـه يـدرب القـادة والمخططين على ترتيب أولوياتهم وتوقيت أعمالهم .. وقـد ورد هذا النموذج في الموسوعة العسكرية:-

(نموذج خطة للانتفاضة في المدن)

- تقدير الموقف وميزان القوة في المدينة.
- تـاريخ بـدء الانتفاضـة .. بنـاء على التفاعـل الشعبي ..
- الأهداف الرئيسـية الـتي لا بـد من تحقيقهـا لأنهـا تؤثر على مسيرة الحركة ..
- الأهداف الثانوية ..
- توزيع القوات إلى مفارز مع تكريس كبد القـوات للأهداف الرئيسية ..
- تحديد العناصر المسلحة والعزلاء في كل مفرزة .. ومصـادر تسـليح العناصـر العـزلاء خلال القتـال نفسه ..

- المهمـــات الثانويـــة الـــتي ينبغي على المفـــارز تنفيذها بعد تنفيذ مهماتها الأولية.
- التدابير الواجب اتخاذها عند فشل مجموعة ما ..
- التــدابير الــواجب اتخاذهــا لمنــع قــدوم القــوات الحكوميــة من المــدن الأخــرى (تخــريب طــرق المواصلات .. شن عمليات الأنصار ...الخ).
- أساليب جذب السكان ..
- توزيع الأسلحة المستولى عليها ..
- القضاء على رؤوس أجهزة القمع ..
- الارتباط بين مفارز الانتفاضة ..
- الارتباط مع قوى الانتفاضة في الريف ..
- مكان القيادات والاتصال معها ..
- التدابير السياسية التي ينبغي اتخاذها عنــد نجــاح الانتفاضة ..

* وتبــنى خطــة الانتفاضــة المســلحة عــادة وفــق المعطيات التالية:-

- الخارطة الاجتماعية للمدينة .. والأحيــاء المؤيــدة والمعارضة ..
- مواقع الشرطة والقوات المسلحة ..
- عنـــاوين رؤوس أجهـــزة القمـــع .. وعنـــاوين الموظفين وقادة المنظمات المعادية.
- مواقع مراكز المنظمات المعادية شبه العسكرية ..
- مكان مستودعات الأسلحة ..
- تقييم تكـتيكي للنقـاط الحساسـة والحاكمـة في المدينة ..

- تحديد الأماكن الصالحة للهجوم أو الدفاع ..
- مـرائب سـيارات الدولـة الـتي ينبغي الاسـتيلاء عليها لخدمة أعمال الانتفاضة
- استخدام الهاتف (وسائل التواصـل المعاصـرة) أثناء الانتفاضة ..
- عدد القوات المتوفرة وطبيعة قادتها ..
ويتم إعـداد الانتفاضـة في وقت يسـمح للقـادة ومساعديهم وأعضـاء التنظيم الموثـوقين بدراسـة مهمـاتهم وأهـدافهم والاسـتعداد للعمـل بأفضـل شكل ممكن .. وتتخـذ كافـة التـدابير الـتي تحفـظ سرية الخطـة .. والتـدابير الملحقـة بهـا .. بشـكل يحقـق المفاجـأة الـتي تعـوض النقص العـددي .. وتشـكل شـرطا من أهم شـروط نجـاح العمـل العسكري خلال الانتفاضة المسلحة ..
الانتفاضة كلمـة كبـيرة جـداً .. والـدعوة إليهـا أمـر جـدي إلى أبعـد الحـدود .. وكلمـا تعقـد النظـام الاجتمـاعي .. وارتفـع مسـتوى تنظيم السـلطة وتقدمت التقنيـة العسـكرية والأمنيـة .. كلمـا كـان القيـام بانتفاضـة بلا رويـة أمـر خطـير لا يمكن التغاضي عنه ..

وقد حذر الكثيرون من اللعب أو التلويح بالانتفاضة لأنهـا فن من الفنـون تخضـع كـالحرب لقواعـد .. يؤدي تجاهلها إلى دمار القائمين عليها ..

نقلها لكم
عابر سبيل
21 شوال 1434هـ

29 أغسطس 2013م

على الصفحات التالية سرد لإنتفاضة (ريفال) .. وهي انتفاضة مسلحة تم الإعداد لها بشكل دقيق وتناولت الكثير من التفاصيل ولكنها ارتكبت أخطاء جسيمة في الاستطلاع والتنفيذ والزهد في دفع الشعب للمساندة مما أدى لفشلها ..

في الملحق في نهاية الكتاب سوف نستعرض إن شاء الله الانتفاضة الروسية الأولى (1905) والثانية (1917) ..

ريفال(انتفاضة) 1924

انتفاضة مسلحة[23] فاشلة قامت بها الطبقة العاملة في "استونيا" في كانون الأول(ديسمبر) 1924

في خريف 1924 كان الوضع الاقتصادي في (استونيا) متدهورا .. وكان احتياطي الذهب قد بدد من قبل أصدقاء الطبقة الحاكمة وكبار الأغنياء وملاك الأراضي .. وفي ذلك الوقت تشكلت حكومة ديمقراطية من أحزاب الوسط .. ولجأت

[23] المصدر: الموسوعة العسكرية للمؤسسة العربية للدراسات والنشر ..

الحكومة الجديدة إلى منع القروض عن الممـــولين ومضـــاربي البرجوازيـــة الكبـــيرة وكبـــار الملاك .. فنجم عن ذلـــك إغلاق المصـــانع .. ووقـــوع حـــالات إفلاس ..ووصـــلت البطالـــة إلى نســـبة عاليـــة .. وارتفعت الأســـــــعار بنســـــــبة150%ــــــ .. وانهـــار"المـــارك".. وظهـــر العجـــز في مـــيزان المـــدفوعات .. وزادت الأزمـــة الزراعيـــة من حـــدة الأزمة الصناعية والتجارية .. وفشلت الحكومة في الحصـــول على قـــروض جديـــدة .. في حين طـــالبت فرنسا وانكلترا وأمريكـــا بتســـديد الـــديون القديمـــة التي قـــدمتها إلى "استونيا" خلال الحـــرب الأهليـــة وحـــرب التـــدخل ضـــد الاتحـــاد الســـوفييتي .. كمـــا ارتفعت نســـبة الجريمـــة .. وانتشـــرت الرشـــاوى الاختلاسات .. وظهرت بوادر التفكك داخل الطبقة الحاكمة .. وطـــالب الأغنيـــاء وكبـــار ملاك الأراضـــي بتعديل الدستور .. وإسقاط الحكومة الديمقراطية .. وتسـليم السـلطة لرجـل قـوي يكـون ديكتـاتورا حقيقيا ..

ولم يكن لدى الحكومة عمليـا أي برنـامج .. أو أيـة وسـيلة عمليـة لتـدعيم سـلطتها وتحسـين الحالـة الاقتصادية في البلاد ..وكان العمل الفعلي الوحيـد لهذه الحكومة هو قمع معارضة العمـــال والفلاحين الثوريين .. ورغم عمليات الاغتيـال والسـجن الـتي لجأت إليها الحكومة .. فقد تزايـدت الآمـال داخـل الطبقـة العماليـة وبين صـفوف الكـادحين بصـورة عامـة خلال العـام1924 .. وبـدأ العمـال يتحـدثون عن حل الحكومة .. وإقامة سلطة عمالية وفلاحية

..وتمت مظاهرات الأول من مايو(أيـار) وأسـبوع السـلام المضـاد للحـرب تحت شـعار الحـرب الأهلية .. وكانت جماعات من الجنـود تنضـم عـادة إلى الاجتماعات والمظاهرات .. كمـا أخـذ العمـال الزراعيـــون .. والمزارعـــون .. والفلاحـــون .. والفقـراء .. وجـزء كبـير من البورجوازيـة الدينيـة الصغيرة يتعاطفون مع الحركة الثورية ..

ورأى الحزب الشيوعي أن المخرج الوحيـد من هـذا الوضـع هـو اللجـوء إلى القـوة لإسقاط النظام .. وقررت اللجنة المركزية في ابريـل (نيسـان) أن يتجـه الحـزب إلى **إعـداد الانتفاضة المسلحة** .. ومنـذ ذلـك الـوقت اخـذ العمل السياسي والتحريضي الحزبي مهمـة إعـداد الجماهير لعمل ثوري .. وضم اسـتونيا إلى الاتحـاد السـوفيتي .. وكـان مـيزان القـوى المائـل لصـالح الثورة بوضوح يتطلب مثل هـذا الموقـف .. وقـدر الحزب أنه لـو عمـل في ربيـع العـام 1924 لكـان حظـــه بالنجـــاح 50% .. ولكن مـــيزان القـــوى الحقيقي في الخريـف كـان أكـثر ملائمـة .. وقـرار الحـزب أن انتفاضـة حسـنة التنظيم قـادرة علي تحقيق نصر مؤكد ..

إعداد الانتفاضة عسكريا

منذ ربيع العام 1924حدد الحزب الشيوعي أمامـه هدفا رئيسيا يتمثل **بتكوين قوات عمالية** قادرة علي العمـــــل في الـــــوقت المناسب **لتحطيم وحدات الثورة المضادة** .. المسـتعدة للوقـوف بعنـــــف في وجـــــه الثـــــورة (المـــــدارس

العســـكرية ..الخ) .. وبـــدأ العمـــال يشـــكلون مجموعـات قتاليـة .. بـدأت بمجموعـات القتـال المؤلفـة من 3 أشـخاص والمسـماة(مجموعـات الـدفاع) أو المجموعـات المعاديـة للفاشـية ..ثم تحـولت الي مجموعـات تضـم كـل واحـدة منها10 أشخاص .. وقبل انتفاضة ريفـال بأسـبوع واحـد .. جمعت المجموعـات الـتي تضـم عشـرة أشـخاص داخل سرايا .. ثم جمعت السرايا في كتائب تضـم كل واحـدة منها120-150رجلا .. وكـان على هـذه الكتائب أن تكمل تعدادها بعد الانتصارات الأولى .. بضـــم عـــدد من العمـــال والجنـــود المســـتعدين للقتال .. وعند حلول الخريف كان عــدد المنظمين بهذا الشكل في اسـتونيا كلهـا حـوالي1000رجـل ثلثاهم من العمال غير المنضمين إلى الأحزاب.

ولقيـــادة تنظيم مجموعـــات القتـــال .. ومجمـــل التحضيرات العسـكرية للانتفاضـة .. **ألحـق بعض الأخصائيين العسكريين باللجنة المركزية** .. وباللجان الحزبية في مختلـف المـدن .. وكـان في ريفال عشية الانتفاضة 3 كتائب مشكلة كمـا يلي: الكتيبـة الأولى (170 رجلا)الكتيبـة الثانيـة (120 رجلا)الكتيبة الثالثة(110رجلا) ..

وكان معظم الرجال يتقنون المعلومات العسـكرية الأوليـــة (كاســـتخدام البنـــادق .. وبعض أنـــواع المسدسات .. والقنابل اليدويـة .. ومبـادئ القتـال الأوليـة ..الخ) ومـع هـذا فقـد كـان هنـاك من لا يعرفون استخدام أسلحتهم .. و**كانت القيادات** (وخاصة قيادات السرايا والكتـائب) **غـير مؤهلـة**

تماما لممارسة دورهـا العسـكري .. وكـانت **متطلبات السرية وصعوبة استدعاء الرجال** والقيادة بصورة مستمرة سببا رئيسـيا من أسـباب زيادة صعوبات التدريب ..

وكان تسليح كافة التنظيمات العسكرية في ريفال في فـــترة انـــدلاع الأزمـــة يتـــألف ممـــا يلي: 100مســـدس برابلـــوم مـــع 50 طلقـــة لكـــل مســـدس .. 60 بندقيـــة مـــع عـــدد محـــدود من الـــذخائر .. 3 رشاشـــات قصـــيرة من طـــراز طومســـون مـــع 1000طلقـــة لكـــل رشـــاش .. عشـــرات القنابـــل اليدويـــة و20 قنبلـــة كبـــيرة الفاعلية ..

وكانت **قوات الثورة المضادة** .. التي قـدر أنهـا ستحمل السلاح ضد الانتفاضة .. مؤلفة في ريفـال مما يلي: مدرسة اليونكرز ودورات صـف الضـباط وتضم400 رجل .. مدرسة صف الضـباط (200 - 250 رجلا) .. مفـــرزة قائـــد الموقـــع (110 - 120رجلا) .. احتيـــاط الشـــرطة الراكبـــة (50-60فارسا) .. وبالإضافة إلى ذلك .. فقـد كـان في المدينة 500 مسـلح يميـني .. ولكنهم لا يشـكلون قوة قتالية جدية ..

أما فيما يتعلق بالشرطة وقوات الحامية (المؤلفة من كتيبـــة مشـــاة من فـــوج المشـــاة العاشـــر .. ومجموعـة دبابـات .. وكتيبـة إشـارة .. وبطاريـات المدفعيـة السـاحلية .. ومجموعـة جويـة) .. فقـد اعتقـد قـادة الانتفاضـة أن **العمـل السياسـي التفتيتي** داخل هذه القوات سـيجعلها تمتنـع عن

التـــدخل ضـــد الانتفاضـــة ..وأن العمـــل المنظم ســـيدفعها إلى مـــؤازرة العمـــال فـــور انـــدلاع الانتفاضـة .. نظـرا للعلاقـات الوثيقـة الـتي كـانت تربط العمال بالجنود ..

وقبــل الانتفاضــة بــوقت قصــير **ضـعف تــأثير الحــزب** قليلا بين صــفوف الجيش .. فلقــد انهي الجنــود القــدامى خــدمتهم الإلزاميــة .. وتركــوا الجيش .. لتحمـــل مكـــانهم دفعـــة جديـــدة من المجنـدين الـذين لم يتح للثـوار الفرصـة الكافيـة لتحريضـهم واسـتقطابهم .. ولقـد لعب هـذا الأمـر دورا بالغ الأهمية على مسيرة الانتفاضة ..

وبعـد دراسـة طويلـة لكافـة احتمـالات النجـاح في حالة الانتفاضة المسلحة .. وصلت قيادة الانتفاضة الي الاستنتاج التـالي: إن بـدء الانتفاضـة بإضـراب سياسي أو بحركات جماهيرية عمالية أخـرى يعـني لفت أنظـــار الخصـــم نحـــو الهجـــوم المتوقـــع .. وتعريض الجماهير للخطر .. لذا اتخذ قرار بأن تتم انتفاضة المفارز القتاليـة بصـورة مفاجئـة .. حـتى يؤخــذ العــدو علي حين غــرة .. **وبعــد تحقيــق الانتصارات الأولي يبـدأ الإضـراب العـام** .. وتنضم الجماهير العماليـة إلى القتـال بغيـة تثـبيت السلطة بين أيدي الثوار .. كمـا رأت هـذه القيـادة أن العمل في **كافة أرجاء البلاد في آن واحد أمـر لا مـبرر له** وأن على الانتفاضــة أن تتم في ريفال وبـيرنوف[24] فقـط .. على أن تـدخل المـدن

[24] (لم تندلع الانتفاضة في بيرنوف .. لأن تـأخر وصـول التعليمـات أخـر البدء يوما كاملا .. ولكن هزيمة ريفال منعت البدء بالعملية نهائيا) ..

الأخرى ميدان العمل عندما يحتل الثوار النقاط المحددة في ريفال ..

وهكذا خضع كل شيء لمفهوم الانتفاضة المفاجئة .. وتم الإعداد بسرية بالغة .. ولم ينظم الحزب منذ بداية أغسطس(آب) أي عمل جماهيري عمالي خشية استنفار الخصم .. ولم يدع الحزب الجماهير للنزول إلى الشارع حتى في تشرين الثاني (نوفمبر) إبان محاكمة 149مناضلا ..وكان الرأي السائد انه إذا ما تم تحقيق ضربة عنيفة غير منتظرة في النقاط المحددة كهدف للهجوم .. غدا نجاح الانتفاضة مضمونا .. رغم التفوق الساحق الذي تتمتع به قوات العدو .. ويمكننا القول بأن الانتفاضة أخذت -من هذه الزاوية- شكل المؤامرة أو الانقلاب ..

وفي نهاية نوفمبر(تشرين الثاني) .. وقبل بدء الانتفاضة بعدة أيام .. قرر الحزب البدء بالعمل في فجر 1924\12\19 .. وكان **مخطط التنفيذ** كما يلي: البدء باحتلال مقر هيئة الأركان .. ومصالح الإشارة والاتصالات .. والقلعة (مقر الحكومة والمجلس الوطني ..الخ ..) .. واعتقال أعضاء الحكومة .. وإطلاق سراح السجناء .. وتدمير مبنى احتياط الشرطة للاستيلاء علي الدبابات واستخدامها ضد القطاعات المعادية .. والاستيلاء علي الطائرات والمدرسة العسكرية .. ونهب مستودعات[25] الأسلحة والمدفعية ..

[25] (كانت المستودعات الواقعة بالقرب من المدرسة العسكرية تحتوي علي 120000-130000بندقية بالإضافة إلى مختلف الأعتدة العسكرية

وبالإضافة إلى ذلك فقد تقرر نسف جسر خط السكة الحديدية بين"تابس" و "يورييف" لتأخير عمليات النقل بين هاتين النقطتين عدة أيام وعرقلة إرسال القوات الحكومية من"يورييف" الى "ريفال" .. كما تقرر نسف جسر خط السكة الحديدية الواصل بين "ريفال" و "تابس" لمنع العدو من إرسال قطار مدرع من "تابس" الي "ريفال"[26] .. وكان على الثوار في حالة استمرار المعارك مدة طويلة نسف جسر السكة الحديدية الواقع على مدخل المدينة .. وبعد احتلال العاصمة تتجه العمليات على محور تابس-نارفا-يورييف وفيلين ..مع استخدام السكة الحديدية وسيارات النقل ..

ولجمع مجموعات القتال بصورة سرية .. أعدت شقق خاصة قريبة من الأهداف المحددة .. وجمعت فيها كميات من الأسلحة .. وكان على كل مجموعة أن تنطلق بشكل يحقق ابتداء العمل الهجومي في لحظة واحدة بالنسبة إلى جميع النقاط .. وكان من الضروري إنهاء الاجتماع في الساعة22,00من يوم11\30 .. **وزيادة في الأمن** لم يعلم أفراد المجموعات بأن غاية الاجتماع هي شن انتفاضة مسلحة في 1\12 .. وكل ما قيل لهم .. هو أن عليهم حضور اجتماع سري .. على أن يصطحب المسلحون أسلحتهم معهم .. وفي هذه الشقق .. وفي ليلة11\30-1\

[26] (ولقد تم تنفيذ هاتين المهمتين بنجاح من قبل مفارز صغيرة من اللغامين) ..

12 .. تعلم بعض العناصر استخدام الأسلحة الـتي وزعت عليهم ..

ولم يستطع قادة الكتائب جمع كافة رجالهم في الساعة 22,00 .. وفي الساعة 4,00 من صبيحة يوم1\12 ..كان في مختلف نقاط التجمع القوة التالية:الكتيبة الأولى (56رجلا من أصل170) .. الكتيبة الثانية (61رجلامن أصل120) .. الكتيبة الثالثة (80رجلا من أصل 110) .. أي 227 رجلا من أصل400 ..

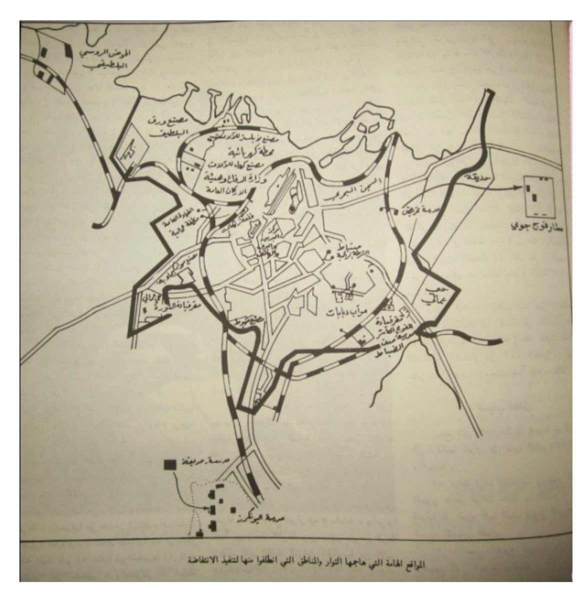
ويرجع فشل التجمع إلي أن يوم 11\30كان يوم أحد .. وكان من الصعب العثور على الأشخاص في أماكن إقامتهم .. وبالإضافة إلى ذلك .. فإن عدم معرفة الأفراد بغاية الاجتماع جعل بعضهم يتقاعس عن حضور اجتماع عدد في هذه الساعة المتأخرة من الليل ..

ورغم قلة عدد المجتمعين .. فقد أصرت قيادة الانتفاضة على قرارها ببدء العمل في الساعة 5,15 من صبيحة يوم 1\12 .. وتلقت الكتائب المهمات التالية:

الكتيبة الأولى : تجريد مدرسة اليونكرز ودورات صف الضباط من أسلحتها .. والاستيلاء على مستودعات الأسلحة ومحطة السكة الحديدية ..

الكتيبة الثانية: نزع سلاح احتياط الشرطة ومفرزة قائد الموقع .. واكتساب مجموعات الدبابات والطائرات .. واحتلال مقر قيادة فوج

المشاة العاشر .. واكتساب الكتيبة التابعة لهذا الفوج ودفعها للانضمام إلى الانتفاضة ..



المواقع الهامة التي هاجمها الثوار والمناطق التي انطلقوا منها لتنفيذ الانتفاضة

الكتيبة الثالثة: "احتلال المراكز الإدارية .. ومركز البرق والبريد .. ومقرات الحكومة والمجلس النيابي ووزير الحربية وهيئة الأركان .. ومحطة البلطيق .. وإطلاق سراح الموقوفين السياسيين ..

سير الانتفاضة

في الساعة 5,15 من صبيحة 1 \12 انطلقت الكتائب لتنفيذ مهماتها .. وسارت الانتفاضة كما يلي:

عمليات الكتيبة الأولى: أخذت إعدادات الهجوم على مدرسة اليونكرز شكلا في غاية السرعة .. فلقد عاد قائد الكتيبة مع مساعديه من اجتماع القيادة العسكرية في الساعة 4,30 .. ولم يكن لدية لإعداد الهجوم في الساعة 5,15 سوى 45دقيقة .. وكانت الأهداف الخاصة للمجموعات موزعة كما يلي:

- مجموعة من 13 رجلا .. مهمتهـا احتلال الطـابق الأرضي للمبنى حيث ينام اليونكرز(اذ كانت الثكنة مؤلفة من طابقين يحتلها اليونكرز) ..

- مجموعة من 16 رجلا .. مهمتهـا احتلال الطـابق العلوي للمبنى نفسه ..

- البـاقون (باسـتثناء خمسـة أفـراد) مهمتهم تشكيل احتياطي .. والقضاء على الضابط المناوب ..

- مجموعة من 5 أشـخاص مهمتهـا الاسـتيلاء على محطة السكة الحديدية ..

وفي السـاعة 5,15 وبعـد فتح ثغـرة في الحـواجز المحيطة بالثكنة .. اسـتولت الكتيبـة على مقصـف الثكنـة .. ودخلت المجموعـة الأولى الطـابق الأرضـي .. وقضـت على الضـابط المنـاوب .. وفاجـأت اليـونكرز في أسـرتهم .. واسـتولت على عـدد من البنـادق .. وبعـد إطلاق عـدة طلقـات .. وإلقاء قنبلتين يدويتين .. انتشر الهلـع وسـط 200 من اليونكرز القاطنين في هـذا الطـابق .. فأخـذوا يختبئون تحت الأسـرة ويلتفـون بالأغطيـة .. وقفـز الكثـيرون منهم إلى الشـارع بملابس النـوم .. ثم تبعثروا على غير هدى ..

وبـدأت المجموعـة الثانيـة هجومهـا على الطـابق العلوي بشـيء من التـأخير .. فاصـطدمت بمخفـر حراسـة قتـل واحـداً من أفرادهـا وجـرح اثـنين .. وهكذا وجد اليونكرز في هذا الطابق الوقت اللازم للاسـتعداد وصـد الهجـوم .. وأدى فشـل الجماعـة

الثانية إلى انسحاب الكتيبة كلها .. وانتهى الهجـوم على مدرسـة اليـونكرز بالفشـل .. وبقيت مستودعات الأسلحة بيـد الخصـم .. وتبعـثر رجـال الكتيبة باستثناء عدد قليل .. وكانت خسـائر الثـوار قتيلا واحدا وجريحين .. في حين خسـر اليـونكرز4 قتلى و9جرحى ..

ونفذ الرجال الخمسة المكلفون بـاحتلال المحطـة مهمتهم بكل دقة ودونما خسائر ..

ويرجع فشل الكتيبة الأولى إلي نقص العـدد .. إذ كـان الخصـم متفوقـا بنسـبة 8 إلى واحـد .. بالإضـافة إلى تـأخر المجموعـة الثانيـة .. ونقص التصميم على القتال من اجـل احتلال المدرسـة .. إذ ما أن تعرضـت الكتيبـة لأول فشـل حـتى تبعـثر رجالها .. على حين كان بوسعها متابعة القتال بعـد أن شتتت200من اليونكرز القـاطنين في الطـابق الأرضي واستولت على أسلحتهم ..

عمليات الكتيبة الثانية: تم توزيـع قـوات هـذه الكتيبة كما يلي:

- مجموعـة من20رجلا مهمتهـا مهاجمـة احتيـاط الشرطة الراكبة.
- مجموعة من 20رجلا مهمتهـا مهاجمـة مجموعـة الدبابات.
- مجموعة من ثلاثـة رجـال مهمتهـا مهاجمـة مقـر قيادة فوج المشاة العاشر.
- مجموعة من تسعة رجال مهمتهـا مهاجمـة مقـر الكتيبة الثالثة من فوج المشاة العاشر.

- مجموعـــة من 13رجلا مهمتهـــا مهاجمـــة مقـــر المجموعة الجوية.
وكانت تقارير الاستطلاع تقول أن احتياط الشرطة يعسكر في مبنى خشبي يتألف من طابقين .. لـــذا رسمت الخطة على أساس مهاجمة هذا المبـنى .. ثم ثبت فيمـا بعـد أن عـدداً صـغيراً من الشـرطة يســكن هــذا المبــنى .. على حين يســكن معظم رجال القوة في بناء حجـري مجـاور للمبـنى الأول ظنـه رجـال الاسـتطلاع حمامـا .. وبسـبب هـذا **الخطأ في الاستطلاع** تعـثر هجـوم المجموعـة الأولي .. وزاد من تعـثره أن المجموعـة المكلفـة بمهاجمـة مجموعـة الـدبابات بـدأت **العمل قبل 10دقائق** .. وفتحت النـار على جنـود المـدرعات بشكل أيقظ رجـال الشـرطة .. وأفقـد المجموعـة الأولى عامـــل المفاجـــأة .. وانتهى الهجـــوم في النهايـــة إلى الفشـــل وتبعـــثر رجـــال المجموعـــة المهاجمة.
ونجحت مجموعـــة مهاجمـــة الـــدبابات في احتلال مـــرآب الـــدبابات في بدايـــة العمليـــة دون أيـــة مقاومة .. وكـان في مجموعـة الهجـوم (4) جنـود ميكانيكيين من بينهم رقيب قائد دبابة .. خـــرج من المرآب مـع دبابتـه وتوجـه نحـو الثكنـة (الواقعـة على بعد كيلومتر من المرآب) حيث يوجـد سـدنة الـــدبابات .. و لكن احـــد المســاعدين قتـــل هـــذا الـــرقيب .. ولم تســتطع الـــدبابات الخـــروج من المرآب .. وكانت الخطـة تقـول بـأن على مسـاعد كتيبة الإشارة المعسكرة أمـام مجموعـة الـدبابات

أن يلتحـق بـالثوار مـع (40) من رجالـه .. **ولكن المساعد كان مدسوسا** .. ولم يحضـر الرجـال لـدعم الثـوار.. وفشـل الهجـوم على مجموعـة الدبابات.

وادي هذا الفشل إلى إيقاف الهجوم على مدرسـة صـف الضـباط .. لان المجموعـة المكلفـة بهـذه المهمة كانت مكلفة بالتمركز باتجاه مدرسة صـف الضـباط .. وحمايـة مجنبـة المجموعـة المكلفـة باقتحام مجموعـة الـدبابات .. ومهاجمـة المدرسـة بعد ذلك بمساعدة الدبابات ..

وتم احتلال مقـر قيـادة الفـوج العاشـر .. وحـاول ثلاثة من الضباط مقاومة الاحتلال فقتلوا ..

ورفضت الكتيبة الثالثـة من فـوج المشـاة العاشـر السير مـع الثـوار .. وقـررت البقـاء على الحيـاد .. ولم يستطع الرجـال التسـعة المكلفـون باكتسـاب الكتيبة تنفيذ مهمتهم نظرا لقلة عـددهم .. و**عـدم وجود نواة ثورية كافية داخل الكتيبة** ..

ونفذ الثوار الثلاثة عشر المرسلون للاسـتيلاء على المجموعـة الجويـة مهمتهم بشـكل جيـد .. إذ أنهم قـاموا خلال الطريـق (كـانت المجموعـة الجويـة تبعـد (2) كيلومـتر عن المدينـة) بـاحتلال مخفـر للشـرطة .. واسـتولوا على عـدد من البنـادق والمسدسـات .. ثم تسـللوا خفيـة ودون إطلاق طلقـة واحـدة إلي داخـل الثكنـة حيث يقيم (80) جنـديا من المجموعـة الجويـة .. واسـتولوا على أسلحتهم .. وأعلموهم بأن السلطة في المدينة قد

غــدت بين أيــدي العمــال والجنــود .. وأن على الطيارين أن ينضموا إلي صفوف الثورة .. وأجـاب الطيـارون بالإجمـاع أنهم مـع العمـال الثـوريين .. وسلم الضـباط سـلاحهم وأعلنـوا حيـادهم .. ولقـد أحــالت الحكومــة هــؤلاء الضــباط فيمــا بعــد إلي محكمـة عسـكرية بتهمـة الوقـوف على الحيـاد .. فحكمت بإعدامهم .. واعدموا رميا بالرصاص ..

ولكن الثوار **ارتكبوا بعد ذلك خطأ فادحا** كــان له اثـر خطـير عليهم وعلى كافـة المشـتركين في الانتفاضــة .. ويكمن الخطـأ في أنهم لم يتصــرفوا بحكمــة بعــد الاســتيلاء على المجموعــة الجويــة وتشكيل قوة تضم(50) رجلا وتملك (100) بندقية و(10) رشاشات ومدفعين وسيارتين وعـددا كبـيرا من الــذخائر .. فبــدلا من المبــادرة بــالنزول إلى المدينــة لمسـاعدة رفـاقهم اكتفـوا بـالتمركز في مكانهم .. وإرسال مراسل على دراجة نارية يحمل لهيئة الأركان الثورية تقريرا عن الوضــع .. ويطلب تعليمات جديدة .. ولم يعد المراسـل أبـدا .. وبقي الثوار في أماكنهم حتى جـاء اليـونكرز بالسـيارات المدرعــة .. واشــتبكوا معهم بمعركــة عنيفــة أدت إلي هزيمــة القــوة الثوريــة وتشــتتها في الســاعة 11,00.

عمليات الكتيبة الثالثة: تم توزيــع قــوات هــذه الكتيبة كما يلي:

- مجموعــة تضــم 12رجلا مهمتهــا احتلال قلعــة ريفال.

- مجموعة تضم 12 رجلا مهمتها احتلال مركز البريد والبرق والهاتف.
- مجموعة تضم 12رجلا مهمتها احتلال وزارة الحربية .. ومقر هيئة الأركان العامة.
- مجموعة من 20 رجلا مهمتها احتلال محطة البلطيق.
- مجموعة من 12 رجلا مهمتها احتلال السجن التحفظي.

وتمكنت مجموعة احتلال القلعة من تنفيذ مهمتها .. واستولت على سلاح مخفر الحراسة(11جنديا) .. وحاول الضابط قائد المخفر المقاومة فقتل .. ونجا رئيس الوزراء .. وبقيت القلعة بيد المجموعة حتى جاءت قوات الثورة المضادة .. فتبعثر الثوار دون كبير مقاومة.

وتم احتلال مركز البرق والبريد والهاتف بسرعة بالغة .. وبقي الثوار فيه 3ساعات .. وأسروا عدداً من رجال الشرطة ومن بينهم مفوض شرطة ريفال الذي أنقذته القوات الحكومية من الأسر عند قدومها.

وفشلت الهجمات الموجهة ضد وزارة الحربية .. ومقر هيئة الأركان العامة .. ومقر قيادة الشرطة .. ولم يتم إطلاق سراح السجناء .. لأن المجموعة المكلفة بهذه المهمة لم تبلغ في الوقت المناسب وبقيت مجمدة بلا عمل طوال فترة الانتفاضة.

وجرى احتلال محطة البلطيق دونما مقاومة .. وتم في الوقت نفسه احتلال مخفر الشرطة

الخامس .. واستولى الثوار على بعض الأسـلحة .. وكان وزير المواصلات آنذاك في المحطـة .. فلمـا حاول إثارة الناس ضد الانتفاضة قتلـه الثـوار رميـا بالرصـاص .. وتم أسـر مفـوض شـرطة الحي .. وصد الثوار عدة هجمات قام بها فرسان الشـرطة ورجال اليونكرز وبقيت المحطـة في أيـديهم حـتى الساعة8,00.

إثر فشل بعض المجموعات في تحقيـق مهامهـا .. وزوال عامل المفاجأة .. جمعت السـلطة قوتهـا .. وبــدأت بــالهجوم المضــاد لســحق الانتفاضــة و مطـاردة المشـتركين فيهـا .. ولقــد اشــترك في الهجمـات المضـادة فصـائل من مدرسـة صـف الضـباط .. ومجموعـات من مدرسـة اليـونكرز .. واحتيـــاط الشـــرطة الراكبـــة(الفرســـان) .. والتنظيمـات اليمينيـة المسـلحة .. وقـاد العمليـات المضادة عقـداء وجـنرالات .. بعـد أن شـكلوا على عجل مفارز القتال من الوحدات المـذكورة آنفـا .. وسحقت الانتفاضة في المدينـة بشـكل نهـائي في الساعة 9,00 صـباحا .. واسـتعادت قـوات الثـورة المضـادة بعـد ذلـك مقـر المجموعـة الجويـة .. وطهرت المنطقة تماما في الساعة 11,00صباحا.

ودفع عمـال "ريفـال" بعـد فشـل الانتفاضـة ثمنـا باهظـا .. بالإضـافة إلى الخسـائر الـتي لحقت بهم خلال الانتفاضــة نفســها (20قــتيلا) فلقــد حكمت المحكمـة العسـكرية بالإعـدام على 500 شـخص من بينهم عشرات الجنود .. وسجنت عدداً يقــارب ذلك.

***

أسباب الفشل

يرجع فشـل الانتفاضـة إلى مجموعـة من الأخطـاء التي ارتكبها الثوار على صعيد التنظيم والتكتيـك .. وأهمها:

1- مبالغــة قيــادة الانتفاضــة في تقــدير التفتت المعنـوي داخـل قـوات حاميـة "ريفـال" .. وعـدم قدرتها على تحديد أهمية التبدل النوعي الذي نجم عن تسريح المجندين القدامى ..

2- سـحب الجنـود الثـوريين من الثكنـات وضـمهم إلى مجموعــات العمــال .. بــدلا من دفعهم إلي تشــكيل مجموعــات من الجنــود داخــل الثكنــات للمشاركة بالانتفاضة.

3- اختلال ميزان القوى بشكل واضح لصالح قوات السلطة .. وتفاقم هذا الاختلال بسبب عدم وصول كافــة الثــوار إلى مكــان الاجتمــاع في الــوقت المناسب ..

4- تعــدد الأهــداف بشــكل لا يتناســب مــع قــوة الثـوار .. الأمـر الـذي جعـل المجموعـات المكلفـة بالتنفيذ ضـعيفة في كـل مكـان .. علمـا بأنـه كـان بالإمكان اختصار عدد الأهداف .. **والتركيز فقط على الأهــداف الــتي يــؤدي احتلالهــا إلى قلب موازين القوى** ..

5- جمــــود المجموعــــة الــــتي ســــيطرت على المجموعة الجوية .. وعدم قيامهـا بـأي عمـل بعـد تحقيق هدفها الأول ..

6- تبعـثر المجموعـات عنـد أول فشـل .. وعـدم لجوئهـا إلى التجمـع من جديـد في نقـاط محـددة مسبقا لمتابعة القتال في الشوارع ..

7- عدم كفاية الـذخائر .. وضـعف تـدريب العمـال وعجزهم عن استخدام الأسلحة بفاعلية.

8- سوء الاسـتطلاع الـذي أدي إلى فشـل الهجـوم على احتياط الشرطة الراكبة .. كما أدي إلى عدم القبض على أعضـاء الحكومـة بعـد الاسـتيلاء على القلعة .. نظراً لجهل الثوار بمكان وجود الوزراء ..

9- ضـــــعف الارتبــــــاط وتنظيم التعــــــاون بين المجموعات القتالية ..

10- انعزال الثوار عن الجماهير العماليـة .. وعـدم نزول الجماهير إلى الشارع لدعم الانتفاضـة نظـرا لعجزها عن فهم مغزى الأحداث .. وأسباب انتقال الثـوار من الهـدوء الكامـل إلى العمـل العسـكري العنيف.

11- عدم إنضاج الظروف اللازمة لنجاح الانتفاضـة ومشاركة الجماهير فيهـا .. والاعتمـاد على العمـل العسـكري البحت والمفاجـأة .. بـدلا من الاعتمـاد على الـــزخم الثـــوري الجمـــاهيري .. أهــــ من الموسوعة العسكرية الجزء الثالث صفحة 356..

ويمكنـــني أن أضـــيف عـــدة عناصـــر لمزيـــد من التوضيح:

1- المبالغـة في الأمن .. فبسـبب دواعي السـرية لتحقيق المفاجأة لم تحضر الكتائب بكامل قوتها .. وقـــد أثـــر عامـــل الســـرية فيهم فلم يعتمـــد على

المساندة الجماهيرية .. كما لم يهتم لاحقاً بإنزال الجماهير للمساندة الشعبية ..

2- الافتقار إلى روح المبادرة لدى المقاتلين .. فقد تجمدت وحدات وتبعثرت أخرى وفر البعض .. وهذا يوضح أيضاً قلة فترة الإعداد السليم .. ولو أحسن إعداد المقاتلين[27] نفسياً وعسكرياً وتم اختيار قيادات بمواصفات سليمة .. لكان سير العمليات اتخذ شكلاً آخر .. وهذا يدفعنا دائما للاهتمام بإعداد المجموعة الأولى التي يبنى العمل على أكتافها اهتماماً كبيراً.

3- عدم وجود احتياطي لدفعه .. لا يمكن بحال من الأحوال التخطيط للمعركة دون تجهيز قوة احتياط نشيطة ليتم دفعها لمساندة الوحدات التي واجهت مقاومة أو مفاجأة لم ترتب لها ..

4- عدم وجود خطة بديلة للتعامل مع أي طارئ أو تدخل ليس في الحسبان .. فيما أرى أن الانتفاضة سارت كعملية استشهادية .. على مبدأ نكون أو لا نكون .. وبالتالي لم يكن هناك خطة انحياز .. لإعادة التجمع ثم اتخاذ التحرك التالي .. سواء بمغادرة البلاد أو شن هجوم جديد ..

ومع هذه السلبيات فقد قامت المجموعة التي خططت للعملية بدراسة[28] جيدة وأخذت في

[27] وهذا إن شاء الله سنفرد له فصلين في كتاب حرب العصابات لنلقي الضوء على مواصفات القيادة ومواصفات الثائر العقائدي ..

[28] لماذا عرضت هنا هذه الانتفاضة رغم فشلها وكان الأولى منها أن نستعرض ثورة روسيا (1917) كنموذج لثورة مسلحة نجحت في استلام الحكم .. السبب بسيط فالنجاح لا يلتفت فيه لما حدث أثناء التنفيذ بل تعمد القيادة إلى تمجيد كل شيء ولا يكاد تذكر العقبات

اعتبارهـا الكثـير من التفاصـيل ووضـعت الحلـول المناسـبة .. وتبقى الإشـكالية في مسـألة ضـعف الاسـتطلاع .. التـدريب على الخطـة .. وعـدم التوفيق في التنفيذ ..

في الثقافة[29] الثورية (3)

الانتفاضة الشعبية (السلمية[30])

والأخطاء التي كادت أن تودي بها .. أما الانتفاضات التي تفشـل فيمكن استعراض كل التفاصيل سواء في الإعداد لها أو سير عمليـة التنفيـذ أو المنـاخ الـذي أحـاط بهـا والأهم دراسـة أسـباب الفشـل .. وهـذا درس عظيم لمن يُـدرس المـادة .. وللقـادمين لقيـادة انتفاضـة فيأخـذوا في اعتبارهم السلبيات ليتلافوها مستقبلاً ..

[29] المحاضرة الأولى (الثورة) هي مقدمـة عامـة .. وأكتفي بإضـافة مـا يختص به كل نوع عن سابقه ..

[30] لم أكن متحمساً للكتابة في هـذا الموضـوع .. وذلـك بسـبب قنـاعتي بعدم إمكانية التغيير بالوسائل السلمية في الدول الإسلامية بشكل عام .. خاصة في هذه الفترة من التاريخ التي انفردت فيها أمريكا بالعـالم ..

العصيان المدني

العصيان المدني .. الاحتجاج السلمي .. المقاومة المدنية السلمية .. اللاتعاون .. المقاومة السلبية .. هذه المسميات تدل جميعها بتفاوت بسيط على الثورة السلمية التي تخوضها الشعوب من أجل التغيير .. وكل اسم يعطي دلالة على وسيلة من وسائل الثورة السلمية ..

إن مفهوم "**المقاومة السلبية**" في جوهره يتشابه بمعاناة الحواري الذي ألقي عليه شبه المسيح عليه السلام .. الذي استسلم بشكل أسطوري ليد معذبيه حتى الموت .. فنُسج من أسطورته عقيدة خرافية يتبعها ربع سكان الكوكب .. إن فلسفتها تدخل إلى عمق النفس البشرية فتمنحها القدرة على تحمل الضربات والقهر والذل مع إظهار المعاناة والألم .. وفي المقابل تعمل على هز الضمير وإيقاظه ووضعه تحت ضغط التأنيب حتى يرضخ لها .. ومن نماذجها أيضا غاندي الذي اعتمد مذهبه على عدم التسبب في معاناة الخصم .. ولكن من خلال إظهار معاناة الذات ..

أما "**اللاتعاون**" فهو وسيلة هادئة لا تسبب ضرر لمنفذيها لأنها تعتمد على مبدأ المقاطعة دونما

إلا أنني وضعت هذا الفصل للفت الانتباه لهذا النوع من الانتفاضات .. مكتفياً ببعض التعليقات مع سرد للتجربة التي نجحت لهذا النموذج .. وهي الثورة الإيرانية 1979 .. والتي توافقت مع بدأ الجهاد في أفغانستان .. وأترك للقارئ التعليق عليه واستنتاج أهم العناصر التي أدت لنجاح التجربة ..

تشنجات .. أو إثارة أحقـاد .. ونموذجهـا المقاطعـة الاقتصادية التي تمارسها الشعوب استجابة لـدعوة يطرحهـا تيـار أو أشـخاص موثـوق بهم .. ومنهـا المقاطعـة السياسـية .. ورفض المشـاركة في الحكم ..

أمـا"**المقاومـة المدنيـة السـلمية**" تسـتخدم وسـائل غـير عنيفـة أكـثر تـأثيراً من مجـرد المظاهرات .. مثل احتلال الميـادين والاعتصـامات المفتوحة .. تخريب القضبان الحديدية لشل حركـة المواصلات .. وقطع الطـرق .. وتعطيـل محطـات الوقـود .. ومنـع المـوظفين من دخـول الإدارات الحكوميـة .. وغيرهـا من الوسـائل الـتي تسـتخدم بوعي لتغيير موازين القوى ..

"**الاحتجاج السلمي**" أسلوب سلبي للتعبـير عن الـرأي بالملصـقات والرسـومات والتظـاهرات والاعتصامات المحدودة .. ورغم عدم عصـبية هـذا الأسـلوب إلا أنـه ليس آمن كأسـلوب اللاتعـاون .. فالقوانين تستحدث لعقـاب من يعـبرون عن رأيهم بالأشكال السابقة .. وسبل التعبير السالفة تحرض النظام على سـن مزيـد من القـوانين الـتي تـؤدي نفسياً وحركياً إلى خنق الشـعب .. وتجعلـه يشـعر أنه محاط بسور كبـير من التهديـدات والتحـذيرات التي تنكد عليه معيشته ..

أما "**العصيان المدني**[31]" قمة الهرم في الانتفاضة السلمية والوصول إليه هو نجاح للمسيرة التكتيكية .. تتعطل فيه كل مؤسسات الدولة عن العمل .. ووسائل المواصلات والمدارس والجامعات .. فتشل الانتفاضة قدرة الحكومة على إدارة البلاد .. وتخرج الجماهير إلى الشارع ولا تعود إلا بعد استسلام النظام .. ثم إقامة حكم يلبي مطالبها الحالية وطموحاتها المستقبلية.

سمات الانتفاضة السلمية:

* القبول الشعبي: فالانتفاضة تقوم لتلبي مطالب الشعب .. وتتحرك بالشعب .. ويتم دعمها وتجديد عناصرها من الشعب .. وحتى قراراتها التي تتخذ في الميادين هي قرارات شعبية .. وهذا هو الذي يعطيها قوتها .. ومصداقيتها .. ويوفر لها القوة الدافعة ..

* عملياتها لا تسفر عن أضرار على المستوى العام والخاص: فهي لا تتعرض لممتلكات المواطنين وبأموال وممتلكات الشعب .. وبالتالي فعند نجاحها تستلم الدولة بكامل مرافقها دون كثير تدمير ..

---

[31] عمل أو سلسلة أعمال يكون القيام بها عمداً على سبيل التحدي للسلطات المدنية من أجل الوصول إلى هدف معين .. فهي شكل من أشكال المقاومة السلبية التي لا تصل إلى حد العنف أو التمرد .. ولا تقتصر على مظاهرات متفرقة ومعزولة يقوم بها الأفراد أو الجماعات .. ومن مظاهرها الامتناع عن دفع الضرائب أو الالتحاق بالجيش أو حملة صيام أو المقاطعة الشاملة كما حدث بزعامة غاندي في الهند .. أو حرق جوازات السفر احتجاجاً على سياسة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا ..

* جوهر عملياتها يعتمد على مبـدأ التعطيـل وليس التدمير: وبالتالي تلقى دعم من أغلبيـة الشـعب .. لأن النــاس تقبــل بإيقــاف القطــارات وتعطيــل المطــارات وقطــع الطــرق .. لكنهم لا يقبلــون بإشعال النار فيها .. أو تخريبها أو سرقة محتوياتهـا .. حتى ولو لم يكن فيها أي إنسان ..

* تحافــظ على مســارها الســلمي: فتعمــل على إدارة الحشـــود وتوجيههـــا إلى ضـــبط النفس .. وتســـعى لتجنب الانـــزلاق في مســـار العنـــف المســلح .. خاصــة حين يضــيق النــاس بالســبل الســلمية التقليديــة .. ويتشــكل مــزاج عــام متجــه للعنف ..

* الشــارات والألــوان: أن يتمــيز أعضــائها بوضــع شــارات وألــوان معينــة تمــيز المنتفضــين عن غــيرهم .. تصــبح دلالــة على الثــورة وقــد تتســمى باســـم اللـــون الـــذي غلب عليهـــا .. (الثـــورة البرتقالية .. تظاهرات الخضر في إيران) ..

* المنهج التحريضـــي: اهتمت الانتفاضـــة بجـــانب التحـــريض الســـلمي .. والعمـــل على نشـــر وسائله ..وإشاعة مفاهيمه بين الناس .. ولم ينتبــه القــائمون عليهــا أن من أســس عمليــة التغــير أن تفقه قول الله تعـالى { فَقَاتِـلْ فِي سَـبِيلِ اللّـهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُـؤْمِنِينَ عَسَى اللّـهُ أَن يَكُـفَّ بَـأْسَ الَّذِينَ كَفَـرُواْ وَاللّـهُ أَشَـدُّ بَأْسًـا وَأَشَـدُّ تَنكِيلاً {84} النســـاء .. وذلـــك لخلـــق الرمزيـــة وأنصارها ..

* ميـدان اهتمامهـا الرئيسـي العاصـمة والمـدن الصـناعية: إن كـبر حجم العاصـمة والكثافـة السكانية العظيمة وكونهـا سـوقاً تجاريـاً ويحيطهـا تجمعـات صـناعية .. فـأي اضـطرابات فيهـا تـؤثر بشـكل كبـير في الوضـع السياسـي والأمـني والاقتصادي .. والعصيان المدني يؤتي ثماره كلمـا طالت مدته وهو ما تحرص عليه قيادة الانتفاضة ..

سلبيات ومآخذ على الانتفاضة السلمية:

إن خـروج المسـيرات والتظـاهرات ضـرورة لتعلم مبـادئ الحشـد .. واحـتراف إخراجهـا مهم لاسـتخدامها عنـد لحظـة الغليـان .. كمـا أن إدارة غضب الجمـاهير بحنكـة أهم من تركهـا تنفس عن غضبها بتهور .. والصور المختلفة للتعبير عن الرأي مطلوبة لاكتسـاب الجـرأة وإسـقاط هيبـة النظـام والوصـول إلى قمـة المنـاورة التكتيكيـة وتحقيـق الهدف الاستراتيجي .. فالتغيير لا يعتمد فقط على الفتك والتدمير .. فربما يقدم خيـارات لا يسـتطيع الخصـم أن يرفضـها .. فتكسـر عنـاده .. وتعجـل بانهياره .. فالهدف هـو تـدمير إرادة الخصـم بأقـل تكلفـة .. وهـو مـا يجعـل من "السـلمية" درع يقي الأرواح والممتلكات والبنية التحتيـة شـر الـدمار .. كما لا يتم هدر الطاقات فيما لا طائل منه ..

ومن وجـه آخـر .. أليس من الغـريب أن تقـف الانتفاضة على شاطئ "التغيير " دون أن تبحر في محيطه .. وتتفاعل مع أمواجه .. وتناور دواماته .. وتقضي على وحوشه .. إن مصطلح السـلمية غـير مبشـر بإمكـان إيجـاد حلـول للقضـايا المصـيرية

كالاســتبداد .. أو الاحتلال ووكيلــه .. وهي قضــايا تعجـز فيهـا الوسـائل السـلمية .. مقابـل تمسـك الخصـم بمكتسـباته .. وقيامـه بالـذود عنهـا على حساب مصلحة البلد والشعب .. والنظام لا يتـورع عن تدمير كـل شـيء وإسـالة أنهـار من الـدم في مقابل بقاءه .. كما أن المصطلح يميل في الغـالب داخل الوعي العام بفكرة قهر الظلم بإلقاء الورود على خصومهم دون أن يطلقوا طلقة واحدة ..

إن اعتماد الانتفاضة على المظاهرات والملصـقات والمسـيرات وعـدم تطويرهـا .. يجعلهـا لا تتجـاوز كونهـا وسـيلة للتعبـير عن الـرأي .. الـذي يمكن للعدو استدراجه ليقدم له مطالب جزئيـة لا علاقـة لها بـالتغيير الشـامل .. ولكنهـا تتحـول إلى صـورة من صور الترقيع لنظام فاشل ..

حتى الوسائل العنيفة التي تفتقر للتسليح كتخريب القضبان الحديدية لشل حركة المواصلات .. وقطع الطـرق .. وتعطيـل محطـات الوقـود .. ومنـع المـوظفين من دخـول الإدارات الحكوميـة .. فجمودها على حالها دون ابداع ولا ابتكـار وتسـليح القائمين عليهـا .. لا يعـدوا كونهـا أزمـات تسـتطيع الحكومـات امتصاصـها وإفراغهـا من محتواهـا .. والنيل من القائمين عليها.

واحتلال الميادين والاعتصامات المفتوحة والحشود المهولـة والعصـيان المـدني وغيرهـا من الوسـائل التي تستخدم بوعي لتغيـير مـوازين القـوى ... إن بقت على حالهـا في مواجهـة محتـل أو وكيلـه أو نظـام مسـتبد .. سـتظل محـدودة الأثـر ويمكنهم

القضـــاء عليهـــا وتحويـــل ســـاحاتها إلى مجـــازر وإحباطهـا وإلصـاق كـل مـا هـو سـيئ بهـا (فض اعتصام رابعة والنهضة) ..

ليس الجيش هو أسـوء كـوابيس الانتفاضـة ولكنـه ربمـا يكـون آخرهـا .. فالانتفاضـة السـلمية تجابـه بسلسـلة من الكـوابيس .. أولهـا الاتجـاه الفكـري المعـــاكس وخاصـــة رجـــال الـــدين[32] المـــوالين للنظام .. من كل الأديـان أرضـية أو سـماوية .. ثم السـاقطين من أهـل السـينما والتلفـاز ومن على شاكلتهم .. وأثناء ذلك أجهزة القمع الأمنية .. ومن الكـوابيس الدخيلـة على عالمنـا الإسـلامي والـتي صدرتها إلينـا أمريكـا: فـرق المـوت (البلطجيـة .. الشبيحة) .. وكابوس القضاء الفاسـد الـذي يصـح وسمه بكل الخسة والحقـارة .. ناهيـك عن الإعلام والمؤسسـات الخدميـة والماسـونية .. لنصـل في النهاية إلى قعر هاوية الفساد والتي يقبع بها قيـادة المؤسسة العسـكرية بكافـة فروعهـا .. ومجلسـها العسكري الأعلى بكـل رمـوزه الفاشـلة والـتي تم اختيارها بعناية من قبل أعداء الله ..

والسؤال المهم هو: **هل تكفي هـذه الوسـائل في هـــذه الفـــترة الزمنيـــة من التـــاريخ الإنساني لإحلال نظام إسـلامي أو وطـني محـــــل نظـــــام مســـــتبد أو وكيـــــل عن مستعمر؟ ..**

---

[32] لا يستحقون لقب علماء .. فهم رجال دين النظام الذين يضفون عليه الشرعية وينـافحون عنـه بالباطـل .. ويزينـون لـه قتـل أبنـاء النـاس بلا رحمة ولا شفقة .. فأين هذا مما ينطبع في عقولنـا حينمـا نسـمع كلمـة عالم أو علماء ..

والحقيقــة أن هــذه الأســاليب لا تــؤثر في قــوات القمــع الــتي تعمــل في ظــل الولايــات المتحــدة الأمريكية وحلفاؤها من اليهود والصليبيين وأذنابهم من العملاء المتـاجرين بعقيـدتهم وشـعوبهم .. بـدأ من نهايـات القـرن الماضـي ومـع مطلـع الألفيـة الثالثة .. والأسلوب السلبي لا جدوى منـه في هـذا الوقت ولا بـد من إعطـاء المقاومـة طـابع إيجـابي وجرأة في الأعمـال .. ولا بـد أن يلحـق آذاهـا كـل الخصوم المشاركين فيها مهما تنوعت أشكالهم أو نأت أرضهم .. إقليميـاً ودوليـاً .. ولا بـد أن تـدرس مسـألة العمـل الثـوري متكاملـة بمعـنى تحديـد المرحلة التي تتحرك المسيرة بلا عنـف والمرحلـة التي تتحول فيها إلى العنف المسلح؟ ..

إن مســيرة النظــام الغاشــمة لا بــد أن تقــف ثم تتراجع ثم تسـقط .. وعلى المفكـرين للانتفاضـات السلمية أن يبحثـوا في الوسـائل الـتي يطرحونهـا وحقيقة جدواها **اليوم** .. ومن الحـري بهم ابتكـار وسائل جديدة تنسجم مع مـذهبهم .. والـتي تـؤدي في النهايــة إلى إســقاط النظــام وإقامــة النظــام البديل وتأمينه ضـد الثـورة المضـادة .. إن أمكنهم ذلك .. ومن غير المتوقع أن يتم ذلك بدون وسائل عنيفة و مسلحة!! ..

الثورة الإيرانية[33]

كانت إيران تعيش في حالة من الاضطراب السياسي والاجتماعي والاقتصادي .. واحتقان شعبي شديد .. يأخذ مكانه على الساحة في شكل هبات وانتفاضات جماهيرية بسبب الأوضاع الاقتصادية المتدهورة التي يعاني منها غالبية الشعب .. رغم الثروة البترولية الضخمة التي تمتلكها البلاد .. بالإضافة إلى القبضة الحديدية التي لا تسمح بالمعارضة في ظل حكم الشاه محمد رضا بلهوي .. الذي اتبع أساليب عنيفة لتصفية معارضيه بالاغتيال والنفي والسجن .. وما يتردد من أخبار عن فساد الشاه وأسرته وإسرافهم وبذخهم الشديد .. كل هذه الأمور وغيرها جعلت المعارضة ضد النظام السياسي للشاه تزداد.

وبالرغم من الاختناق العام فإن الساحة الإيرانية لم تخل قط من الحركة .. وكانت في معظمها ردود أفعال تقمع بشدة. كانت التضحيات أكبر من المكاسب. ولم يكن لديهم سوى الإضرابات والمظاهرات المحدودة التي تبدو كفقاعات أمام عتو النظام وجبروته. ونشأت الكثير من الحركات

---

[33] المصدر: كتاب حرب اللاعنف: الخيار الثالث .. أكاديمية التغيير (أحمد عادل عبد الحكيم .. هشام مرسي .. وائل عادل) .. www.aoc.fm لقراءة المزيد عن الثورة الإيرانية يمكن الرجوع إلى: د. إبراهيم الدسوقي شتا، الثورة الإيرانية.. الصراع.. الملحمة.. النصر 1/2 الزهراء للإعلام العربي .. الطبعة الأولى 1986..

السرية التي ربما قامت كـل منهـا بعمـل واحـد ثم تم تصفيتها. وبينما كانت هذه التضحيات الفردية لا تنتهي؛ كـانت الحركـات **الفكرية** تنظم نفسـها .. وبدأ الحراك الفكري والسياسي يسيران جنبـاً إلى جنب.

وكـــان أكـــثر المعارضـــين هم العلمـــاء[34] .. وعلى رأسـهم آيـة اللـه الخميـني الـذي كـان يـدرس في مدرسة الفياضية في قم .. ويحتشد الآلاف لخطبه ومواعظــه الدينيــة .. وأســس الخميــني "الاتحــاد الإسلامي" وكان يـرفض كـل مـا يصـدره الشـاه .. ويرفض كل ما يصدره المجلس النيابي من قوانين أو يصادق عليه؛ لأنه يصدر عن هيئة غير مخولــة .. ولا تنطبق عليها الصفة الشرعية.

كان الخميني يكرر دائماً وصية الإمـام علي بن أبي طالب 🔀 لأبنائه: "فلتكونـوا دائمـاً حمـاة الضـعفاء وأعداء الظالمين".. لذلك حينما قام الشاه بإعطاء الحصـــانة السياســـية للخـــبراء والمستشـــارين الأمريكـيين .. وأعلن عن "الثـورة البيضـاء" الـتي تهدف في حقيقتها إلى إخضاع علماء الدين للدولة عن طريـق سـحب جـزء كبـير من الأراضـي الـتي يمتلكونهـــا من الوقـــف .. وتهديـــد كبـــار الملاك الزراعيين بنزع ملكياتهم .. وإعطاء حق التصـويت للمرأة .. استغل الخميني كل هذا في الدعاية ضـد

[34] الواضح من خلال السرد الذي قدمـه مؤلفـو الكتـاب أنـه اسـتعراض للثورة من خلال سيرة مرشدها الأول .. ولا بأس بذلك فهـو يـبين أيضـاً نموذج للقيادة الجادة والملهمة لأتباعهـا .. ومن الملاحـظ أيضـاً إعجـاب كاتبي المقال بالمسار السلمي التي انتهجته الثورة وذلك يمثل قناعتهم بالتغيير بلا عنف .. وهو نقيض قناعتي الشخصية ..

الشــاه وسياســاته .. واتهمــه بأنــه ضــد الشــريعة والدستور .. وأنه بـاع إيـران للأمريكـيين .. وكـانت المناسبة الأولى التي ظهر فيها اسم الخميني أثناء احتفالات الشيعة بذكرى استشهاد الإمام الحســين في يـــوم عاشـــوراء؛ حيث دعـــا إلى التظـــاهر والإضــراب .. واســتجابت الجمــاهير لنداءاتــه .. وانقلبت مواكب عاشـوراء عـام(1383 ه- 1963 م) إلى تظــاهرات اصــطدمت بقــوات الأمن .. وسقط ألفا قتيل من المتظـاهرين .. وأظهـر ذلـك تأثير الخميني البالغ في الجماهير.

وقد نجح الشاه في قمع المظـاهرات دون اللجـوء إلى قــوات الجيش .. وتوجــه بنــداء إلى العلمــاء ليلتزموا الهدوء .. ووعـد بعـدم المسـاس بأراضـي الأوقاف .. وألقي القبض على الخميـني .. ثم أمـر بنفيه إلى خارج البلاد.

لقـد اسـتخدم الخميـني فتـاواه كسـلاح فتـاك في قضــية التثــوير .. فأصــدر فتــواه المشــهورة: "إن التقية حرام .. وإظهار الحقائق واجب مهمـا كـانت النتيجة .. ولا ينبغي على فقهـاء الإسـلام اسـتخدام التقيـة في المواقـف الـتي تجب فيهـا التقيـة على الآخرين ... إن السكوت هـذه الأيـام تأييـد لبطانـة الجبار ومساعدة لأعداء الإسلام" ..

وتحـولت المسـاجد والمجـالس الـتي كـانت تعقـد للعزاء في ذكـرى استشـهاد الحسـين إلى جبهـات مقاومة ضد النظام .. واستطاع الخميني أن يربـط بين خـروج الحسـين على الظلم وخـروج الشـعب الإيراني على الشاه .. وكان كثيراً ما يقـول: "لقـد

فات أوان الندم والبكاء على الحسـين... ومن أراد أن يلحق به فالفرصة سانحة أمامه".

لقد استفاد الخميني من أن البنية التحتيـة للشـارع الإيراني كانت لا تزال دينية .. فما يقولـه المراجـع وعلمـاء الـدين واجب التنفيـذ .. ووجـود عـالم دين على رأس الثـورة ليس بـالأمر الهين في إيـران .. وكانت المواكب تضم مئات الألوف في كل مدينــة .. وارتفعت الشـعارات بحيـاة الخميـني وسـقوط الشاه.

لقد لُقب الخميني باسم "محطم الأصنام" لأنــه لم يخاطب الشاه قـط بلفـظ "صـاحب الجلالـة" كمـا اعتاد زعماء المعارضة عند مخاطبته.

لقــد نجح الخميــني في الاســتفادة من المواســم والحفلات والتقاليــد الشــيعية في تحويــل عناصــر الشعب المخدرة إلى قوة ثورية.

وبشروق شمس 5 يونيـه عـام 1963 انتشـر خـبر القبض على الإمام .. واشتعلت المظاهرات تهتـف بسقوط الشـاه .. فأصـدر الشـاه أوامـره بـإطلاق النـــار على المتظـــاهرين .. وداســـت الـــدبابات الجثث .. وزحـف المتظـاهرون إلى مبـنى الإذاعـة واستولوا عليه .. وخلال دقـائق ولأول مـرة يرتفـع الشعار ليسمعه العالم كله بعد خمس عشرة سنة من القمع "الموت للشاه" كانت الجماهير العــزل تهـاجم الـدبابات بصـدور عاريـة .. وكـان رصـاص الشاه يحصدهم وهم يتقدمون ..

وبذلك يكون الخميني قد سطر ملحمة الثـورة من سبتمبر عام 1963 حـتى نوفمـبر عـام 1964 من خلال التحدي العلني للشاه .. فتم نفيه بعد ذلك .. وقـد سـاهم النظـام بغبائـه وجبروتـه في تحويـل الخميني إلى زعيم عالمي ..

ومن 1964-ـ 1971 هـدأت حـدة المعارضـة وبـدأ الشـباب الإيـراني يعـد نفسـه فكريـاً وعسـكرياً .. فتدربوا على السـلاح في الأردن ولبنـان ومصـر .. وإزاء هـذا العمـل السـري كـان النظـام يلجـأ إلى التصفية الجسدية ..

كان الجنوح إلى الحل العسـكري يـزداد يومـاً بعـد يوم .. وفي أواخر الستينات ظهرت حـوالي 6-12 منظمــة عســكرية .. غــير أن منظمــتين فقــط استطاعتا تنفيذ عمليـات عسـكرية .. وبـالرغم من التنظيم الجيـد للمجاهـدين إلا أن عمليـاتهم كـانت جد قليلة .. ولم تكن ناجحة تماماً ..

الحياة في المنفى

تم نفي الخميـني بعـد الأحـداث الدمويـة 1964 بشهور إلى تركيا .. وعاش فيها ما يقرب من أحــد عشر شهراً .. لكنه اختـار بعـد ذلـك أن يعيش في النجف الأشرف بـالعراق .. وبـدأت الأوضـاع تعـود إلى الهدوء الظاهري في إيـران .. وأصـبح النجـف مركز اهتمـام كـبير وبـؤرة تجمـع كـل المعارضـين لنظام الشاه خارج إيران .. تحت زعامـة الخميـني الذي أخذ في إلقاء الخطب والمحاضرات المـؤثرة عن الأوضــاع في إيـــران .. فتناقلهـــا أتباعـــه

ومريدوه .. ووجدت صدى واسعًا بين الإيرانـيين .. وكان علماء الدين والمعارضة قد بدءوا في البحث عن وسـيلة للإطاحـة بالشـاه .. واختـاروا لتحقيـق ذلك حرب العصابات منذ مطلـع (1390هـ -1970 م) .. وظهـرت جمعيتـان ثوريتـان همـا: "فـدائيو خلق" الماركسية .. و"مجاهدو خلق" التي يقودهـا بعض الرجال الذين تعلموا على يـد المفكـر البـارز "علي شريعتي" .. الذي يعتبر المنظر الأول للثورة الإيرانية ..

وقــد حــاول النظــام العــراقي ســنة (1394هـ – 1974م) الحصول من الخميـني على تأييـد ديـني وسياسي أثنـاء خلافاتـه مـع إيـران .. إلا أنـه رفض ذلك الأمر .. وعندما وقّعت بغداد وطهران اتفاقيـة الجزائــر (1395هـ – 1975م) طلب العــراق من الخميــني الســكوت عن معارضــته للشــاه .. وإلا فعليه الرحيل إلى أي مكان آخـر .. فـآثر الخميـني السكوت المؤقت حتى تتغـير الأوضـاع .. ثم تكـرر طلب السافاك والشاه بعد عامين لدى العراق بأن يوقــف الخميــني نشــاطاته .. فخيرتــه بغــداد بين البقاء صـامتًا أو الرحيـل .. فـآثر الثانيـة .. غـير أن الشــاه أدرك خطــورة مغــادرة الخميــني للعــراق وطلب من العراقيين منعـه من الخـروج .. وقبيـل هذا الأمر وقعت له مأســاة شـديدة عميقـة تمثلت في اغتيال ابنه الأكبر مصطفى في كمين دبره لــه رجال السافاك .. حيث كان يضطلع بالـدور الأكـبر في حمل رسائله إلى مؤيديه في إيران ..

وتحول الحزن على مصطفى إلى مناسبة ليظهر فيها الناس ولاءهم للخميني وتأييدهم له وعداءهم للشاه .. وحاول ألوف الإيرانيين اختراق الحدود العراقية الإيرانية لتقديم العزاء للخميني في النجف الأشرف .. لكن الشرطة منعتهم وسقط بعض القتلى .. فردوا على ذلك بإقامة المآتم في طهران وبقية المدن الإيرانية .. وكثرت الوفود لتعزيته .. عندها وجه الخميني رسالة إلى مؤيديه تحت عنوان: "لقد سكبنا ما فيه الكفاية من الدموع" .. وطالبهم بتعليمات أربعة .. أن يقاطعوا المؤسسات الحكومية .. وأن يسحبوا كل أشكال التعاون معها .. وآلا يساهموا في أي نشاط يفيدها .. وأن يقيموا مؤسسات إسلامية في جميع المجالات ..

ولأن فتوى العلماء مقدسة كدماء الشهداء .. فإن الإيرانيين أخذوا فتواه على محمل الجد والعمل .. واتسع نطاق التظاهر داخل إيران .. مع تدفق آلاف من أشرطة الكاسيت تحمل صوت الخميني وتحريضه على التمرد والعصيان ..

نوفل لوشانو.. والعالمية

أُجبر الخميني على مغادرة العراق .. فقرر الذهاب إلى الكويت .. فصدر أمر بإغلاق الحدود في وجهه .. فعاد إلى النجف ومنها إلى دمشق .. ثم توجه إلى باريس في (شوال 1397 ه - أكتوبر 1977 م) .. واستقر في بيت صغير في ضاحية نوفل لوشانو على بعد (20) ميلاً غربي باريس .. وأصبحت تلك الضاحية الهادئة مقراً لقيادته لحين

عودته إلى إيـران .. وفي بـاريس انتقـل من زعيم محلي إلى العالميـة .. وكـان وجـوده هنـاك نقطـة تحــول في تاريخــه وفي تــاريخ بلاده .. فســلطت عليـه وسـائل الإعلام المختلفـة أضـواءها .. وكـان يقضــي معظم وقتــه أمــام عدســات التلفــاز .. أو محاوري الصحافة .. فخلال ثلاثة أشهر قضـاها في باريس أدلى بخمسمائة حــديث لوســائل الإعلام .. وفي أحد حواراته مع صحيفة "لومونـد" الفرنسـية تحـــدث باعتبـــاره زعيمًـــا مصـــلحًا ورئيسَ دولـــة متوقعًـا .. فـأعرب عن وجهـة نظـره في القضـايا المطروحة على الساحة الإيرانية بمنظور عصـري؛ وهــو حــديث يخــرج عن نطــاق الوعــظ والإرشــاد والنقد المبهم للفساد.

تمتع الخميني وأنصاره في باريس بحريـة كبـيرة .. ويبدو أن فرنسا تصرفت بناء على وصـية سـفيرها في طهران .. الذي قـال: "إن الشـاه قـد انتهى .. وإن صفحته قد طويت نهائياً" .. وأخذت المعارضة تُلقي قيادها له .. فأعلن مهدي بازرجان -أحد قادة الجبهة الوطنية- أن أغلبيـة الشـعب في إيـران قـد اختارت الخميني ليكون قائدًا لها ..

وكانت أشرطة الخميني المسـجلة تحـرك الشـارع ضــــد الشــــاه؛ ففي(ربيـــع أول 1398 ه- فـــبراير 1978 م) خـــــرجت المظـــــاهرات من مســــاجد "تــبريز" .. ولم تســتطع قــوات الأمن الســيطرة عليها .. فخرجت فصائل من الجيش .. وســيطرت على الموقف .. وفُرض حصـار بـري وبحـري على المدينـــــة .. وازدادت حـــــدة المظـــــاهرات في

رمضـان .. وأخـذت تطـالب بـإغلاق المطـاعم .. والبنـوك الربويـة .. وفي يـوم الجمعـة (6 شـوال 1398 ه- 8 سـبتمبر 1978 م) وقعت مصـادمات بين الشرطة والمدنيين سـقط خلالهـا أربعـة آلاف قتيـل .. وسـمي ذلـك اليـوم "الجمعـة الـدامي" .. وأعلنت الأحكام العرفية .. وفُرض حظر التجول .. إلا أن المتظـاهرين تحـدوا ذلـك في مدينـة قم .. وخــرجت المظــاهرات وســقط أكــثر من ألفي قتيل .. وأعلن علماء الشيعة الحـداد وامتنعـوا عن الخطب .. وفي هذا الجو المشحون بالمآسي أقام الشاه حفلات باذخة؛ فكانت سـببًا في زيـادة حـدة الغضب الشعبي ..

معًا ضد الشاه

تميز صـيف عـام 1977 بارتفـاع شـديد في درجـة الحرارة وكـأن الطبيعة[35] بـدورها تمهـد للثـورة .. وكان النظام يستميت في إبداء ثباته .. لكنـه كـان يتخبط .. وارتفعت الأسعار وفرضت ضـرائب وعم الفسـاد .. ومنـذ بدايـة 1977كـانت نـذر العاصـفة تلوح في الأفـق .. وبعـد فـترة من الصـمت بـدأت مصـــــادمات في الشـــــوارع بين الســـــافاك والمجاهدين .. وتصدى البوليس لخلية كـانت تضـم 19 عضـواً من الرجـال والنسـاء .. وكـان الرجـال يقاتلون ويحوطون النساء داخـل دائـرة .. وتبـادلوا إطلاق النــار .. وتعمــدت النســاء الانتحــار داخــل الدائرة بقطع شرايين أيديهن .. وكانت الحادثة من

[35] ترد ألفاظ كثيرة في هذا النقل لا نسلم بها ولا نعتقدها .. ولكن أنقل التجربة كما وردت في المصدر وهو كتاب الخيار الثالث ..

الوحشية بمكان وأدانتها حقوق الإنسان في هولندا ..

ثم انضـم المثقفـون بكـل ثقلهم لينقـدوا بـدورهم النظـام .. وتمخضـت حركـة المثقفين عن تكـوين جمعيـة الـدفاع عن حقـوق الإنسـان في إيـران .. وانتشرت الجمعيات الإسـلامية وبـدأت الإضـرابات والمظـاهرات .. وأضـربت كليـة العلم والصـناعة لمدة شهرين .. وكـانت كـل هـذه الأعمـال تواجـه بالقمع والعنف ..

بدأت المظاهرات في الخـارج وهي الـتي فضـحت النظام .. وأضربت الجمعيات الإسلامية في فرنسا عن الطعام.

وأثنـاء زيـارة الشـاه لأمريكـا في نوفمـبر كـانت الجماعـات الإسـلامية قـد أعـدت للشـاه اسـتقبالاً حافلاً .. وقبل وصوله بخمسة أيام بدأ إضـراب عن الطعـام لفت أنظـار وسـائل الإعلام الأمريكيـة .. وتقاطر الطلاب الإيرانيون من كـل الولايـات أمـام البيت الأبيض .. وبمجرد دخول الشاه حديقة البيت الأبيض روعته مجموعة من الطلبة ملثمة بجـوارب من النايلون .. واضطرت الشـرطة الأمريكيـة إلى إلقاء القنابل المسيلة للدموع .. واشتعلت الصحف الأمريكية بهجمة على الشـاه: "المجنـون الـذي لم يعد أهلاً للثقة" ..

تجلى وجه آخـر للثـورة الإيرانيـة فقـد قـام التجـار بفتح حسـاب اكتتـابي في أحـد البنـوك لصـرف مرتبات الأساتذة عنـدما رفضـت الحكومـة صـرف

مرتبـات الأسـاتذة المعارضـين .. وحينهـا تـراجعت الحكومة عن قرارها ..

نبهت أحداث تبريز المسؤولين الإيرانيين المــوالين للشــاه إلى ضــرورة البحث عن حلــول للمشــكلة المتفاقمــة في إيــران .. ومن ثم بــدأت وســائل الإعلام تجــري نقــدًا ذاتيًــا لمؤسســات الدولــة .. ولنشــاط حــزب "رســتاخيز" الحــاكم .. بغــرض امتصاص الغضب الشعبي الذي شمل طهران وقم وتبريز .. غير أن الشـاه تمسـك بموقفـه الـرافض للاعـــتراف بالمعارضـــة ســـواءً المعتدلـــة أو المتشـددة .. بـل وصـفهم بالقتلـة الخـارجين على النظام .. وكـان هـذا الـرفض القـاطع منـه بمثابـة الضوء الأخضر للمعارضـة لتتحـد ضـده .. متناسـية خلافاتهــا الجوهريــة. كــذلك رفض الشــاه نصــائح الجنرال "ناصر مقدم" مدير السـافاك بـأن يسـمح بتكـوين أحـزاب .. وبالعمـل على إجـراء انتخابـات حرة .. وتطهير أجهزة الدولة من الفساد.

دفــع هــذا التعنت السياســي للشــاه إلى مطالبــة جميـع القـوى الوطنيـة بإسـقاطه .. وشـاركها في ذلـك كبـار التجـار أصـحاب البـازارات (الأسـواق التجارية)التي تضم (250) ألـف صـاحب محـل .. وكـان هـؤلاء التجـار يتمتعـون بعلاقـات متينـة مـع علماء الدين .. والمعروف أن الأسواق كانت تغلـق أبوابها في إيران عندما يثـور التجـار .. وأن التجـار كـــانوا يعتصـــمون في المســـاجد إذا أرادوا إعلان احتجاجهم في مواجهـة السـلطة .. كمـا أن الشـاه قام بسجن ثمانية آلاف تاجر من أصـحاب المحـال

التجارية؛ لذلك ألقى البازار في إيران بثقله وقوتـه في كفة الخميني ضد الشاه.

وقـد امتـدت المظـاهرات في إيـران إلى أربعين مدينـــة .. وقـــاطع الطلاب الدراســـة .. ورفض الخميـني إجـراء أي حـوار سياسـي مـع الحكومـة الإيرانيـة .. فسـقطت الحكومـة .. وكُلـف رئيس الأركان "غلام رضا أزهري" بتشكيل حكومة جديدة .. وتطرق بعض قادة الجيش في عروضـهم لإنهـاء المظـاهرات .. فـاقترح الجـنرال "غلام أوفيسـي" حاكم طهران على الشاه تدمير مدينة قم .. وتوقع أن يكون ضـحايا هـذا التـدمير مليـون قتيـل .. فلم يوافق الشاه على هذا الاقتراح .. فـترك أوفيسـي البلاد.

تدبير الحوادث

قام النظـام بتـدبير حادثـة حـرق السـينما لتشـويه الحركة الشعبية .. وكانت النتيجة احتراق أكـثر من خمسمائة رجل وامرأة وطفل .. وتلكأت الشـرطة في عملية الإنقاذ لتزيـد من الكارثـة .. وبعـد عـدة أيـام من الحـادث هـاجم النـاس قسـم الشـرطة بـــالفؤوس والمـــدي مطـــالبين بـــرأس مـــدير الشـرطة .. وكـان قـد اسـتدعي إلى طهـران بعـد الحادثة .. وقـد أدت هـذه العمليـة إلى إفاقـة عـدد كبير من الذين كانوا مشغولين بحياتهم اليومية.

بعد يوم الجمعة الأسود أراد الخميني أن يزيل هيبة النظـام تمامـاً أمـام العـالم كلـه .. فـدعا إلى الإضرابات حتى وصلت إلى معامل التكريـر .. فلم

يكن تأثيرها محلياً فقط .. بل طـالت كـل بيت في أوروبا الغربية وأمريكا وإسرائيل. فالبترول عصـب الحياة.

وكان الخميني يدعو إلى المواجهة بقـوة ولكن مـع ضـبط النفس والصـبر لتجنب حـرب أهليـة. وكلمـا قام النظام بافتعال حريـق ظنـاً منـه أن الجمـاهير ستسلب وتنهب ليشوه صورة المعارضة .. فإذا به يجـد الجمـاهير تسـتجيب للخميـني وتهـرع لإطفـاء الحرائــق دون ســلب أو نهب .. وقــد بلغت قــوة الخميني وتأثيره أن صرح لمراسل النيوزويك: "إن جمــاهير إيــران تكتفي بالمظــاهرات حــتى الآن .. لكنهــا ســوف تلجــأ إلى وســيلة أشــد عنفــاً إذا استدعى الأمر .. وأنه قادر على سحق النظام وهو في منفاه" ..

عمت الإضــرابات .. فكــل يــوم تعلن شــركة في القطاع الخاص أنهـا سـتغلق .. وأضـرب الفلاحـون عن العمـل في أراضـي الدولـة .. وأضـرب عمـال الكهرباء مؤقتاً لمـدة سـاعتين يوميـاً وهـو الـوقت الذي تبث فيه نشرة الأخبار .. فمنعوا إعلام الشاه من دخــول الــبيوت .. وامتنعت الصــحف فكــان امتناعها ترويجاً للثورة .. وبـذلك نـالت الإضـرابات من البنية المالية والاقتصادية لنظام الشاه.

وأصدر الخميني خطابـه الملتهب: "إن كـل سـاعة من إضرابكم خدمـة للـه ولدولـة الإسـلام" .. وقـد فجر الخميني المفاجأة حينما أمر رجـال الـدين أن يعينوا الفقراء في هذه الإضرابات لأنهم من أوائــل المتضــررين .. فصــرف لهم من الأمــوال الدينيــة

"سهم الإمام" .. وهـذا يفسـر صـمود الشـعب في إضرابه طـوال الأسـابيع والشـهور .. وقـام التجـار أيضاً بواجبهم في دعم الفقراء على خير وجه.

وفي 25 نوفمـبر أصـدر موظفـو البنـك المركـزي قائمة بأسماء الذين قاموا بتهريب أموالهم للخـارج من النظام.

وبحلول محرم .. "الخـروج يـوم عاشـوراء ذكـرى استشهاد الحسـين" كـانت المواجهـة النهائيـة بين الثــورة والنظــام .. فمــا إن حلت أول ليلــة من المحرم حتى ضجت أسطح المنازل بالهتـاف"اللـه أكبر" .. كل فرد إيراني جمع أسرته وصـعد سـطح المـنزل لـيرى الهلال ويكـبر .. إنـه شـهر الشـهادة والحرية .. وبدأ الإلهـاب العـاطفي الثـوري الـديني مرة أخرى .. فمن يستشهد في المحـرم سيحشـر مع الحسين وشهداء آل البيت .. وصرخ الخميــني: "إن شهر المحرم هو سيف الله البتار قد وضع في أيدي أتباع الإمام الحسـين .. وسـوف يضـرب كمـا ينبغي بعونه...."

واستمرت المظـاهرات وامتلأت الأرض بالـدماء .. وانقلبت مسيرات التاسع والعاشـر من محـرم من مظاهر عـزاء على آل الـبيت إلى اسـتفتاء حقيقي يدين النظام ويخلع الشاه ويؤكـد زعامـة الخميـني ويبايعه ..

الخميني والجيش

كان الخميني يدرك أثر الإعلام (رسائله الصوتية) في إشـعال الثـورة الإيرانيـة .. ولم تكن السـافاك

تقلقه رغم قوتها وبشاعة أساليبها؛ لأنــه يعلم أن (50) ألــف عميــل من الســافاك لن يســتطيعوا مواجهــة (35) مليــون ثــائر .. وخلص إلى أن المشــكلة الرئيســة الــتي تعــترض نجــاح الثــورة وإسقاط الشاه هي الجيش .. الذي تزيد قواته عن نصـف مليـون جنـدي ذوي تسـليح جيـد وتـدريب راقٍ .. لذا رأى أنه من الضروري تحييد الجيش في الصـراع بين الشـعب والشـاه .. وضـرورة تحطيم الروابـط القويـة بين الجيش والشـاه .. فخصـص جــزءًا كبــيراً من إعلامــه لــه .. تضــمن ألا يخــدم الجيش الشاه لأنه طـاغوت .. في حين أنهم جنـود الله المستضعفون .. ودعاهم ألا يطلقوا النار على إخوانهم المسلمين؛ لأن كـل رصاصـة تصـيب قلب مسلم تصيب قلب القرآن .. ونصحهم بـأن يعـودوا إلى قراهم ومدنهم وأن يعودوا إلى الله.

وكان لنداءاتـه أثرهـا في الجيش؛ فبـدأت التقـارير تسجل حـالات هـروب من الخدمـة .. عنـدها كثـف إعلامــه الموجــه للجيش .. وطلب من الفــارين أن يأخذوا أسـلحتهم معهم أثنـاء الهـرب لأنهـا أسـلحة الله .. فقامت كتيبة كاملة مضادة للطـائرات من (500) جندي تعسكر قرب مشهد بـالهروب بكامـل أســـلحتها .. فـــأدى ذلـــك إلى اتســـاع نطـــاق الاضــطرابات ولم تســتطع الشــرطة والســافاك مواجهتها.

وطلب الخميــني من الشــعب الثــائر ألا يصــطدم بـــــالجيش تحت أي ظـــــرف .. وأعلن صـــــيحته المشهورة: " لا تهاجموا الجيش في صـدره؛ ولكن

هـاجموه في قلبـه .. إذا صـدرت إليهم الأوامـر بـإطلاق النـار عليكم .. فلتعـروا صـدوركم .. فـدماؤكم والحب الـذي سـتظهرونه لهم وأنتم تسلمون الروح لبارئها سـوف يقنعهم؛ فـدماء كـل شهيد هي ناقوس خطر يوقظ آلافًا من الأحيـاء" .. وكـان المتظـاهرون يهتفـون "أيهـا الجنـدي...أنت أخي لا تقتلني" ..

استخدم الخميـني كلمـات وتعـابير تثـير الوجـدان وتهـز الأعمـاق .. وأدرك نقـاط الضـعف في الجيش .. واستطاع أن يفصل بين الجنود البسطاء والضباط .. وبذلك تمكن من نزع سـلاح الجيش .. بل نزع الجيش من يد الشاه قبل قيام الثورة.

كـان العنـف الزائـد من النظـام يقابـل بالإضـراب السـلمي من الشـعب .. واسـتمرت الإضـرابات أربعة شـهور شـلت النظـام. وأراد الشـاه أن يلجـأ إلى الطـيران وفـوجئ بإضـراب القـوات الجويـة وانضمامها إلى الثورة.

العودة منتصراً

رفض الخميـني أيـة حلـول وسـط مـع حكومـة "شـاهبور بختيـار" الجديـدة .. ورفـع شـعار "لا" ليكـون شـعار الثـورة .. واسـتمرت الاضـطرابات والمظـاهرات العارمـة الـتي قضـت على قـدرة بختيار على التأثير في الأحداث .. وأعلن الخميـني أنه سيرفض أية حكومة طالما بقي الشـاه .. وأنـه لن يقبل إلا سقوط نظام الشاه وإقامـة جمهوريـة إسـلامية .. وأمـام ذلـك غـادر الشـاه إيـران في (

17صـــــفر 1399 هـ- 16 ينـــــاير 1979 م) إلى القـاهرة بعـدما اسـتولى هـو وأسـرته على مئـات الملايين من الدولارات من البنوك.

وفي (4 ربيـــع الأول 1399 هـ- 1 فـــبراير 1979 م) وصـــل الخميـــني إلى طهـــران .. وكـــان في اســـتقباله في المطـــار ســـتة ملايين شـــخص .. وأحاطت هذه الجموع بالرجل ذي الثمانين عامًـا .. وكـــاد الحب يقتلـــه .. فاســـتقل طـــائرة هليكوبـــتر ليكمل رحلته فوق رؤوس البشـر الـذين احتشـدوا لاستقباله ..

ومع قدومه ذابت الدولة وسلطتها وحكومتها أمـــام شخصـــيته .. وانضـــمت بعض وحـــدات الجيش إلى المتظاهرين .. وأعلن عدم شرعية حكومة شاهبور بختيار .. وعين"مهدي بازركـان" رئيسًـا للـوزراء .. فـــأعلن بختيـــار الحكم العســـكري .. فـــرد عليـــه الخميني بـإعلان العصـيان المـدني .. وكتب ورقـة نُقلت صورتها على شاشـة التلفـاز الـذي اسـتولى عليه أنصاره .. فيها: "تحدوا حظر التجول" فتدفق الشعب إلى الشارع .. وتصاعدت حدة المواجهـات .. واسـتولى المتظـاهرون على كميـات كبـيرة من أســلحة الجيش .. فجـــاء القائـــد الأعلى للقـــوات المسـلحة الجـنرال قربـاغي إلى الخميـني وأعلن استســـلامه وحيـــاد الجيش في المواجهـــات الـــتي تحدث في المدن بين مؤيدي النظـامين .. وعـادت القوات العسكرية إلى مواقعهـا .. وأعلن الخميـني قيـــام الجمهوريـــة الإســـلامية الإيرانيـــة .. بعـــدما استمرت الثورة عامًا كاملاً سقط خلاله أكثر من (

76) ألف قتيل .. وفر شاهبور بختيار إلى خارج إيرا ن .. أهـ النقل من كتاب الخيار الثالث ..

في الخامس[36] من فبراير 1979 عقد الخميني مؤتمراً صحفياً في مقر إقامته بمدرسة علوي بطهران حدد فيه برنامجه السياسي على الوجه التالي:

1- أن الرأي العام والشعب قد اعترفوا به زعيماً للبلاد ..

2- أنه عين حكومة مؤقتة لإجراء الاستفتاء ..

3- أن معارضة الحكومة التي عينها تعد معارضة لحكم الله ..

تحددت مهام حكومة بزرجان في الآتي: إجراء استفتاء حول تغيير النظام السياسي للبلاد من الملكية إلى الجمهورية الإسلامية .. تشكيل مجلس تأسيسي من ممثلي الشعب بغرض المصادقة على الدستور الجديد .. انتخاب مجلس نواب الشعب وفقاً للقانون الأساسي الجديد ..

سلمت رئاسة الأركان العامة وقيادة القوات المسلحة طهران وبقية المدن لنظام الخميني .. شكلت لجان ثورية لمحاكمة أعداء الثورة في كافة المدن الإيرانية فحكمت بالإعدام رمياً بالرصاص على قيادات الجيش الموالية للشاه وجميع الرموز السياسية التي عرفت بالتعاون معه أو العمل تحت قيادته أو في ظل نظامه ..

[36] المصدر: كتاب (تاريخ إيران السياسي بين ثورتين) تأليف د. آمال السبكي ..

وأصــبحت ســلطة مجلس قيــادة الثــورة بقيــادة الخميـني فـوق كـل السـلطات بمـا فيهـا مجلس الــوزراء .. وحلت الدولــة الدينيــة محــل الدولــة العلمانية وانتهى عصر بهلوي نهائياً ..

أهم أعمال الخميني بعد نجاح الثورة:

* نادى الخميني بالولاية المطلقـة للفقيـه .. ورغم الخلافات الكثـيرة حـول هـذه النقطـة وغيرهـا من قيادة الدولة إلا أنها بقيت في البيت الشيعي حـتى لا ينال التيـار العلمـاني منهم .. تبلـور هـذا الخلاف عن ست[37] مجموعـات دينيـة متمـيزة .. أسـفرت عن تفوق التيار الراديكـالي الـذي يقـوده الخميـني للأسباب التالية:

أولاً: أن الشاه قد قضـى على الأحـزاب السياسـية والجمعيات المهنية والنقابات العمالية وصهرها في بوتقة الحـزب الواحـد المعـروف بــ "رسـتاخيز" .. وفي نفس الوقت أهمل قوة رجال الدين ..

ثانيـاً: لجـوء الشـاه للقـوة العسـكرية في إخمـاد التظاهرات التي بدأت مطلع عـام 1977 وازدادت

---

[37] المجموعات هي: الثوريون الراديكاليون (آية الله الخميني وآية اللـه بهشتي وآية الله باهنر وحجة الإسلام خامنئي وحجة الإسلام رفسنجاني كونوا الحزب الجمهوري الإسلامي) .. المتدينون المعتـدلون (آيـة اللـه شريعة مداري وآية اللـه كلبايكـاني وآيـة اللـه شـهاب الـدين مرعشـي نجفي كون أنصارهم حزب الشعب الإسلامي الجمهوري) .. المتــدينون اللبراليون (مهدي بازركان ودعمه جيل المسنين من المهنيين والفنيين وموظفي الحكومة) .. الإصـلاحيون (اتبـاع الـدكتور على شـريعتي من المجاهدين المشتركين في حرب العصـابات) .. الوطـنيون التقليـديون (الجبهة الوطنية من المسنين الذين عايشوا تجربة مصـدق) .. اليسـار الإيراني (حزب تـوده الشـيوعي .. فـدائي خلـق .. مجاهـدي خلـق) .. المصدر السابق ..

فيما عرف بمذبحة الجمعة السوداء (8 سبتمبر 1978) .. فأعطى الخميني فرصة نادرة ليعلن عن مبدأه الرافض للحلول الوسط والداعي لردع العدوان بأشد منه تحت مظلة الجهاد الإسلامي ..

ثالثاً: لم تستطع المجموعات الوطنية من أهل الفكر العلماني ومثقفي إيران أن تعمل وسط جماهير المدينة في إطار زخم المناخ الديني .. وامتهانه لهم ووصمهم بعملاء الغرب ..

رابعاً: رسم الخميني في غربته أيدلوجية بسيطة وملائمة لطبقات الشعب الإيراني شملت القضاء على الفساد وتوزيع الثروة وانتقال السلطة وبعض الخدمات الاجتماعية ومشروعات البنية التحتية .. فحصد بها الشعبية التي يريد .. في حين انشغل خصومة الدينيين بعلاقاتهم المتشعبة بالبازار ..

خامساً: الصفات الذاتية للخميني والتي تمثلت في الذكاء والوقار وقدراته على جذب المستمعين .. وأسلوب معيشته المتواضع وتقشفه .. فكان نموذجاً للحدة والثبات على المبدأ .. فلقبته الجماهير بالإمام وهو لقب لم يحصل عليه في التاريخ الشيعي إلا اثنا عشر إماما فقط ..

*[38] أنشأ الخميني منظمة الحرس الثوري من الثائرين .. بالفارسية: (سپاه پاسدران انقلاب اسلامى) .. لتكون الدرع الواقي الذي يحمي الثورة[39] من قوى البيروقراطية والمؤسسات العسكرية (وزارتي الدفاع والداخلية) .. وتسلم

---

[38] هذا البند ليس من كتاب تاريخ إيران السياسي بين ثورتين .. وقد قمت بإضافته .. لذا وجب التنبيه

هـو قيادتهـا بعـد أن وضـع على رأسـها قيـادات مخلصـة لـه .. تم تطـوير تسـليح الحـرس الثـوري وأصـبح لـه فـروع وتخصصـات تمامـا كتخصصـات الجيش ويمتـــاز عنـــه بقـــوة ارتبـــاط عناصـــره بعقيـدتهم .. وبالتـالي تمكن تمامـا من إحبـاط أي محاولـة انقلاب للجيش .. أو أي قـوى أخـرى من قوى الثورة المضادة ..

وهكـذا امتلكت الثـورة الشـق العقـدي .. والقـوة المسلحة الحامية .. والطاقة الروحانيـة الدافعـة .. وتبلور التحالف القائم على الأمـــر .. ولكن إلى كم من الـــوقت ســـتظل روح الثـــورة مســـيطرة؟ .. والدولة تتحرك بمثالية الثورة؟ ..

أسباب اندلاع الثورة الإيرانية:[40]

يــرى الــرئيس الأمــريكي نيكســون أن الأصــولية الإسلامية حلت محل الشيوعية الـتي سـقطت في

[39] أصبح من طبيعة التغيير أي ما يكون نوعه أو القائمين عليه أن يتحول من المثاليـة إلى المصـلحة .. عنـدما يبلـغ القـائمين على التغيـير هـذه المرحلة يعلنون عنها بمصطلحين: الأول أن الثورة تحـولت إلى دولـة .. الثاني: أن النظام الثوري بلغ مرحلـة النضـج .. ولكن معناهمـا الحقيقي تحول أناني للدفاع عن مصلحته .. التي تتبلور مع الـوقت بأنهـا مصـالح ومكتسبات القـائمين عليـه فقـط بغض النظـر عن مصـلحة الشـعب أو آماله وطموحاته .. وأن هناك طبقـة جديـدة أنجبتهـا الثـورة حلت محـل الطبقات التي ثارت عليها وللأسف ورثت مكنوناتهـا النفسـية من أنانيـة وغشـم وقهـر .. وهكـذا سـرعان مـا تنفصـل مصـلحة المتحـالفين في السـلطة عن مصـلحة الشـعب؟! .. وهي حالـة إنسـانية بحتـه ينـدر بـل محال أن يـترفع عنهـا أو ينجـوا منهـا أحـد .. ومفـاد ذلـك أن تبـدأ ثـورة جديدة تتولد في مخيلة الناس .. وتبـدأ في تجاربهـا للتغيـير حـتى تصـل لمبتغاها .. ولهذا فالثورة مسـتمرة كغريـزة بشـرية .. العامـل الـرئيس فيها هو النظـام الظـالم .. ومـا يحـدث بعـد ذلـك مجـرد تطـور طـبيعي بشري لرفع الظلم .. وهو ما يسمى بالثورة ..

[40] تاريخ إيران السياسي بين ثورتين

المنطقة الإسلامية .. كما أن سبب الثورة المباشر يرجـع إلى فسـاد الشـاه وقمـع الشـرطة .. وأن الشـباب سـاندوا الثـورة لأنهم كـانوا يبحثـون عن شيء يؤمنون به غير المادية والإلحاد ..

وعلى الرغم من أن وجهة نظـر الـرئيس نيكسـون تحمـل جانبـاً من الصـواب فـإن الجـانب الأخـر للحقيقة التي أغفلها عن عمد تتمثـل في عنصـرين أساسـيين الأول: يرتكـز على أخطـاء الشـاه ومساوئ النظـام .. تلـك المسـاوئ الـتي أدت إلى استجابة الشارع الإيراني بسرعة لنداءات الخميني .. وانحصر العنصر الثاني في إذكاء المبادئ الدينية الـتي يـؤمن بهـا أنصـار الشـيعة الجعفريـة الإثنـا عشـرية .. والمتمثلـة في ولايـة الفقيـه .. تلـك العقيدة المختزنة في الضمير الإيراني ..

الرؤية الأمريكية للتفاعل مع الثورة:

انقسم صناع القرار فيها إلى قسمين: الأول يمثل الصـقور ويرأسـه الـدكتور زبيجـنيو برجينسـكي مستشار الأمن القومي والذي كـان يشـجع الشـاه على مزيد من العنـف والقسـوة حـتى يتمكن من سحق المعارضة .. بدعوى أن سقوط الشاه فجأة سـيؤدي إلى خسـارة فادحـة لمصـالح الولايـات المتحدة في الخليج ..

الفريـق الآخـر يمثـل الحمـائم وعلى رأسـه سـفير الولايات المتحدة في طهران وليام سوليفان الذي رأى أن الشـاه لا ينبغي لـه اسـتخدام القـوة مـع المعارضـة لسـببين: الأول أن المعارضـة الإيرانيـة

شديدة الانتشار وأنها شملت جميع أرجاء الدولة وأصبح من الصعب سحقها .. الثاني أن الجيش لم يهتم لأمر البلاط وأنه لن يتدخل لإنقاذه بعد قرار المجلس الأعلى للضباط بالتزام الحياد في يناير 1979 .. واقترح سوليفان أن يمد الشاه يده للمعارضة الداخلية المعتدلة حتى يستطيع جذبها لجانبه وإبعادها عن القيادات المناوئة له .. كما اقترح أن يمد الشاه يد الصداقة للخميني .. وكان الرئيس كارتر من المؤيدين لرأي الحمائم خوفاً من تكرار ما حدث في شيلي ..

وصل إلى طهران الجنرال هاوزر نائب القائد العام لقوات حلف الأطلنطي في أوروبا في الخامس من يناير 1979 وبقي بها حتى 8 فبراير أي بعد رحيل الشاه من طهران نهائيا .. وقد انحصرت مهمته في منع الجيش من القيام بانقلاب لإنقاذ العرش .. لكي يبقى الجيش[41] الإيراني جاهزاً أمام الأمريكيين عند الحاجة إليه ..

محاولة انقلابية فاشلة[42]:

[41] أليس من العجيب هذا التشابه بين ما حدث في إيران وما حدث في مصر .. ولكن الولايات المتحدة استفادت من تجربة إيران .. فلم تسمح للحالة الثورية في مصر أن تطول فتفرز عقيدتها وقيادتها ومؤيديها فيستحيل علاجها كما حدث في إيران .. فسرعت في إسقاط النظام المصري وأبقت الجيش على الحياد ظاهرياً .. ثم أدارت برنامج شبيه بخطة أجاكس التي سبق أيضاً وطبقتها في إيران فأنهت بها حكومة مرسي كما أنهت سابقاً حكومة مصدق في إيران .. وبالتالي كان الجيش المصري حاضراً عندما طلبه الأمريكان لتولي زمام الأمور مرة أخرى .. وهذا يتناسب مع قناعاتي حول مدى إمكانية نجاح الثورات السلمية .. لقد كانت التجربة الإيرانية حالة غافلت العالم ويصعب تكرارها ..

في تموز/يوليو 1980 .. اجتمع زبيجنيو برجينسكي مستشار الأمن القومي الأمريكي بالحسين بن طلال ملك الأردن في عمّان لمناقشة خطط مفصلة يرعى من خلالها الرئيس العراقي صدام حسين تقديم انقلاب في إيران ضد الخميني .. الحسين بن طلال الذي كان أقرب حلفاء صدام في العالم العربي .. أدى دور الوسيط أثناء التخطيط .. الغزو العراقي لإيران سيكون تلبية لدعوة من الضباط الإيرانيين الموالين الذين يخططون لانقلاب أو انتفاضة في 9 تموز/يوليو 1980 (في عملية أطلق عليها اسم: "نوجة" .. تيمناً باسم قاعدة جوية في همذان.

تم تنظيم الضباط الإيرانيين بواسطة شاهبور بختيار الذي فر إلى فرنسا بعد تسلم الخميني السلطة .. لكنه كان يدير العمليات من بغداد والسليمانية في الوقت الذي تم في اللقاء بين زبيجنيو برجينسكي والحسين بن طلال .. على أي حال فقد تسربت أنباء الخطة إلى الخميني عن طريق عملاء سوفييت في فرنسا وباكستان وأمريكا اللاتينية .. وسرعان ما تمكن الرئيس الإيراني الحسن بني صدر من تطويق قرابة 600 من الضباط وأعدم كثيراً منهم .. واضعاً نهاية حاسمة لخطة "نوجة" للانقلاب .. قرر صدام إتمام المخطط بدون معونة الضباط الإيرانيين .. فيبدأ

[42] من موسوعة ويكيبيديا على شبكة الانترنت .. وهي موسوعة يصعب التأكد من صحة المعلومات بها دون ذكر المصادر والعودة إليها ..

بـــذلك حربـــاً ضروســـاً دامت 8 ســـنوات عجـــاف حصدت أكثر من مليون قتيل ولم تبق ولم تذر.

***

خاتمة:

الانتفاضة الشـعبية السـلمية قـد يكتب لهـا النجـاح وتستكمل تطورها حتى تفـرض نظامهـا ونموذجهـا الحـالي هـو إيـران .. وعـادة لا تتمكن من النجـاح ويتم إحباطها بقسوة .. إلا أن الشـعب الحي يعـود مرة أخرى ليقود مسيرة الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية .. ولكنه يستفيد من تجربته السابقة ولا يكررهـا .. وتكـون مسـيرته القادمـة إمـا انتفاضـة مسلحة .. أو حرب عصابات ..

تعتمـــد مســـيرة التغيـــير القادمـــة على طبيعـــة الشعب .. وطبيعة الأرض .. وما تعلمه الشعب من رد فعل النظام وقواته العسكرية والأمنية سابقاً .. وما هو متوقع منهما لاحقاً ..

في الثقافة الثورية (4)

الثورة المضادة (النموذج المصري)

لقد كان العسكر على أتم استعداد حينما بدأت الانتفاضة .. ربما هُم من حرض عليها .. لقد كان همّ من هموم الجنرالات وجود أسرة[43] حسني مبارك في الحكم .. وشريحة من قدامى الضباط في الخلفية .. وزاد الهم هماً خروج الشعب كله راغباً في التغيير .. ولقد كان متوقعاً ذلك .. فمصر بعد الحادي عشر من سبتمبر تعيش في أجواء الثورة .. ما كان غير متوقع هو أنهم فشلوا كعسكر في تدجين أو إرهاب الجيل الجديد[44]

---

[43] التوريث في مصر ظاهرة عامة .. والاستثناء أصبح الأصل فيها .. فللقبول ببعض الجامعات هناك استثناء للمجموع النهائي .. فمثلاً ابن ضابط الشرطة يكفيه النجاح في الثانوية لدخول كلية الشرطة .. وكذلك استثناءات لأبناء القضاة وضباط الجيش وغيرهم .. فقضية الاستثناء أو التوريث غير المباشر هي سمة عامة في مصر .. ولهذا فالقاضي الفاسد عندما يترك القضاء يترك خلفه اثنين على الأقل من الأبناء أفسد منه .. وهكذا .. تتابع على أجهزة الدولة أسر .. فما المانع أن يتم ذلك في مؤسسة الرئاسة حتى لو كان الابن مريض نفسياً ويعالج في الخارج ..

[44] يصح لنا أن نطلق على هذا الجيل اسم (**جيل أسامة بن لادن**) .. الجيل الذي أنجبه الجهاد في أفغانستان .. وتحول إلى ظاهرة أثّرَت

وكسب ولاءه بعد سنة 60 من الحكم .. فقد خرج الشعب بأعداد فاقت ما كانوا يتوقعون في أسوء كوابيسهم ..

عملياً استعد العسكر بشكل جيد للقضاء على الانتفاضة .. أما الشعب والعناصر التي برزت فقد كانت تحبوا يوم قامت الانتفاضة .. ولكنهم كانوا منتبهين لبعض الحيل التي واكبت بداية الانتفاضة من إسقاط الحكومة إلى إسقاط الرئيس .. وأصروا على إزالتهما ونجحوا ووفقوا في ذلك .. أما ما تلى ذلك فقد فاق عمرهم الثوري .. فلم تعي الانتفاضة ما يجب أن تفعل .. وقد أسكرتهم التحية العسكرية لشهدائها .. إن لحظة التنحي هي اللحظة الحقيقية لبدأ الثورة المضادة .. وما قام به المجلس العسكري لم يخدم إلا مشروعهم الرامي لإعادة الحكم إليهم ..

لقد كان طنطاوي ومجموعته على قدر من الدهاء والخبث فاق قدرات كبار الكوادر الثورية والجماعات الإسلامية والتيارات السياسية التي شاركت في الانتفاضة .. وعلى الرغم من وجود تجربة سابقة في إيران أعادت الشاه إلى الحكم "عملية أجاكس" .. إلا أن حسن تغطية طنطاوي ورفاقه على الدور الأمريكي وتمتع الجميع بالصبر والتربص .. أعمت عيون الناس عن المؤامرة "أجاكس2" ولم ينتبه لها إلا قبيل التنفيذ بقليل ..

وأثَّرَت في الأمة الإسلامية .. من المحيط الهادي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً .. وإن شاء الله ستستمر التجربة لتحقق للأمة ما تصبوا إليه ..

ملخص ســـريع لعمليـــة أجـــاكس (مصـــدق – الشاه) .. قبل سنــ62ــة .. عام «1951» وصل الــدكتور محمــد مصــدق إلى رئاســة الــوزارء في إيران بعد انتخابـات برلمانيَّة حُـرة .. مصـدق كـان يقود وقتـذاك الجبهـة الوطنيـة أو «جبهـة ملي» .. وقــاد ثــورة حقيقيَّة ضــد نظــام الشــاه .. وشــرع مصــدق في تحريـــر بلاده من القبضـــة والهيمنـــة البريطانيـة والأمريكيـة وخاصـة شـركات البـترول الــتي كــانت تتحكم في مــوارد إيــران البتروليــة وثرواتها وجرى تأميم النفط الإيـراني .. وتبـع ذلـك عزم مصـدق على رفض التبعيـة للقـوى الغربيـة.. والقيـام بـإجراء تغيـيرات في بنيـة وهيكـل الدولـة لإعادة إيران إلى تاريخهـا وهُويتهـا والاسـتفادة من مواردهـــا وقـــدراتها الاقتصـــادية .. فقـــام بـــأربع خطـوات: وضـع برنـامج إصـلاح زراعي أرعب بـه الإقطـــاعيين .. تحـــالف مصـــدق مـــع اليســـاريين والليبراليين فأخاف القصر .. وقـام بتـأميم النفـط فاستعدى الغـرب .. وأسـس للديمقراطيـة فـأفزع «الســـافاك» (مخـــابرات الشـــاه) والمحيطين بالملكية ..

انضــم بعض رجــال الــدين إلى حركــة مصــدق .. وأفتوا بأن كل من يعـارض تـأميم النفـط الإيـراني فهـــو عـــدو الإســـلام .. وحين أعلن مصـــدق عن اعتزامـه وضـع خطـة لتطـبيق الإصـلاح الـزراعي وتحديــد ملكيــة الأراضــي .. خاصــمته المؤسســة الدينيـــة وتخلت عن تأييـــده .. واعتـــبره فقهـــاء السلطان معادياً للإسلام والشريعة ..

لجأت بريطانيا إلى فرض حصار دولي على النفط الإيراني بدعوى أن حكومته انتهكت حقوق شركة "بريتش بتروليوم" التي تملك لندن الحصة الأعظم في ثروتها .. أمر إيزنهاور وكالة المخابرات الأمريكية بتدبير انقلاب مضاد على مصدق .. فأمريكا اعتبرت إيران قاعدة مركزية لها في مواجهة السوفيت .. أرسل إلى طهران اثنين من رجال المخابرات المركزية للقيام بما يجب لإسقاط الحكومة في عملية عُرفت باسم أجاكس .. (تسمى بالفارسية كودته 28 مرداد) .. قادها ضابطي المخابرات الأمريكية "كرميت روزفلت ونورمان شوارزكوف[45]" .. تمحورت في تفجير حركة الشارع الإيراني .. وتحريك تظاهرات مضادة لمصدق .. وتشويه صورته .. وإنهاء هيبة الدولة والسلطة عبر الشعارات البذيئة والتافهة التي تحطّ من قدر مصدق وقيادات حكمه .. وإرهاب الشعب من خلال أعمال القتل والبلطجة .. وتهيئة الأجواء لنجاح الانقلاب المضاد ضد مصدق..

لقد كان الإعداد للمخطط كامل .. سياسي وإعلامي واقتصادي وعسكري .. وحتى ديني ..

[45] نلاحظ مسألة التوريث الأسري في العالم .. فكرميت روزفلت حفيد الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت .. ونورمان شوارزكوف والد القائد العسكري الأمريكي المعروف في حرب الخليج الأولى .. ومسألة التوريث لها أيضاً أصل عند الإنكشارية في الدولة العثمانية .. فأبناء الإنكشاري كانوا يرثون الإقطاعية بمن عليها من السكان .. وفي حال انقطاع النسل كان تمنح الإقطاعية لإنكشاري جديد .. وهكذا .. والذين ظنوا أنهم قضوا على الإقطاع أو الملكية أو الأسر الحاكمة واهمون .. لأنهم أنفسهم يتحولوا لما انقلبوا عليه ..

للإطاحة بهذه الحكومة الوطنية التي جاءت عن طريق صناديق الاقتراع للحد من فساد واستبداد الشاه .. بدأت الخطة بنشر الإشاعات الكاذبة حول حكومة مصدق في الداخل والخارج .. جرى تصويره كشيوعي معاد للدين تارة .. وكعميل موال للسوفيت .. ثم كعدو للديمقراطية والاقتصاد الحر .. وكعدو للفقراء مرة .. وضد الأغنياء أخرى .. وتم تقديم الرشاوى بملايين الدولارات لأعضاء في البرلمان وخارج البرلمان لتعاون إنجاح خطة الإطاحة بالحكومة .. وجرى تنظيم صفوف رجال الأمن .. بحيث يصيرون ضد الحكومة ورئيسها .. وأقيمت تحالف بين فلول نظام الشاه وطبقة رجال المال والأعمال وقيادة الجيش الإيراني .. ثم جاءت عملية تنظيم مظاهرات في الشارع وفي أكثر من إقليم .. تظهر الوثائق الأمريكية أسماء شخصيات كثيرة من «البلطجية» كما يسمون اليوم في مصر أو «عصابة الأشرار» كما تسميهم الوثائق الأمريكية الذين كانوا يبعثون أتباعهم للخروج في مظاهرات .. وأحكم الخناق على حكومة الدكتور مصدق ما بين التظاهرات في الشارع وتحركات بقايا نظام الشاه مع الجيش وعصابات الإجرام التي تولت تصفية القيادات الشعبية والمدنية لحكومة مصدق ..

استمرت الحرب الإعلامية الدعائية وحرب الشوارع عن طريق المظاهرات المفبركة ورشوة النخبة .. ثم جاء الدور على الاقتصاد .. حيث قادت

بريطانيا حربا على النفط الإيراني في الأسواق العالمية بدعوى أن إيران اعتدت على الحقوق التجارية البريطانية في الشركة المؤممة .. ساءت الأوضاع .. واحتدم الصراع بين مصدق والشاه .. ما دفع هذا الأخير إلى الهرب إلى إيطاليا في بداية 1953 .. وقبل أن يهرب وقع قرارين: الأول هو عزل مصدق .. والثاني تعيين الجنرال فضل الله زاهدي محله ..

واشتد الحصار الاقتصادي على البلاد .. واتسعت المظاهرات مدفوعة الأجر .. وأصبح الجو مهيأ لـ«الحركة الأخيرة» .. انقلاب عسكري على رئيس الحكومة مصدق .. استطاع جنرالات الجيش بقيادة الجنرال فضل الله زاهدي من محاصرة مقر مصدق .. وقصفه وإسقاط سلطته في التاسع من أغسطس عام 1953م .. واعتقاله وإيداعه السجن .. وإعادة الشاه الهارب إلى الحكم مرة أخرى.. وطُويت صفحة من تاريخ إيران مرَّت بسرعة البرق .. لكن بعد 26 سنة في العاشر من فبراير 1979.. خرج مصدق آخر في ثوب راديكالي ديني اسمه آية الله الخميني .. وقاد ثورة هادرة على الشاه وعلى الغرب ومصالحه وثقافته .. واقتلع النظام السابق من جذوره .. ولد هذا قناعة بأن الإطاحة بمصدق كانت السبب رقم واحد في نجاح ثورة الخميني .. وأكد لي أن التفاعلات الشعبية لا تنجح من المرة الأولى .. فالشعوب تحتاج لتراكم خبرات حتى تتجاوز ما أعاقها من قبل ..

إذن: أمريكــــا .. رجـــال الأعمـــال .. العســـكر .. الفلول .. البلطجيـة .. الرشـاوى .. الأمن .. رجـال الدين .. الإعلام .. السفهاء .. مظـاهرات مدفوعـة الأجـــر .. وأخـــيراً انقلاب عســـكري .. الانتقـــام .. الســجن .. ومســتقبل مظلم .. مــا أشــبه الليلــة بالبارحة .. وما أشبه مصدق بمرسي .. والسيسـي بزاهدي .. وما ندري متى تضع الأيام حملها ..

تشابهت عملية أجاكس1 مـع أختهـا في مصـر في ثلاث عناصـر: الـرعب الاقتصـادي الـذي اسـتهدف التضـــييق على النـــاس وإقنـــاعهم بـــأن الوضـــع المستجد أسوأ من سابقه .. الذين باشروا تنفيـذها الجيش والبلطجيـــة وعناصـــر الدولـــة العميقـــة والإعلام والمؤسسات الدينيـة .. كمـا تشـابهوا في الزمن فقد استغرقت سنتين من العام 1951 إلى العام 1953 وكذلك الانتفاضـة المصـرية من ينـاير 2011 إلى مـــايو 2013 .. فهـــل ســـيفرج عن الـدكتور مرسـي وتحـدد إقامتـه في قريتـه حـتى مماتـه كمـا حـددت إقامـة مصـدق في إيـران؟ .. أشك في ذلك .. وهناك سؤال آخر في حالة فشل الانقلاب هل كانت هناك نوايا حقيقـة لغـزو مصـر؟ أشــك في ذلــك كثــيراً .. عمومــا اعتمــد الغــرب واليهــود على عوامــل الــداخل لتحقــق التصــفية المطلوبة .. ومن ثم تتكفل بتحقيـق المـراد دونمـا حاجة إلى جهد الغزو أو التدخل الخارجي .. فمصر تؤكــل من الــداخل لا من الخــارج .. وكــذلك كــل الأمم الكبيرة.

يمكن فهم النفسية الأمريكية من خلال الرموز والشعارات .. اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية النسر شعاراً لها .. وهو طائر من الضواري كبير الحجم وقوي .. يستطيع أن يصطاد فرائسه بنفسه .. إلا أنه طائر غير شريف .. ولا يتمتع بنبل الأخلاق .. ولا يتمتع بعزة النفس .. ولا يترفع عن الصغائر .. حتى لو حلق في عنان السماء .. لأنه يفضل أن يقتات من القتلة .. أو البلطجية .. أو فرق الموت .. ولأنه لا يحط إلا على الجيف .. ولأنه يشترك مع الضباع[46] في كونهما مستوعب زبالة متجول .. فهو من الطيور القمامة .. وكذلك

[46] عملائه في المنطقة من الرؤساء والملوك والوزراء وغيرهم .. الذين يؤكدون على هويتهم وانتمائهم مع كل حدث له شأن .. ويسارعون في تقديم القرابين لأسيادهم .. أليس من العجيب أن المجاهدين الذين حرروا ليبيا من الطاغية يهمشون .. إن عملية اختطاف الأخ الكريم أنس الليبي يستنبط منها أمور الأول: تأكيد انتماء على زيدان وولائه لأسياده .. الثاني: حرص النظام وحلفاؤه أن لا يكون للمجاهدين دور في مستقبل ليبيا .. ثالثاً: هشاشة النظم المستندة لمرجعيات لا علاقة لها بالإسلام وحاجتها الدائمة للدعم الخارجي للاستقواء على رغبات شعوبها .. فأمريكا تتآكل داخليا بسبب جشع حزبيها .. ومنهارة اقتصاديا .. ومزبلة أخلاقية .. وقضية أنس لن تصلح فيها شيء .. فأنس لا علاقة له بالقاعدة منذ عام 1995م .. وكان لاجئاً سياسيا في بريطانيا .. فما الذي استجد للقيام بهذه العملية غير ما ذكرنا؟! .. وللأسف فهذه هي ضريبة شراكة الناتو في عملية التحرير .. وعلى المجاهدين في سوريا واليمن والصومال ومالي وغيرها الانتباه جيداً حتى لا يقطف ثمرة جهدهم غيرهم .. وثقتي في الله أولاً ثم مجاهدي ليبيا في أن يستردوا ويستكملوا ما بدؤه كبيرة جداً

الولايات المتحدة الأمريكية .. نظاماً وشعباً[47] .. مخلوقات قمامة .. إلا ما رحم الله ..

برنامج عمل الثورة المضادة في مصر

قدم الثوار في السادس من فبراير مجموعة من المطالب .. مطالب الثوار تلخصت في عشر نقاط: رحيل الرئيس ومحاكمته .. حل مجلسي الشعب والشورى .. تولي رئيس المحكمة الدستورية العليا رئاسة الجمهورية يعلن خلالها عن تأسيس جمعية وطنية لكتابة الدستور .. تشكيل حكومة انتقالية لتسير الأعمال .. تولي الجيش حفظ الأمن .. تولي الشرطة العسكرية مهام الشرطة المدنية .. عزل قيادات الشرطة ومدراء الأمن وقيادة أمن الدولة ووضع ضباط وجنود الشرطة تحت تصرف الشرطة العسكرية .. التحفظ على المسؤولين السابقين لمحاكمتهم .. تجميد أموال المسؤولين السابقين لحين معرفة مصادرها .. الإعداد لانتخابات رئاسية وتشريعية وفقاً للدستور الجديد ،

[47] لا أحب التعميم ولكني لم أجد للشعب الأمريكي مواقف قوية ضد حكوماته المتتالية .. وغالبية الشعب الأمريكي تؤيد سياسات بلادها وبلا تحفظ .. والغالبية منهم يعلمون أنه لولا سرقات بلادهم وظلمهم للشعوب الأخرى ما كان لهم أن يعيشوا في هذه الرفاهية .. وغالبية الشعب الأمريكي لازالت تعطي صوتها في الانتخابات للرئيس الذي يحقق معدل ظلم خارجي أكبر .. وغالبية الشعب الأمريكي لا زالت ترزح تحت نير الشركات العملاقة التي مصت دماء الشعوب الضعيفة راضية بذلك طالما يصلهم من السرقات نصيب .. والغالبية من الشعب الأمريكي .....الخ ..

لقد كان تحقيق هذه المطالب **للثـوار** حلم وأمـل لم يتحقـق .. وهـذه المطـالب تعـبر بوضـوح عن الخلفيـة والمرجعيـة لكاتبيهـا .. وهي لا تمثـل أي نقطـة انطلاق للتيـار الإسـلامي .. رغم اصـطفاف قرابة المليونين في صلاة الجمعة والدعاء الحار ..

أولاً: فـــترة اســـتيلاء المجلس العســـكري على السلطة:

قام طنطاوي ومجلسه العسكري ببعض الخطوات التي لم تلقى ابتداءً معارضة .. خاصـة بعـد التحيـة العسـكري الحماسـية لشـهداء الانتفاضـة .. تـابع الشـــعب ومجلس أمنـــاء الثـــورة[48] المجلس العسكري في قراراته .. وبعد عـدة أسـابيع بـدأت الانقســامات تــدب في صــفوف المنتفضــين .. وتباينت الأهداف .. وسقطت الأقنعة وانتهى شــهر العســل بين الأيــدلوجيات المختلفــة .. لتبــدأ المنافســة .. والحقيقــة أنهــا كــانت صــراعاً لا منافسة .. ولهث الجميع خلف المجلس العسـكري يخطب وده ورضـاه .. فـالقوة مطلوبـة وامتلاكهـا

[48] كان محمد علي انقلاباً على الخلافة والإسلام .. كمـا كـان آل سـعود والهاشميين وغيرهم أيضاً طعنة في ظهر الخلافة والإسلام .. كـانت 23 يوليو انقلاباً على القصـر وليس على المنهج .. كـانت 25 ينـاير انتفاضة لم يسـمح لهـا بالاسـتمرار تم احتوائهـا ولم تكن أبـداً ثـورة إذ لم يتغـير شيء ولم يحاسب أحد .. لم تعلق المشانق .. ولم تفرش النطع .. ولم تسل دماء الأعداء .. فعلى أي شيء قـامت الثـورة .. فنظـام الحكم لم يتغـير والنظـام الاقتصـادي والاجتمـاعي كمـا هـو .. وكـانت الـدماء المسـفوكة هي دمـاء المنتفضـين .. فـأين الأحكـام الـتي نالهـا أعـداء الشعب؟! .. ألم يبقي الأعـداء في أمن وسـلامة تحت الحراسـة خشـية الوصول إليهم .. كان 30 يونيو و3 يوليـو خيانـة وردة على الانتفاضـة .. أمـا الاعتصـام الرمضـاني برابعـة العدويـة وأخواتهـا فهـو خطـوة على الطريق .. طريق من الألم والأمل .. درب معاناة لا راحة فيه ..

مغـري .. **قلـة كـانت منتبهة** .. أبـرزهم الشـيخ حازم صلاح أبو إسماعيل ..

عمومـا قـام المجلس العسـكري باتخـاذ مجموعـة إجراءات في إطار خدمة مخططه:

* **قفز على السلطة وعين نفسه نائبا عن الشـعب والثـوار** .. عنـدما تنحى مبـارك عن السـلطة أوكـل بهـا المجلس العسـكري .. أي أن الشعب الذي قام بهذا المجهود الأسطوري لا وزن لـه .. فهـو لم يقم باختيـار من يمثلـه لبنـاء الدولـة وإدارتهـا .. بـل فـرض عليـه فرضـاً نفس الوجـوه الكالحة التي أدارته طوال سنـ60ــة وهي تسير به من فشل لآخر على كل المستويات .. فالعسكر .. من عهد جمال إلى مبارك .. وصلت مصر بهم إلى القاع .. وبعـد أن حلم شـعبها في مسـتقبل مبشـر لانقلاب 23 يوليـو .. إذا بهم يتمرغـون في الـتراب سـ60ـة ..

وضع المجلس العسكري نصـب عينـه عـدة أمـور: الأول عــدم تشــكيل محــاكم ثوريــة لأن القضــاء المصــري خاصــة في القضــايا السياســية نزيــه وشــريف .. والحقيقــة أن القضــاء المصــري على النقيض تماماً من الشرف والنزاهـة .. فهـو قضـاء نظام يخدمه بإخلاص وتفان .. وهو قضاء مرتشــي لا يهمه إلا رصـيده البنكي .. أمـا العـدل فربمـا لم يسمع به القضاء المصري فلم يخرج من قاعاته إلا الظلم .. قد يقول البعض هناك بعض الشـرفاء من

القضاة .. أقول لكل قاعدة استثناء ولكنهم قلة قليلة ..

الأمر الثاني: إتلاف الاحتياطي المالي للدولة .. تمهيدا لتسليمها لسلطة منتخبة لا تجد شيئاً تتحرك به .. فتسقط آلياً .. وينقلب الشعب عليها مع أول أزمة .. وتفقد ثقة المستثمرين فلا يقتربوا من مصر ..

الأمر الثالث: إشاعة الفوضى وضياع الأمن ونشر البلطجة .. فتنتشر الجرائم ويجهل المتسبب وتتوه الحقيقة وتضيع العدالة .. وكذلك يسقط الاقتصاد .. إن قاعدة الاستقرار لها عنصرين أحدهما الاقتصاد الذي يطمئن الناس على أمنهم الغذائي ومستقبلهم المعيشي .. والثاني الأمن الذي يضمن سلامتهم من الأذى وتعافيهم من الظلم عند القضاء .. قال تعالى { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ {3} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ {4} قريش ..

الأمر الرابع: اتبع سياسة فرق تسد .. فلعب على نقاط الاختلاف بين المنتفضين وما أكثرها .. فاستطاع أن يقسمهم إلى معسكرين: إسلامي وغير إسلامي .. ثم قسم الإسلاميين إلى معسكرات: الإخوان .. السلفيون .. سلفية حزب النور .. الجماعة الإسلامية .. والأزهر .. ثم تحالف مع كل من العلمانيين والليبراليين وسلفية حزب النور والأزهر والكنيسة والإعلام والسينمائيين .. ليواجه الإخوان ومعهم السلفيين والجماعة

الإسلامية .. لا أنسى أن أقول أن الجماعة الإسلامية كانت أكثر نضجاً وقدمت المصلحة العامة على مصلحتها .. تجلى هذا كثيراً في تحركات الشيخ عاصم عبد الماجد ..

الأمر الخامس: في الثالث عشر من فبراير أصدر المجلس بيانه الخامس والذي أعلن فيه **توليه حكم البلاد بصفة مؤقتة** لمدة ستة أشهر أو حتى يتم إنهاء انتخابات البرلمان بمجلسيه وكذا رئاسة الجمهورية .. وعطل في البيان العمل بالدستور ..

أثير الخلاف حول عدة قضايا .. التعديل الدستوري[49] .. تشكيل مجلس رئاسي .. الانتخابات الرئاسية .. الانتخابات البرلمانية .. أي هذه الخيارات يأتي أولاً .. وازداد الخلاف حتى تفرق دم الانتفاضة بين المنتفضين .. وزاد الطين بله بعد موافقة الشعب على التعديل الدستوري قيام المجلس العسكري بإخراج إعلان دستوري جديد .. يتلاعب فيه بإرادة الشعب .. ويضمن للجيش والقضاء حصانة .. ويجعل أحكام القضاء نافذة وغير قابلة للطعن والاعتراض ..

---

[49] ذكر الدستور في هذه المحاضرات لا يعني أي قناعة أو قبول به من طرفي خاصة وأنه يحتوي على نصوص تناقض أوامر الله ونواهيه والقبول بها ردة عن الدين .. والمجاهدون لا يقبلون بهذا العبث ويحاربونه ليطبقوا ما شرعه الله لهم لا ما خطته أقلام البشر وعقولهم .. ولكني أكتب معلقاً على الأحداث .. والدستور بالتالي لا يتجاوز كونه لوائح منظمة يتفق عليها شريحة من الناس وفق مرجعيتهم .. هذه اللوائح اجتهادات بشرية ليس لها أي صفة قدسية .. ويمكن تغيرها بما يناسب الناس في أي وقت وأي زمان إذا تبين عدم جدواها أو انتهاء الهدف الذي من أجله أنشئت ..

الغريب أن الشعب تجـاوب مـع كـل هـذا .. وردود الفعـــل الغاضـــبة احتواهـــا المجلس بالانتخابـــات البرلمانية التي منـوا الشـعب بأنـه سـيحقق آمالـه وطموحاتـــه وربمـــا أحلامـــه من خلال برلمانـــه القادم .. لقد كان ابتزازا سياسيا محكما .. أنجحـه الفرقـــــة والاختلاف بين المنتفضـــــين .. وقلـــــة التجربة ..

* **عدم تشكله محاكم ثورية تمهيدا للخطوة التالية** .. الشعب الذي قـام بالانتفاضـة استسـلم لقيـادة المجلس العسـكري .. الـذي عينـه حسـني مبـــارك .. وبالتـــالي كـــان من المحـــال أن يـــدرك مطالب الشعب أو ينفذها .. لقـد كـان دوره إماتـة هـذه المطـالب بالتبـاطؤ وإطالـة الأمـد قـدر مـا يستطيع .. ولأنـه ليس هنـاك ثـورة فلم يكن هنـاك مجلس ثوري .. وبنـاء عليـه لم يكن من المعقـول أن يشـــكل النظـــام المعين محـــاكم ثوريـــة .. وإلا فالقيادة العسكرية ستكون داخل قفص الاتهام مع باقي عصابة مبارك .. ولأن القضاء أيضا من بـاقي الشـــلة فمن المنطقي أن يتجـــاوب مـــع المجلس العســكري في مخططــه .. تمهيــدا لحمايــة كــل المؤسسـات الـتي لعبت أدواراً قـذرة بحـق الـدين والشعب المصري.

* **حماية مؤسسـات الدولـة العميقة** .. قـام المجلس العســكري بتصــنيم عــدة مؤسســات .. وأســبغ عليهــا من صــفات القداســة والحصــانة والمهابـة مـا يجعلهـا رمـزاً شـريفاً لا يسـقط في

الصـغائر .. وتعهـد بحمايتهـا .. وتحـالف معهـا .. وكـانت لـه خـير معين طـوال الـوقت .. عملا معـاً بانسجام وتماسك .. لقـد كـان تحالفـه القـوي مـع مؤسسـة القضـاء .. والنـائب العـام .. والأزهـر .. والكنيسة .. والإعلام .. التي ساهمت بكل قوة في تدمير مكتسـبات الانتفاضـة واحـدة تلـو الأخـرى .. وبالقـانون .. ووفقـاً للدسـتور .. مسـتفيدة من الانقسام بين المجموعات الـتي قـامت بالانتفاضـة وتلك التي امتطتها أيضاً ..

* **تلاعب المجلس العسـكري بطلبـات الثوار** .. فلم تكن هنـاك محاكمـات حقيقيـة .. ولا محاسبة لأحد .. وحـتى مـا يقـدم ككبش فـداء عن نظام مجرم لم يتحقـق .. وتمت محاكمـات هزيلـة بأحكام لا تناسب مجرمين أجرموا في حـق الـدين والشعب طوال ثلاثة عقود .. وخـرج جلهم بعـد أن برأت ساحاتهم .. وحـتى رئيس النظـام حظي بمـا لم يسمح به لخصومه في يـوم من الأيـام .. وبعـد الانقلاب المشـؤوم للسيسـي عـادت كـل الوجـوه المجرمة لتمارس حياتها وكأن شـيئاً لم يكن .. بـل ما يحـدث اليـوم من قتـل وأسـر وتشـريد وتـدمير وسرقات للشعب وممتلكاته .. لهو سبة في جـبين الجيش وعار لا يمكن محوه .. إلا بإراقـة دمـاء لـو أنهـا أريقت في ينـ25ـاير لارتـاحت منهم العبـاد والبلاد .. ولكنـه العبث والاسـتهتار بـدماء الشـعب وممتلكاتـه الـتي اعتـاد عليهـا العسـكر .. ومعهم طائفة من النفعيين الذين آثروا من مصـهم لـدماء الشعب المسكين ..

* **التمسك بعناصر القوة الأمنية والقضائية والإعلاميـــــة والدينية** .. حافـــــظ المجلس العسـكري على الكـوادر الأمنيـة لـوزارة الداخليـة وأمن الدولـة كمـا هي .. واكتفى بعـزل مجموعـة وأرسل مجموعة للمحاكمة برئت ساحتها بعد ذلـك .. وغـــير أســـم مبـــاحث أمن الدولـــة إلى الأمن الوطني .. وأبقى على كل من: عصـابة القضـاء .. ومنـافقي الإعلام كمـا هم .. وغش الشـعب بـأول مذيعة محجبة .. وكأن السـماح لهـا بـالظهور على الشاشة المصرية هـو مـا كـان ينشـده المصـريون من تغيـير .. وبقي شـاويش الأزهـر في موقعـه .. هـذه هي جـزء من مفاصـل النظـام الـتي طـالب الشعب بإسقاطها .. وبقائها بهـذا الشـكل فيـه من الـــدلائل والمؤشـــرات .. من هـــذه المؤشـــرات احتقـــارهم للشـــعب وانتفاضـــته .. دلالـــة على المســـتقبل القـــادم .. فبعـــد أن ابتلت ســـراويل النظام في أيام الانتفاضـة هـا هـو يتماسـك ويعـود يوماً بعد يوم ليـذل الشـعب أكـثر وأكـثر .. تعجبت كثيراً وحـرت جوابـاً لأسـئلة عديـدة .. تـدور حـول الذين تصدروا المشهد من المنتفضين .. هل كـانوا يعون ما يفعلون؟ .. أم أنهم لازالوا من جيل اعتـاد الـــذل ولم يســـتطع أن يرفـــع طرفـــه في وجـــه مســـتعبديه؟ .. أم كـــان من الأفضـــل أن يحتـــل الصدارة جيل من الشباب الـذي انتفض حـتى وإن بدت خبرته محدودة فلعله بالتجربة والخطـأ يصـلح ما عجز غيره عن تحقيقه من تغيـير حقيقي للبلاد؟ .. لقـد بقي النظـام كمـا هـو والأمـرّ أنـه بقي في

السلطة أيضاً بنفس أطقمه وإن تغيرت الأسماء .. فأين كانت عقول الرجال؟! ..

وعمد المجلس العسكري على تغييب الشرطة تمهيداً لتنفيذ مذابح وإشاعة الفوضى كما يوضح البند التالي ..

* **إرهاب الشعب بالمذابح والتخويف الاقتصادي وإنهاكه وتأديبه:** أطلق المجلس العسكري العنان لقرابة ثلاثمائة ألف بلطجي خدموا النظام المصري طوال العقود السابقة .. تم تدريبهم في المخابرات العسكرية المصرية وسلمت إدارتهم لجهاز أمن الدولة .. فعاثوا فساداً في البلاد حتى تمكن الشعب من تشكيل مجموعاته الأمنية فحد من شرهم .. هذه المعلومة عن عدد البلطجية مصدرها الرئيس مرسي أثناء وجوده في الصورة .. فكل شر يحدث في مصر وينسب لأي جهة .. ما هو إلا مؤامرة مدبرة من أسوء خلق الله جهاز مباحث أمن الدولة .. فهم يفجرون الكنائس لتأديب النصارى ويقبضون على الملتزمين ليؤدبوا المسلمين .. وكأن هؤلاء القتلة لا أب لهم ولا أم .. وكأنهم يهود لا يقرون بحد ولا وعيد .. يذبحون البشر ويمزقونهم ويحرقون جثثهم ويلقونها على المزابل أو يخفونها في أبار[50] سجونهم السرية .. وكأن من قتلوه مبتور لا أصل له ولا فرع يحزن لفراقه وينتحب لوفاته ويذوب ألما لما يحدث له .. إن

[50] أحفاد "رية وسكينة" ..

جهازاً بل نظامـاً حاكمـاً هـذا فعلـه وذاك وصـفه لا يصح أن يعامل إلا بالحديد والنار ..

وطـوال الفـترة الـتي ماطـل فيهـا مبـارك كـانت قنوات البث الفضـائية التابعـة للنظـام والملتصـقة بهـا تستضـيف من يـرعب الشـعب بالتهديـدات الخارجية واحتمالية السيطرة على قنـاة السـويس فالأسطول الأمريكي يشق عباب البحر في طريقه إليهـا .. والنظـام الاقتصـادي سـوف ينهـار بانهيـار النظام وسيدخل النـاس في مجاعـات ومتاهـات .. وكـأن مصـر كـانت تسـبح في النعيم فهـؤلاء المجرمـون لا يتبعـون إلا سياسـة "جـوع كلبـك يتبعـك" ويـا ليتهم عـاملوا شـعوبهم كمـا يعـاملون كلابهم .. وقالوا أيضاً لا يمكن لأحد أن يسير بمصر في هذه العواصف إلا المحـترفون الـذين يعرفـون الأمور وفقهوا السياسة .. وكثيراً من هذه الترهات والكلام الفـارغ علاوة على بعض مقـدمي الـبرامج المنحطين أخلاقيـاً واجتماعيـاً الـذين يصـرخون ويولولـون .. وعنـدما سـقط النظـام واختفى المجلس العسـكري في الخلفيـة وجـاء الـرئيس مرسـي شـعر المصـريون ولأول مـرة منـذ انقلاب 23 يوليو 1953 بأنهم أحرار لهم كرامة ولهم عزة .. ولهم بلد يعيشون فيه .. إنني وعدد من إخـواني نعيش خارج مصر منذ أكثر من عقدين ونصف كنـا نرى ثمرة الانتفاضة المصرية في عيـون ومشـاعر المحيطين بنـا .. ولقـد أبصـرنا فعليـا الحجم الـذي تمثله مصر في الواقع إذا تولى زمامها المخلصـون .. لا العسـكر والمجرمـون قـاتلهم اللـه .. ولكن

العسكر المجرمون ومن ورائهم من أعـداء للـدين أولاً وللإنسـانية كلهـا ثانيـاً لم يـتركوهم ينعمـوا بـذلك .. إن لمصـر وللمصـريين الشـرفاء المتمسـكين بـدينهم لحضـور في العـالم لا يدانيـه حضور .. وقوة ناعمة لها اعتبـار لا يجهلـه إلا أبنـاء مصر المغلوبين على أمرهم ..

* من أبـرز الأدوار الـتي نجح فيهـا المجلس العسـكري هـو .. الاسـتفادة من الاختلافـات الأيدلوجية بين عناصـر الانتفاضـة .. وتعميـق هـذه الخلافات بإبراز نقاط الافتراق إعلاماً والتأصيل لها لكي ينحاز كل فريق لمرجعيته .. ولم يعـد الاتفـاق على الحد الأدنى هـو الجـامع لهم بقـدر رغبـة كـل فريـق بالاسـتئثار بالسـلطة .. وتحقيـق أكـبر قـدر ممكن من المكاسـب حـتى على حسـاب إرادة الشعوب وحجم كـل فريـق شـعبياً .. وأشـعل هـذا الخلاف من خلال: المنافسـة البرلمانيـة .. الـتي أوضـحت الحجم الحقيقي للتيـارات الغربيـة "العلمانيون والليبراليون" .. إذ لم يكن لهم قاعـدة شعبية تذكر أو تنفعها في الانتخابات اللهم إلا أتباع الكنيسة من نصـارى مصـر .. وفي مراحـل لاحقـة انضم لهم فلـول النظـام السـابق .. وأصـبح التيـار العلماني هو فرس رهـان الجيش المصـري ورأس الحربة الأمريكية وطابورها الخامس ..

وبنفس النفس الهـادئ نجح العسـكر في إشـعال فتيـل أزمـات متتابعـة بين الإسـلاميين أصـحاب المرجعية الشرعية الواحـدة .. ولكن معسـكراتهم

السياسية شتى .. وانتمائهم أيضـاً للبلاد يتفـاوت .. فسلفيو الإسكندرية يعيشـون فيهـا ولكن انتمـائهم لعلمـاء نجـد هـو المحـرك لهم .. وعلمـاء نجـد لا يخطـــون خطـــوة دون الإرشـــاد الاســـتخباراتي السعودي .. واصطف بقية الصف الإسلامي خلــف رايــة واحــدة وكــان أبــرزهم الإخــوان والجماعــة الإســـلامية وســـلفيو القـــاهرة وبعض التيـــارات الأخـــرى .. أيضـــاً تعمـــق هـــذا الخلاف من خلال المنافســـة الرئاســـية .. رغم أنهـــا "المنافســـة الرئاسـية" نجحت في لم الشـمل الوطـني مؤقتـا حينما بدا الثوار مهزومين أمام شخصـية عسـكرية من النظـام السـابق .. رغب المجلس العسـكري في تزيـــف الانتخابـــات لصـــالحها لكن اليقظـــة الشعبية كـانت حاضـرة .. كمـا يبـدوا في الخلفيـة أيضـا ملامح الضـغوط الخارجيـة تهـدأ من انـدفاع العســـكر إلى الســـلطة لفســـح المجـــال أمـــام اســتكمال عمليــة أجــاكس2 في تهيئــة الأوضــاع بشكل أفضل ..

لقد كـان الخلاف عميقـاً فمـا أن بـدأت بشـائر مـا يرجو الشعب حـتى اتضـح لهم حقيقـة مـا بينهم .. فالانتفاضة ليست محسوبة في ابتـدائها على لـون معين .. ولكنهـا سـارت بعـد ذلـك تحت الشـعار والوصـاية الإسـلامية .. واسـتجاب لهـا الشـعب لاحترامـه للتيـار الإسـلامي .. وهـو مـا بين حقيقـة الضـعف والهـوان للعلمـانيين واللبرالـيين .. وقـد صـدمتهم رغبـة الشـعب في الحيـاة تحت ظـل الشـــريعة .. وهـــو مـــا جعلهم يعملـــون على

إستراتيجية جديدة تهدف إلى الإساءة والتشويه والانتقاص من كل ما هو إسلامي .. أما الإسلاميون أنفسهم فقد بدؤا مع انتخابات الرئاسة صراع آخر كان الهدف منه إقصاء أحد أهم الرموز الشعبية عن دخول السباق الرئاسي "الشيخ حازم أبو إسماعيل" .. ولم يقف معه أحد لا في نقض القانون ولا في المساندة ضد القضاء وكأنهم فرحوا بذلك فأُكِلوا بعده .. ثم بدا من بعد ذلك بين حاخامات حزب النور وجماعة الإخوان ثارات الماضي .. وانتهت هذه الهوجة بسقوط دولة مرسي ..

* **قيام المجلس العسكري بهدم القوى المنتخبة من الشعب** : حينما انطلقت الانتخابات البرلمانية جاءت نتائجها معبرة عن رغبة الشعب المصري .. كانت رغبته عارمة في أن يمثله التيار الإسلامي بكل أطيافه .. الشعوب الإسلامية كلها بلا استثناء .. تحلم باليوم الذي تعود لها العزة لتحيى في ظل دولة الخلافة .. تهتم من هو الخليفة .. ولا تهتم من أي بلد هو .. فالمسلمون لا تحدهم خطوط سايكو وبيكو .. المهم أن تحكم بالإسلام .. هذه الانتخابات[51] عبرت بصورة أكثر صدقاً عن رغبات الشعب بعيداً

---

[51] العملية الديمقراطية برمتها سواء في الاسم أو الوسيلة أو الفلسفة أو المضمون لا تأتي بنظام إسلامي .. والإسلام أتاح للأمة نظاماً أكثر مرونة وروعة .. لاختيار الخليفة أو لاختيار وجهاء الناس ونوابهم .. أرقى من هذا العبث الذي لا يخدم في الحقيقة إلا شريحة مسيطرة تشتري الذمم وتفسد الأخلاق .. وأدلل هنا بها كاستطلاع للرأي قريب من الحقيقة إلى حد ما يعبر عن رؤية المشاركين فيه.

عن استطلاعات الرأي المفبركة لخدمة أهداف خاصة ..

في نفس الوقت أعطت الانتخابات دلالة عملية على مستقبل النظام القادم .. سواء كان رئاسي أو برلماني أو مشترك .. هذا المستقبل القريب أما المستقبل البعيد .. فلا شك أن رغبة الشعب ستتطور لتصل إلى ما تصبوا إليه .. وأن الأمة ستسير على طريق لا يرغب به الغرب ولا أذنابه .. إذ لم يمر مائة عام بعد على هدم أخر صور الخلافة الإسلامية .. فهل ستعود مرة أخرى في ذكرى سقوطها[52]؟ ..

لهذا السبب تحديداً وغيره مما هو دونه كان ولا بد من هدم أي إرادة شعبية .. والسلطات التي تأتي من الشعب مؤسستين .. مؤسسة الرئاسة والبرلمان بغرفتيه .. بمعنى أخر أن القوى المعادية للدين داخلياً وإقليمياً ودولياً تحالفت

[52] هذا وهم .. ومن يأمل أن تأتي الديمقراطية بالإسلام هو جاهل بأصول اللعبة .. الديمقراطية عملية تناسب أيدلوجية واحدة .. فقد يفوز هذا الحزب أو ذاك فكلاهما من نفس الأيدلوجية ولكن ينصرونها باجتهادات إدارية وسياسية متباينة .. أما الأيدلوجيات المختلفة لا يحسمها إلا الصراع .. وقد بينت ذلك في المقال الأول من سلسلة (يا ما في الجراب يا حاوي) .. فليرجع إليها .. ولكن ما كتبت آنفاً في الفقرة هي آمال وأحلام التيار الإسلامي .. وقد حثهم على دخول العملية الديمقراطية العديد من محبيهم حول العالم .. ولكن الواقع لا يجامل أحد والحكم لا يأتي بالنوايا الحسنة ولكن دونه دماء وأشلاء .. وإلا فإن قريشاً كانت أكثر ديمقراطية من الغرب وبلغت في ذلك مبلغاً عظيماً .. إذا عرضت على رسول الله ﷺ أن تعبد ربه عاما مقابل أن يعبد ربها عاماً .. ولكن الإسلام لا يتضمن المناورات العقدية .. فقد يكون فيه مناورات عسكرية أو سياسية أما مناورات في باب العقيدة .. فهذا محال ..

لإنهـاء وجـود الشـعب المصـري سياسـيا .. بقتـل إرادتـه .. فمنهم من يخشـى على أطماعـه ومنهم من يخشى من العدوى الثورية حال نجاحها ومنهم من يخشــى عــودة الإســلام ليحكم الأرض ويفتح الأمصار .. ويحكم بالعدل .. وينشر الأمن والسـلام في الكـــوكب .. فكيـــف ومن أين تقتـــات هـــذه الحيوانات القمامة؟! .. التي لا تعيش إلا على دماء الآخرين .. عندما ساد الإسـلام أعـاد للأرض أخلاق الإنسان الذي أرسله اللـه ليعمـر الأرض .. وحينمـا دارت الدوائر وحكم الغـرب العـالم سـادت الـروح الحيوانية التي تسكن الجسد الغربي .. وبحسـابات بسيطة لا نجد مقارنة بين من قتـل في الفتوحـات الإســلامية ومن ســفكت دمــائهم في الحـــروب الاسـتعمارية الخبيثـة .. الـتي اسـتهدفت الكـوكب بأرضه وكائناتـه وعلى رأسـها الإنسـان .. وسـيأتي بيان ذلك لاحقاً ..

تم حل البرلمان الذي جاء بـه المجلس العسـكري دستورياً .. قبل أن يستلم مرسي الرئاسة .. وبعـد الرئاسة .. أسـقط البرلمـان نفسـه عمليـاً بتعليـق أعماله أملاً في أن تعوض مؤسسة الرئاسة ذلك .. ولكن السياسة صراع وليست آمال .. ففي غضون سـنة أسـقطت الرئاسـة أيضـاً .. لأن "من يقبـل التنازل يـوفر لخصـمه التطـاول" .. ثم لحـق بهمـا مجلس الشورى .. وبهذا قضي على كامــل الإرادة الشــعبية وعــادت المؤسســات النخبويــة لتحكم وتسرق وتبطش وتعربد .. والبقاء لله ..

* **استقطاب المعارضة أو الأقلية**: أعطى المجلس العسكري أهمية كبرى للنصارى والعلمانيين والليبراليين فتشاور معهم وظهر على فضائياتهم ولم يخطوا خطوة واحدة في اتجاه أي قناة إسلامية! .. ألم يكن في مسلكه هذه إيحاء عن رؤيته لمستقبل مصر القادم؟ .. وحقيقة مشاعره ضد الإسلام والإسلاميين؟! .. وحقيقة انتمائه؟ فالإسلام سوف يحاسبهم ويسلبهم مكتسبات اغتصبوها من الشعب .. أيعقل أن يمهدوا له؟! ..

لقد كان رجال الأعمال وفلول النظام السابق هم المادة اللاصقة بين صفوف المعارضة .. أما الجيش فقد كان وبشكل مؤقت هو المادة الحافظة لهذه التركيبة .. فما يجمع بين الجيش والعلمانيين والليبراليين ومن على شاكلتهم أكثر بكثير مما يجمعهم بالإسلاميين .. ويجمع بين هؤلاء الفرقاء رغبات لا يمكن أن تتفق والإسلام .. ولكل منهم طموحه وآماله وهو ما يجعلهم يتفرقون مستقبلاً .. فالسياسة يديرها الأقوى ويتبعه الأضعف .. ولا يصلح لها الضعيف حتى بين الضعفاء ..

التيار العلماني كان يرغب في إزالة مبارك ليحصل على مشاركة في السلطة ومزيد من الحريات .. ولكنه لم يرغب أبداً في أن يأتيه الإسلاميون .. لذلك سارع إلى الارتماء في حضن العسكر .. والعسكر رغبوا في إزالة ابن مبارك ليبقى الحكم

لهم ويحـــــافظوا على مكاســـــبهم .. وعلى هـــــذا المنوال غزل العسكر وأتموا نسيجهم ..

***

ثانياً: فـترة تواجـد " الـرئيس محمـد مرسـي" في الواجهة وليس في الحكم:

كمـا أسـلفت كـانت أجـواء الانتخابـات المصـرية مشـحونة وفي غايـة الحساسـية .. فقـد أصـدر المجلس العسكري في بنود البيانات الدستورية ما يمنع من الترشح من كانت زوجتـه غـير مصـرية أو من سـبق لـه حمـل جنسـية دولـة أخـرى .. ومن الدسـتور القـديم أن يكـون من أبـوين مصـريين .. وتوالت المفاجآت الصـادمة لرغبـات المصـريين .. وتنبه الإخوان لرغبة العسكر في استعادة الرئاسـة وسعيهم لإسقاط البرلمان .. فقرروا ترشيح عنصر منهم بعـدما كـانوا عـازفين عن ذلـك .. وانتبهـوا لـرغبتهم في تنحيـة عـدد من الإسـلاميين لفسـح المجال أمام عنصـر تافـه من العسـكر .. فسـجلوا من طرفهم المهندس محمد مرسي .. وصـدق مـا توقعـه الإخـوان فقـد رفض طلب كلا من خـيرت الشاطر والشيخ حازم أبو إسماعيل .. الـذي تخلى عنه التيار الإسلامي بصورة مؤسفة أعطت دلالات على حجم الخلاف والفرقـــة الـــتي يعـــاني منهـــا التيـــار .. وربمـــا قلـــة النضـــج أيضـــاً .. هـــاج التيـــار العلمـاني واللـبرالي لوجـود مرشـح من الإخـوان وانقسـم على نفسـه .. فتعـاون قسـم منهم مـع الإخوان لأنهم أمل الانتفاضـة .. أمـا القسـم الأخـر

فقد انحرف في اتجاه العسكر .. وتمت الانتخابات في هـذا الجـو المحمـوم .. وحينمـا تيقن العسـكر ومن ورائهم من يهود وأمريكان من يقظة الشعب عدل عن مخططه على مضض ليعلن فوز الـدكتور مرســي بالمنصــب .. في عمليــة ولادة عســرة وجعلوا النسبة متقاربة لتكـون مثـار جـدل لا ينتهي عند أهل الفتن ..

في ظــل هــذه الأجــواء الــتي أوصــلت الــدكتور المهنـدس محمـد مرسـي إلى الحكم .. اتسـعت الفجوة داخل التيار الإسلامي وانعـدمت الثقـة بين مكوناتـه .. وتعمقت خلافـات التيـار الإسـلامي مـع التيـارات العلمانيـة والليبراليـة والكنيسـة ورجـال الأعمـال .. وتعامـل الأزهـر بالتقيـة مـع الإخـوان والإسـلاميين والشـعب .. وبـدأ الطـرف المقابـل للإخـوان في اسـتخدام وسـائل الثـورة من دعايـة وتحـــريض وتحـــزيب وتـــأليب .. وتحـــالف مـــع العسكر .. واصـطفت[53] جميـع هـذه التيـارات على

[53] كنت أرى أن هذه الفئـات من أزاهـرة وبعض السـلفيين والإعلامـيين والممثلين والسياسـيين ومن كـان يتخـوف من الـدين أنهم فئـة أرهبهم القهـر السياسـي والأمـني .. وأفسـدتهم التربيـة الاجتماعيـة السـيئة .. وأغوتهم الحاجة الماديـة .. وأنهم بـرغم مـا هم فيـه من غي وضـلال إلا أنهم معذورون في بقائهم بعيـداً عن نصـرة الـدين بحجـة الخشـية على أنفسهم .. وهي حجة يحاسبون عليها يوم القيامـة .. أمـا وقـد اصـطفوا في خندق العسكر وظاهروهم بالقول والفعل والمال .. فلهم حكمهم لا يبعدون عنهم قيد أنملة .. وقد رأيت وسمعت حرارتهم واسـتماتتهم في الذب عن الباطل والتحريض على الفتنة طـوال فـترة الانتفاضـة وحكم مرسي الصوري .. وكانوا أعداء لدينهم ووطنهم وشعبهم .. لقد تحـالفوا جميعـا للقضـاء على نيـة أشـاعوها عن مرسـي برغبتـه في إقامـة إمبراطورية إسلامية .. فهل كـانوا يتحـالفون لـو كـانت غـير إسـلامية .. وهل عصابة السيسي وعدلي والببلاوي وشلة اللصوص التي معه أفضل للوطن والشعب من مرسي وحكومته ..

قلتهم ضد إرادة الشعب والإخوان والتيار الإسلامي .. لا لأنهم إخوان وإنما لأنهم رمز يمثل الإسلام .. وهذه التيارات المتآمرة يرفضون أن يعيشوا في ظل الإسلام إلا بفهم مريض لا يستقيم ودين الله تعالى .. وبدأت المرحلة الثانية من الثورة المضادة:

- الرئيس والإعلام: استقبل الإعلام العالمي والإقليمي الدكتور مرسي استقبالاً جيداً .. في حين استقبله الإعلام المحلي بفتور على المستوى الرسمي .. وتوبيخ على مستوى الإعلام الخاص .. وتتبعه في كل حركاته وسكناته نقداً وتوبيخاً .. حتى في ذهابه للصلاة .. وللأسف لم يكن الدكتور مرسي على المستوى المطلوب للتعامل بجدية مع الإعلام ليفرض هيبته عليه .. فالإعلام والإعلاميين عبيد والعبيد لا شيء يصلحهم مثل العصا .. خاصة بعد أن حشره الإعلام في زاوية المائة يوم الأولى .. وزاد الطين بلة تسامح الدكتور مع من يتعمد إهانته وإذلاله .. ولم يحسن فهم ما ينبغي أن يكون لمكانته من هيبة يزع بها كل من تسول له نفسه .. فأصبح مطمع يتنافس على جلده فضائيات الإعلام الخاص .. حتى أطلق على تلك البرامج جلسات التعذيب اليومي .. وكان الإعلام الخاص حقيراً بلا مبادئ .. بكل قنواته بلا استثناء .. وقد وقف وراء أجهزة الإعلام شخصيات حقيرة من رجال الأعمال العرب والمصريين وأيضا اصطف خلفه دول الخليج .. وبلغ مستوى مقدمي البرامج ومن ورائهم من الانحطاط

والتدني وإذلال النفس في جمع المال مستوىً لم تبلغه عاهرة عبر التاريخ .. انقلبوا على كل الأعراف والمبادئ وكفروا بكل ما آمنوا به من ديمقراطية وليبرالية وعلمانية .. ومارسوا كل ما هو رخيص من أجل خدمة أسيادهم .. وبدا عدائهم للإسلام واضحا في كل ما نطقوا به .. وما تجلى على وجوههم وبدا في عيونهم أظهر ما أضمرته صدورهم وتعاهدت عليه قلوبهم .. حتى بلغ بأحد سدنتهم أن قال: " أن كل ما تبذله الفضائيات طوال الأسبوع تمحوه خطبة الجمعة في ساعة واحدة" .. وخطبة الجمعة هي توصيات وإرشادات أخلاقية وتربوية للتمسك بالدين!! .. فإلى ماذا يدعو هؤلاء؟ ..

- الرئيس والمائة يوم الأولى: لم تمارس إدارة الرئيس مرسي عملا إيجابياً إلا وقامت المعارضة بما يفسد العمل .. ففي الصباح ترفع القمامة من الطرقات وتغرس آلاف الشجيرات .. وفي الليل تقوم الحثالة بإعادة الزبالة وتقطع الأشجار .. زرع القمح حتى كاد أن يفيض وما أن علم به المجرمون حتى سارعوا بحرق حقوله .. سعى لنشر الأمن فتآمر عليه رجاله الذين كان يفترض محاكمتهم .. وصدق من قال: "لا تصنع المعروف في غير أهله" .. لقد عالج الرئيس وإدارته ومحافظيه بأنفسهم أزمات الغاز والخبز واللحوم[54]

[54] العجيب أن السيسي وعصابته الإجرامية التي نهبت مصر ولا زالت تنهب الشعب لم تعد ترى أن من واجبها خدمة الشعب ورعاية مصالحه بقدر ما تتكسب من وراء التسلط على الدولة .. فالسيسي وزبانيته يرون أن الشعب يجب أن يذل بعدم دعم حاجاته الأساسية وكأنها منة

.. وبدأت الأفكار البناءة تنموا وكان يمكن أن تتطور (السيارة التي تسير بالهواء) .. مشروع منطقة القناة .. مشروع النيل الموازي .. لقد تبارى الرئيس ومجموعته في خدمة الشعب وعلاج مشاكله .. وتبارى العسكر ورجال الأعمال والكنيسة والإعلام وأهل السينما في هدم ما استطاعوا .. أو التقليل من شأن ما تم .. كانت المؤامرة رخيصة واكتسبت وجودها وبقائها بسبب الرئيس نفسه الذي لم يسعى في بناء ما يقوي ويدعم قراراته[55] .. أو يظهر حقيقة ما يعانيه .. ويحفظ للانتفاضة حقها في النمو والنضج .. والبقاء .. ولكنه أخفى هذا لينتهي بعد ذلك بسوء رؤيته ..

- خلق الأزمات وتضخيمها: إعلاميا .. أو من خلال رجال الأعمال .. ضخموا حوادث القطارات وكأن الحكومة الجديدة هي المتسببة في هذا الإهمال منذ عقود .. وأثاروا قضايا فقهية من أجل إثارة شريحة تتكسب من ورائها وهي قضية الآثار والتماثيل الفرعونية وتحطيمها .. كما أججوا نار قضية المرأة وسن الزواج والختان وكأن الأمة الإسلامية لا هم لها غيرها[56] .. واستغل الفاسدون

منهم في حين أنهم يعطون اليهود في فلسطين الغاز مدعوما وبأبخس الأسعار .. لقد بلغ احتقارهم للشعب مبلغاً عظيماً .. فهم اليوم لا يعترفون بحقه في الحياة الكريمة .. بل لا يرغبون بوجوده وحقه في الحياة أصلاً ..

[55] سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن سلبيات الانتفاضة الشعبية في مصر ..

[56] الإسلام دين متكامل .. وللأمة الإسلامية أولويات تجتهد في علاجها حسب كل زمان ومكان .. ولا أعتقد أن هذه القضية في باب

من رجال الأعمال الفقراء والبسطاء من الناس وجندوهم في التظاهرات والاحتجاجات .. وتاجروا بمعاناة الشعب .. كما استأجروا الفاسدين والأكثر شراً بين المجرمين لإرهاب الناس .. وأثاروا أزمات اقتصادية في سلع ضرورية للشعب فحجبوها عنهم .. وأثاروا غيرها كثير .. فضخمت واستغلت سياسياً .. وكأن مرسي وإدارته يمسكون بعصا سحرية تمكنهم من قلب الأحوال في ساعة من الزمن .. وكأن ميراث العسكر طوال ستين عاماً كان قابلاً للإصلاح في عشرة أشهر .. ولكنها القلوب الحاقدة التي لا ترغب في أن ينهض الشعب المصري العربي .. ناهيك أن ينهض كشعب مسلم يعرف دينه وينطلق به .. لا توجد رغبة عالمية أو إقليمية في أن تتواجد مصر

أولوياتها .. فالإسلام يتواجد على مستوى الشعب ولكنه مفقود على مستوى الحكم والأولى السعي لتمكينه .. وقضية المرأة برمتها عالجها الإسلام بشكل عجزت عنه رؤى غيره على مر العصور وإلى يومنا .. فقد ألزمها بزي وسلوك في الخروج من البيت يصون آدميتها وإنسانيتها .. وحفظها من ممارسة بعض المهام التي تعيق مهامها الفطرية .. وأعطها نصيبها من الميراث والتي كانت تحرم منه .. وجعلها في رعاية الدولة وكفالتها إن فقدت راعيها .. ووفر لها الأمن لتمارس المباح من أعمالها خارج البيت كشقيقها الرجل .. وأشاع الإحسان إليها واحترامها فهي أم وأخت وإبنة وحفيدة وجدة وخالة وعمة وزوجة .. وما يثيره الغرب حول حرية المرأة أو على الأصح انسلاخها من دينها وتعاليمه مطية لإفساد المجتمع المسلم .. لأن المرأة هي البوتقة التي تحتضن الأسرة المسلمة وتحافظ على تماسكها والالتزام بموروثاتها .. فإن هي فسدت فسد معها المجتمع .. وإن هي ضلت ضل معها المجتمع .. من هنا يحول الغرب مسألة المرأة إلى قضية مصيرية .. لإفساد الأمة .. كما فسد الغرب .. وأخرج لنا بهيمة تحتضن بهائم .. وتقريبا أوشك مفهوم الأسرة على الزوال .. فهي لا تتجاوز محضن تربى فيه صغار البهائم فإن بلغت هامت في الأرض .. والحقيقة أن المرأة في الغرب سلعة تستغل أبشع الاستغلال وأقذره ..

على الساحة الدولية أو الإقليمية أو حتى على المستوى الداخلي .. والإرادة المحلية من أعداء الدين والشعب تسعى للاتجار بالإنسان المصري وبأرخص الأسعار ..

- الإرهاب: تم استخدام كبير بلطجية[57] مصر لتوريد بلطجية حسب الطلب والمهام لكل من يريد .. وأصبحت الاعتصامات والإضرابات توفر لكثير منهم مصدر رزق يومي .. فاحتلال ميدان التحرير والبقاء فيه .. أو قطع الطرقات .. أو سرقة السيارات .. أو الاعتداء على المتظاهرين .. أو الهجوم على منزل الرئيس وأسرته في محافظته .. أو اغتيال الخصوم .. أو التلاعب بأقوات الشعب .. أو حماية رجال الأعمال المنحرفين .. أو إرهاب الآمنين .. أو إغلاق المحلات والشوارع .. أو منع الموظفين من دخول مقار أعمالهم .. أو محاولة تنفيذ عصيان مدني بالقوة .. أو منع القطارات ووسائل النقل من الحركة .. ووو ...الخ .. قاموا به على أكمل وجه .. وقد بلغت وقاحتهم أن قال أحدهم في برنامج تلفازي أنه مستعد لقتل أي شخص مقابل خمسون ألف جنيه فوبخته أمه أو من ربته .. لأنها استقلت المبلغ وطالبته بأن يطلب أكثر من ذلك .. فهل يعقل أن تصل مذيعة تلفاز لمقر البلطجية ولا يصل له رجال الأمن؟! .. أعتقد أن رجال الأمن

[57] يطلق عليه اسم "نخنوخ" وقد تم القبض عليه وقدم للمحاكمة وبرأت ساحته من قبل القضاء المجرم .. في حين حبس القضاء أبناء الانتفاضة ..

والشـرطة هم الـذين أوصـلوا هـذه الصـحفية إلى هـؤلاء كنـوع من الدعايـة لهم لمزيـد من إرهـاب الشـعب المقهـور!! .. وهـل يتوقـع أي خـير من فضائية المخابرات السعودية؟ ..

- خطاب الاتحادية: القشة الـتي قسـمت التحـالف الهش بين الإخـوان ومعسـكرهم والمعسـكر الأخر .. وكان فاتحة خير لبرنامج العسكر ومرتكـز انطلاق للعلمانية .. ولقد بحت حناجر الشـعب فيـه لتمكين الشـريعة وأبى مرسـي أن يـذكر كلمـة الشـريعة طـوال خطابـه .. أراد أمـرين الأول أن يظهـر بين مؤيـده لإرضـائهم بوجـوده معهم .. والثاني أن يخطب ود العسكر والعلمانيين والقـوى الخارجيـة فـانتهى بـه المطـاف على أيـدي من داهنهم .. ولم يقبلـوا منـه هـذا التلاعب فاسـتغلوا الخطـاب في زيـادة الهشاشـة الداخليـة وتنميتهـا لإجهاض الانتفاضة .. وهو من أكبر أخطـاء مرسـي بعـد تقاعسـه عن إنشـاء جهـاز أمـني قـوي يحمي الانتفاضة .. فلا هو أقر عين مؤيديه .. ولا أعد قوة ليوم كريهـة .. ولا رضـي عنـه مخـالفوه .. وأصـبح الخطاب مرتكز للانقسام الشعبي وفرخ بعـد ذلـك أزمات متتابعة ..

- تخويف المجتمع: من انهيار الاقتصـاد .. أو الغـزو الخارجي من أجل السيطرة على قناة السويس .. اسـتغلت البورصـة وتقلباتهـا في إخافـة الشـارع المصـري من الهم الاقتصـادي .. وأشـغل الـرأي العـام بالاحتيـاطي النقـدي والمـدة الـتي يمكن أن

ينتهي فيها .. وتبارى الإعلام الخاص في إشاعة الغزو الأمريكي .. بل لقد طالب البعض[58] من الولايات المتحدة الأمريكية التدخل في مصر بعد أن يأسوا من قبول الشعب المصري لهم .. وهذا كله من باب إخافة الناس .. قال تعالى { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {173} فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ {174} إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {175} آل عمران .. وقال تعالى { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {36} الزمر .. فهذا دأبهم ما انفكوا عنه .. للتسلط على شعوبهم وتنفيذ ما يحلوا لهم ..

- حشد تظاهرات معارضة .. وإثارة المزيد من الفوضى الأمنية .. ندر أن خلا ميدان التحرير .. ولم تتوقف الإضرابات الفئوية .. وقطعت الطرق .. واحتج بكل اللهجات على تعيين بعض المحافظين .. وتعرض بيت الرئيس بمحافظة الشرقية للهجوم .. واغتيل بعض من جنود مصر في سيناء .. وافتعلت أزمات وضخمت .. وأصبح كل من يعاني حكة ينادي بمظاهرة مليونية .. وحشد الأعلام شياطينه .. وأساء الأدب ليلاً

[58] من أشهر من طالب "المجرم البرادعي والصليبي الحاقد نجيب سويرس" .. ولم يخجل أي منهما أن يرفع بذلك صوته أمام الملايين ..

ونهاراً .. والرئيس يعفو ويصلح .. يعفو في الحق الخاص ويصلح في الحق العام .. والمخابرات الحربية تعبث بالدولة ومتحالفة ضد الحكومة مع بعض عناصرها ومع المؤسسات سيئة السمعة كالقضاء ومؤسسة البلطجية والأمن الوطني أمن الدولة سابقاً وعددا من مؤسسات المجتمع المدني وعلى رأسها المؤسسة الدينية كالأزهر والكنيسة ومؤسسة السينما .. شكل ذلك انقلاباً في الأفكار والخرائط .. وبدأ الإعلام حملة عدم شرعية الرئيس مرسي .. والدعوة إلي ثورة أخرى .. ومطالبة الجيش بالتدخل .. وأخيراً قامت بإنشاء حركة تمرد تمهيدا للقيام بانقلاب عسكري تحت مظلة شعبية وهمية .. فأوهمت الشعب بجمعها لتوقيعات الملاين المطالبين بإنهاء الحكم الحالي .. وبلغ من غشهم أن صرح أحدهم[59] على التلفاز أنه وقع على 16 وثيقة لتمرد .. فما بالك بمن أنشأها كم مرة وقع يا ترى؟ .. ثم أخرجت وأخرجت مظاهرات 30 يونيو لتدعم الانقلاب القادم ..

- استقطاب قادة الجيش للمعارضة العلمانية والليبرالية وحزب النور والكنيسة والأزهر والإعلام ومؤسسة السينما .. والاجتماع بهم سراً وعلناً .. والدفع بالدولة نحو المزيد من الأزمات .. وتوجيه الإعلام ورجال المال[60] لتمويل حركة تمرد وغيرها من مظاهر العصيان .. ثم التآمر مع خمسين من

---

[59] صرح بذلك الشاعر العامي أحمد فؤاد نجم ..

[60] من هؤلاء محمد أبو الغار ومحمد الأمين صاحب قنوات السي بي سي .. وغيرهم ..

الشخصيات المشهورة[61] في مصر من أجل القيام بالانقلاب .. وأن الأمر لن يتجاوز أسبوعاً .. لتلافي انقسام البلاد .. وعدم الدخول في حرب أهلية .. فكيف هو الوضع الآن في مصر؟! .. هل انتهى الانقسام؟ .. وهل توقف القتل؟ .. وهل اختفت نذر الحرب الداخلية؟ .. أم أن صراعاً مسلحاً بين حكومة الانقلاب والثائرين قد بدأ وسقط القتلى من الطرفين؟ .. وهل كان الشعب المصري منقسماً أم أنها الشلل السياسية العلمانية والليبرالية التي روجت لذلك؟ .. هذا ما أوقع فيه السيسي (مصر) من أجل تنفيذ إرادة أسياده من التحالف اليهودي الأمريكي السعودي الإماراتي .. فليذهب الشعب المصري إلى حتفه من أجل عيون وقحة وأفواه شرهة في تلك البلاد .. استعذبت مص دماء المسلمين ..

- القيام بالانقلاب .. وخطف الرئيس .. وإعلان حالة الطوارئ .. وفض التظاهرات بالقوة المفرطة .. وتعيين العسكريين في قيادة مفاصل الدولة لإحكام السيطرة العسكرية .. وتعيين رئيس لا يحترم نفسه ويقبل بدور "الطرطور" .. وتشكيل حكومة يقودها رجل معتوه .. ووزير دفاعه السيسي جاهل بالأمن القومي المصري فهو لا يعرف إذا كان جنوب السودان انفصل عن شماله .. فعادوا بالبلاد لحالة التخلف السابقة .. وكبت طموحات الناس .. والقتل العشوائي لإرهاب الشعب .. وغلق القنوات الفضائية

[61] خرجت منى مكرم عبيد لتفضح تآمرهم على الإعلام من أمريكا ..

الإسـلامية تحديـداً .. والقبض على عناصـر التيـار الإسـلامي وتقـديمهم لمحاكمـات .. وتبرئـة سـاحة مجرمي النظام السابق الذين أفسدوا البلاد طوال عهد مبارك .. وتبرئـة مبـارك ومحاكمـة مرسـي .. وهـدم المشـروعات الـتي طمح الشـعب إليهـا .. وإلغاء مشروع قناة السويس من أجل عيون حاكم الإمارات .. وإشغال الشعب بأزمة الخـبز والوقـود والغـاز ودعم السـلع والأمن .. وإشـاعة حالـة من الإرهـاب الـداخلي تتـولى فيـه الحكومـة ضـرب الشعب باسم المعارضـة .. والغـريب حجم العجـز الـذي ظهـروا بـه في علاج أزمـات الشـعب فلمـا قـاموا بـالانقلاب إذن إذا كـانوا بهـذا الحجم من الجهل والتخلف .. أم أنهم يتعمدون إذلال الشـعب وتأديبه لاختياره للإسلام؟!! ..

وكمـا كـان في عمليـة أجـاكس الإيرانيـة كـيرميت روزفلت ونورمـان شـوارزكوف ففي المسـتقبل سـيبرز الـدور الأمـريكي وأسـماء ضـباطه الـذين وقفـوا خلـف الثـورة المضـادة في مصـر تمـويلاً وتخطيطـاً .. وتنفيـذاً .. ألم تقـوم بعض سـيارات السـفارة الأمريكيـة بـدهس المواطـنين في أيـام الانتفاضة الأولى .. إن غداً لناظره قريب ..

فهـل سـينجو هـؤلاء من غضـب اللـه وانتقامـه؟! محـال .. فهـذه كلهـا نـذر لثـورة جديـدة ضـد هـذا النظام المستبد والمسـتأثر كمـا حـدث في روسـيا 1905 ثم 1917 .. ومصـر في حالـة غليـان .. والانفجار وشيك .. والخيارات مفتوحة بين: القيـام

بانتفاضة مسلحة كما حدث في ليبيا .. أو حرب عصابات تدمر بنيان الدولة كما حدث في أفغانستان .. أو غيرها من وسائل التغيير .. وربما حالة من الفوضى كما في الصومال .. والغيب عند الله ..

***

<u>خلاصة برنامج عمل الثورة المضادة خلال الفترتين:</u>

منظرو الثورات وضحوا الفرق بين الثورة والثورة المضادة .. رغم أن الثورة المضادة تستخدم نفس تقنيات الثورة: كالإضرابات والمظاهرات والاجتماعات السرية والعلنية .. والعمل على اضطراب حبل الأمن .. ووقوع أعمال عنف وعصيان وتمرد واغتيالات سياسية .. وطرح شعارات مطالبة بإصلاح الأوضاع .. ولكن .. إذا كانت عملية التغيير[62] تستهدف الانتقال بالبلاد من واقع إلى واقع أكثر تقدما .. استحق هذا العمل اسم الثورة .. أما إذا استهدف العمل العنيف الانتقال بالبلاد إلى واقع أكثر تخلفا .. أخذ هذا العمل اسم **<u>الثورة المضادة</u>** حتى لو استخدم تقنيات الثورة في التحريض والتعبئة والعنف .. عموما تلخص برنامج الثورة المضادة في العناصر التالية:

1- ضرب التنمية الاقتصادية:

[62] الموسوعة العسكرية – الدار العربية للدراسات والنشر

وهو الركن الأول في صيانة المجتمعات قال تعالى { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ {3} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُـوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَـوْفٍ {4} قـريش .. فتـدهور الوضـع الاقتصـادي من خلال شـل حركـة الإنتـاج وإغلاق الطرق .. الأمر الذي من شأنه إغلاق بعض المصـانع وزيـادة عـدد العـاطلين .. الـذين يمكن تجنيدهم لمهام أخرى ..

2- تدمير الأمن:

وهـو الـركن الثـاني الـذي يتحقـق بـه اسـتقرار المجتمعات .. فإشاعة عدم الاستقرار في البلـد .. من خلال نشر الفوضى وتشجيع الإضرابات وإقناع أكبر عدد ممكن من الأهالي بأن أمـانهم مفقـودٌ .. ليس في عيشهم فقـط ولكن في حيـاتهم أيضـاً .. ولعب البلطجيـة دور أساسـي في هـذه العمليـة .. باعتبـار أنهم الأقـدر على الـترويع وتوزيـع الخـوف على قطاعـــات المجتمـــع .. وإثـــارة النعـــرات والعـداوات الدينيـة .. بالاعتـداء على المسـلمات وبحـرق بعض الكنـائس .. بمـا يـؤدي إلى تفـتيت المجتمع وشرذمته .. ومن ثم تغييب فكرة الإجماع الوطـني .. وإبـراز الوجـه القـبيح للقضـاء بأحكـام بالبراءة وأخرى مخففة لا تتناسب وحجم الجـرم .. كـــل هـــذا أدى لانهيـــار في البنيـــان المصـــري الداخلي ..

3- إفشال العملية السياسية:

هدم مؤسسات الشـعب والوقيعـة بين مؤسسـات الدولة .. خصوصاً تلك التي تحمـل السـلاح .. لكي يصبح الاحتكام إلى السلاح أحد البدائل المطروحـة

لحسـم الخلافـات .. وتوفـير الغطـاء السياسـي للعنف لإتاحـة الفرصـة للقـوى المناوئـة أن تسـهم في توتير المجتمـع وترويعـه .. إلى جـانب تـرهيب الأجهزة الرسمية ..

استثمار المنابر الإعلامية في إحداث أكبر قـدر من التشـويه للحاضـر والتشـكيك في المسـتقبل .. وتتجـاوز حـدود التشـويه إلى التجـريح والحـط من قـدر السـلطة وكسـر هيبتهـا .. ورفـع منسـوب الاجـتراء والتطـاول عليهـا لكي يصـبح إسـقاطها احتمالاً وارداً وغير مسـتبعد .. ولا تسـأل عن هيبـة النظام بعد اتهـام رئيسـه بالخيانـة وحـديث إحـدى الصـحف عن أنـه كـان جاسوسـاً للأتـراك!.. وضـع العراقيل أمام محاولات إقناع الناس بأن ثمة بديلاً جديداً يلوح في الأفق .. وتشجيع العصيان المـدني والسـعي إلى توسـيع نطاقـه كي تشـارك فيـه قطاعات واسعة من المجتمع.

تعميـق الاسـتقطاب السياسـي من خلال إثـارة خلافات الفرقاء السياسيين ووضع العراقيـل أمـام التوافـق في مـا بينهـا .. ومن ثم دفعهم إلى أبعـد نقطة في الفراق .. بحيث يغـدو العيش المشـترك متعذراً .. وبالتالي إفشال مخططات إقامة النظام البديل ..

تحسـين صـورة النظـام السـابق لإذكـاء مشـاعر الحنين إليه .. بعد أن تبهت مساوئه في الذاكرة .. خصوصـاً في ظـل اسـتمرار معانـاة النـاس بعـد الثـورة جـراء الحصـار المفـروض عليهـا .. لأن اسـتمرار الفـراغ والإبقـاء على أنقـاض النظـام

السابق على الثورة كما هي يسهل عملية استبدال النظام المستجد بغيره ..
4- الانقلاب العسكري
لم تنجح جهود الثورة المضادة في تشويه صورة الرئيس بشكل تام وإن نالت منه كثيراً .. كما لم تتمكن من إفشال برنامجه ولكن حدت من نجاحه .. لأني أعتقد أنه لو تركت الفرصة للإخوان أو حتى لأي تيار وطني حقيقي .. لكان نجاحهم باهراً ولأوضح حقيقة العسكر وعصابته " القضاء والكنيسة والأزهر والإعلام ...الخ" وكرههم للشعب وسرقتهم له واغتصابهم لمقدراته .. وليأس العسكر ومن معهم من أن يروا السلطة مرة أخرى .. ولعانى العالم من عودة قوة إسلامية حقيقية على الساحة الدولية تقف لتنصر الدين وتعيد له أمجاده .. لأن الإخوان أنفسهم مرحلة تسلم لمرحلة أخرى وتركيبية أخرى من مراحل تطور الفكر الإسلامي وعودة الخلافة .. وهذا ما يخشاه الغرب ومواليه من حكام العرب والعجم .. وبالتالي تحتم التخطيط منذ البدء لإنهاء حالة الانتفاضة بالثورة المضادة ثم وفي الختام بانقلاب عسكري ..

لقد لعبوا على المحاور كلها "الاجتماعي والأمني والاقتصادي والسياسي والعسكري" بكل ما يملكون من قوة .. ولكنهم فشلوا في إقناع الشعب أن يكون لهم دور في الحياة السياسية .. ناهيك عن أن يقنعوه بأحقيتهم في الحكم .. لقد

كان فشلهم ذريعاً .. وتوجـوه بـانقلاب يمثـل قمـة المنحنى في الفشل ..

***

السلبيات الـتي وقـع فيهـا الثـوار وأدت للانقلاب العسكري:

لم تكتمـل مهمـة الثـوار الـذين قـاموا بانتفاضـة ينـاير .. من وقت التنحي إلى وقت العـزل .. لقـد تـوفر للانتفاضـة منـاخ الثـورة .. من العوامـل الموضوعية وأيضاً قسطا كبيرا من العوامل الذاتية .. لكنها افتقدت لعوامل النجاح .. نشأت الانتفاضة عفويـة وأرادتها التنظيمـات السياسـية كلهـا لنفسـها .. سـواء كـانت التنظيمـات دينيـة أو غـير دينية .. إسلامية أو مسيحية .. صوفية أو سـلفية .. كلهم أنكرها في البداية .. وكلهم تبناها بعد ذلـك .. لكنها أرْدتها .. وتأكد أنـه لابـد لنجـاح أي عمـل من وجـود جهـة حقيقيـة تبـدأه وتنهيـه .. وتتحمـل في سبيل ذلك مخـاطر جسـام .. وتتوقـع لنجـاح ذلـك إسالة الدماء .. وتبقى أعصابها قـادرة على تحمـل ما توجهـه من فظـائع بشـعة .. وجـرائم حقـيرة .. ونظام مسعور .. لعل انتفاضة ينـاير كـانت تجربـة لثورة حقيقـة أظلت على أفـق مصـر .. ثقلت بهـا الأيام .. وأصبح وضعها وشيكاً ..

ما يهمنا هنا أن نعرف نقاط الضعف التي صـاحبت الانتفاضـة في بـدايتها واسـتمرت معهـا حـتى

الانقلاب عليهـا .. ويرجـع أسـبابها الحقيقـة لقلـة التجربة والاختلاف الأيدلوجي والتضاد في الأهداف .. هــذه الســلبيات للأســف ســاندت المجلس العسـكري ودعمتـه وأضـفت الشـرعية السياسـية عليــه .. وأهلت البلاد للعــودة إلى الــوراء مــرة أخرى .. ومن هذه النقاط ما يلي:

1- قبول الثوار بـأن يتصـدر الجيش المشـهد بعـد إزاحة مبارك .. وكان المفـروض عليهم الاسـتمرار في التظاهر واستكمال العصيان المدني الـذي بـدأ في بعض المناطق حتى يعم الدولـة كلهـا ليسـقط النظام بالكامل .. إذ لا فرق بين مبـارك وجنرالاتـه فكلهم في الجريمة سواء .. وهم الخصم الحقيقي المحلي النـائب عن العـدو الأمـريكي اليهـودي .. ومهمته الرئيسية هي هدم الفرد المصري المسلم تحديدا وتحويله إلى مسخ .. فهل يعقـل أن يتـولى هو بناء المواطن المصري المسلم؟! ..

2- رغم تــوفر الجــانب الموضــوعي للثــورة منــذ سـنوات وهـو الفسـاد والاسـتعباد والفقـر .. ولكن انعدم الوعي الثوري .. فخرجت أو أخرجت الثورة بشـكل عفـوي .. وتتـابع دخـول المنتفعين عليهـا مــتزعمين لهــا .. وكــل يمثــل إرادة خارجيــة أو داخلية .. وكلهم متنافرون لا يخدمون الشعب ..

3- انعدام القيادة ابتداءً .. وتم علاج هذه المشكلة بشـكل خجـول عـبر عـدة مجـالس للتنسـيق بين الثوار .. وكانت أغلب القـرارات ردود أفعـال على ما يقترفه النظام والمجلس العسكري بعد ذلـك ..

بل إن بعض الكتاب والصحفيين كان أكثر تأثيراً على الحكومة من المتظاهرين .. وكثيراً ما خطب المجلس العسكري ودهم وحل ضيفاً على فضائياتهم .. والأخطر والأدهى وجود حالة من الهدم بين التيار الثوري لأي قيادة تظهر .. وخاصة من التيار الإسلامي بشقيه الإخوان والسلفيين (هدم حازم أبو إسماعيل) .. وكان على العقلاء الالتفاف حول أي رمز يحقق لهم الوحدة والإلهام والانطلاق .. وفق رؤية قوية وحازمة يندر فيها الارتجال وردود أفعال ..

4- أدى انعدام القيادة والقبول بالمجلس العسكري إلى تنافس التيارات السياسية والدينية للتحالف مع العسكر .. ومال أغلبها لأن يستخدم من قبل المجلس العسكري لتحقيق أهدافها الضيقة .. وتحول من أهداف الشعب إلى أهداف الأحزاب .. وفقد الثوار في الشارع البريق والقوة اللهم إلا في حالات نادرة من الاجتماع الوطني في أوقات الخطر ..

5- خانت القوة الحزبية التي تشكلت أبناء الشعب بغض الطرف عما ارتكبه المجلس العسكري من جرائم قتل وفقأ أعين واعتقال .. كما انتقم المجلس من بعض العناصر الثورية .. وقدمها للمحاكم وسط نوع من الرضا وغض الطرف من القوى السياسية خاصة إذا كان المعتقل إسلامي

6- سقط الثوار في أسوء مخاوفهم عندما لم يقوموا بإنشاء مؤسستين: الأولى جهاز أمن قوي

يحمي الثورة ويعطى صلاحيات واسعة في القبض والاعتقال لعناصر النظام السابق ومجرمي الأمن .. والثانية تشكيل محاكم ثورية تمارس القضاء الثوري على المجرمين من عناصر النظام السابق والمفسدين من الأمن والبلطجية خلال المسيرة الثورية .. فوكل الأمر للمجلس العسكري الذي أحيا جهاز الأمن الفاسد وشكل محاكم من القضاة الضالين الذين طالما خدموا مبارك وأسلافه ..

7- اتضح لاحقا أن جزء من الثوار العلمانيين والإسلاميين هم أيضا وكلاء لأنظمة إقليمية وأنظمة عالمية[63] .. وكان لهم دور سيئ في

[63] (سلفية إسكندرية المتمثلة بحزب النور تحت ياسر برهامي .. وتمويل الكيان السعودي) .. (البرادعي وعمرو موسى وعدد من رجال الأعمال في مجموعة أحزاب تحت مسمى جبهة الإنقاذ .. وإرشاد من السفارة الأمريكية بالقاهرة) .. ومهما أتى حاخام سلفية حزب النور من ترهات لتبرر موقفه في الانقلاب العسكري فلن تخرج عن كونها تفاهات لرجل ضال كان الأولى به شرعاً نصرة رئيسه لا التآمر عليه مع حثالة البشر .. فمهما كان حال مرسي – وهو لا يرضينا – فهو بلا جدال أرحم بالمسلمين وأنفع للناس .. بخلاف السيسي وزمرته الذين لا يعرفون للناس حقهم ولا يوجد بقلوبهم ذرة رحمة بالمسلمين .. ألم يكن يدرك حاخام سلفية حزب النور حين أعلن السيسي أنه قام بانقلاب ضد الإخوان لأنهم يريدون إقامة إمبراطورية إسلامية وأنه أي السيسي يريد دولة لا دينية .. ألم يكن يدرك حاخام الإسكندرية أنه قد والى أعداء الله وتبرأ من أولياؤه .. وأنه شريك متضامن شرعاً وعرفاً في كل ما اقترفه السيسي من قتل للمسلمين في الطرقات .. وحبس لهم في غياهب السجون .. واغتصاب لأعراض المؤمنات في المعتقلات .. أي باب على السلفيين فتحت وأي هاوية فيها انزلقت .. ومن باب النصح للمسلمين من أعضاء الحزب المشؤوم المسمى بحزب النور أن يتبرؤا منه صيانة لدينكم .. عسى الله أن يعفوا عنهم .. وأن يتركوا حاخام الإسكندرية ومن ورائه من علماء نجد وملكهم قاتلهم الله .. يتحملون وحدهم هذه الدماء المسلمة والمعصومة .. قال تعالى { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ

الانقلاب على المبادئ العامة .. سواء الإسلامية أو الوطنيـة .. مارسـوا سياسـة المصـلحة كمـا نص عليهـــا تشرشـــل .. وهجـــروا القـــرآن وجعلـــوا مــرجعيتهم كتــاب الأمــير لميكــافيللي .. وكلاهمــا (العلمانيين وجزء من السلفيين) كان معول هــدم ورجعية للدولـة الجديـدة .. ذكـرني بمـا قـامت بـه أسرة آل سعود وأسـرة الشـريف حسـين وأسـرة محمد علي في هدم الخلافة الإسـلامية في مطلـع القــرن الماضــي .. وشــكلوا مــع النصــارى طــابور خامس في خاصرة الانتفاضة ..

8- تمــالأت الكنيســة المصــرية ورجــال الأعمــال النصارى على هدم دولة الــدكتور هشـام قنـديل .. وعقــدت في الكنــائس نــدوات ومحاضــرات لعــدد ممن تصدر المشهد الثوري .. كما حركـوا أتبـاعهم من النصـارى في الانتخابـات لـرفض مـا يقبـل بـه الإســـلاميين .. ودفعـــوهم مـــرات للخـــروج في تظاهرات مناصرة للجيش .. وكان خروجهم الأكبر في 30 يونيــو .. شــكل النصــارى حجــرة عــثرة رافضــة للانتفاضــة منــذ اليــوم الأول .. وطــوال مسيرة الثـورة كـانوا الجهـة الأكـثر رفضـاً للتغيـير والأكثر تحركا لنيل مكاسـب من المنـاخ الثـوري .. وكانوا القسم الأخطر من الطابور الخامس ..

خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا {93}النساء .. «عن ابن عمـرَ ﵄ قـال: قـال رسـولُ اللـه ﷺ: لن يَـزالَ المـؤمنُ في فُسحةٍ من دِينه ما لم يُصِـبْ دَمـاً حَرامـاً» وقـال ابن عمـر ﵄: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الـدم الحـرام بغير حلـه رواه البخاري رحمه اللـه .. وقال سبحانه { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَـوَاهُ وَأَضَـلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَـمْعِهِ وَقَلْبِـهِ وَجَعَـلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {23} الجاثية ..

9- انتشار الأحزاب في فترة تاريخية تستلزم قيادة حازمة لتيار ثوري موحد على الأقل ضد النظام السابق ومؤسساته .. وكان الأفضل[64] لهم أن يتولى مجلس قيادي من قبل الثوار .. فيمهد الطريق أمام النظام القادم .. وكما المفروض في معظم الثورات أن يتحرك بالحد الأدنى للإجماع الوطني .. وأعتقد أن فرصة الإسلاميين في هكذا مجلس كانت أفضل من غيرهم لتواجدهم بقوة في الانتفاضة .. وكان يمكنهم مع الزخم الشعبي فرض صورة التغيير التي يرغبون فيها خاصة وأن الكنيسة كانت رافضة للانتفاضة وحثت رعاياها على عدم المشاركة فيها .. ولي تعليق مفصل في أخر المقال عن الأحزاب وجدوى وجودهم ..

10- انقسام المجتمع تحت مظلة الخداع الإعلامي والأهواء السياسية المتنافرة .. وانتفاء وجود أي رابط يساعد في إعادة توحيد الصف .. خاصة بعد خطاب مرسي في الاتحادية .. والذي كان بمثابة القشة التي قسمت ظهر ما تبقى من وحدة ثورية .. خاصة مع رعاية الجيش لكل ما يفرق الصف .. وحرص الكنيسة وكذلك الأزهر على الدفع في اتجاه العودة لحكم العسكر بقبول كافة المبادرات والوثائق السياسية[65] أو محاولة تعديل بعض بنودها بما لا يخالف الخط العام لها .. وبلغ بالأزهر أن برر تطاول وجرأة أحد وكلاء العسكر على الله عز

[64] الأفضلية هنا كتقييم لما حدث من الناحية الثورية أو التغيرية .. وليس التقييم من الناحية الشرعية.

[65] وثيقة يحي الجمل والسلمي ..

وجـل .. لقـد كـان أمـام شـاويش الأزهـر فرصـة للعمل لدين الله إلا أنه آثر السير على نفس النهج .. فحينمـا احتاجـه الشـعب احتجب .. ولمـا جـاء العسكر مارس دوره التوجيهي بكل حماس ..

11- إهمال الدكتور مرسي[66] لإنشاء قوة لحراسة الثـورة على غـرار الحـرس الثـوري الإيـراني[67] أو حتى الأمن المركزي المصري! .. قوة تتبع الرئيس ويتقوى بها في فـرض النظـام الجديـد وحمايتـه .. ويـأمن من غـدر العسـكر .. وغـيرهم من قـوى الـداخل أو الخـارج .. فالسـلطة والحكم لا تحمى بـالخطب الرنانـة أو الأمـاني والأحلام .. أو حـتى حسن الظن أو المشاعر المرهفة .. كما يذهب بها

[66] فيما يتعلق بالدكتور محمـد مرسـي فقـد بلغـني - وإخـواني معي في الأسر- أن الشيخ أحمد عشوش لم يرى كفره ولكنـه لم يـرى أنـه ولي أمر شرعي .. كما وأن بعض الإخـوة الـذين كـانوا في الجهـاد وأسـرهم الأمريكـان وسـلموا إلى مصـر مبـارك تعـاملوا معـه وأخبرونـا عن دين الرجل وصلاحه .. وكذلك الشيخ محمد عبد المقصود وعـدد من إخوانـه لا زالوا يناصرون الرجل ويؤيدونه .. ولكن عند دراسـة الانتفاضـة تـترك المجـاملات ليسـتفيد القـارئ منهـا .. وتبقى النظـرة لمسيرة الأحـداث والتفاعل معها .. وقد يكون الجانب الشخصي مؤثراً على التفاعل لكنـه في تجربة الـدكتور مرسـي كـان غائبـاً تمامـاً .. فالـدكتور مرسـي كـان ضـعيفاً في تفاعلـه الثـوري وكـان أكـثر ضـعفاً في نصـرة توجهـه الإسلامي ..

[67] فشلت أغلب الانتفاضات الشعبية السلمية حول العالم ..كـذلك ثـورة القرن الحالي المسماة المخملية (أوكرانيا) لم تنجح في اجتياز عقد من الزمن .. وتكاد تكون الثورة الإيرانيـة الوحيـدة الـتي حققت النجـاح في بابها .. ولا أشك لحظة أن الإخـوان وغـيرهم من التيـار الإسـلام درسـوا عدد من الانتفاضات وخاصة الثورة الإيرانية .. ولكنهم لم يسـتفيدوا من دروسـها ووقعـوا في أخطـاء الانتفاضـات الفاشـلة .. ولمن كـان يقـرأ مستقبل الانتفاضة المصرية كان يـدرك أن مآلهـا إلى الفشـل .. مـا لم تنتهج الطريـق الصـحيح وتنشـأ الوحـدات والمؤسسـات الـتي تـؤمن مسيرتها ..

الغفلـــة .. الحكم يحتـــاج إلى مصـــحف وســـيف .. قـرءان يهـدي وسـيف يحمي .. والـدكتور مرسـي تحرج من التلفظ بكلمـة الشـريعة وأهمـل صـناعة السـيف .. ودنــدن حــول الشــرعية واعتمــد على الجيش .. فلم ينفعه أي منهما ..

12- إهمـال الـدكتور مرسـي لممارسـات حكـام العـرب وتـدخلاتهم .. بـدا منـذ اللحظـة الأولى أن العرب منقسـمون على أنفسـهم .. تميـل الغالبيـة منهم لـرفض الثـورات خشـية العـدوى الثوريـة .. وقلة دعمت التغيير .. فمنذ أن تحركت طـائرة بن على طاغيـــة تـــونس هاربـــة إلى جزيـــرة العـــرب (السـعودية) .. دلت على أنهـا تقـف في الصـف المعادي لتحركات الشعوب .. حتى لو كانت رغبـــة الشعوب في أن تحكم بالإسلام فقد وقفت ضـــدها وانقلبت عليها وتجربـة مصـر كـانت البرهـان على حقيقة العقيدة التي ينتهجها حكام نجـد والحجـاز .. ولا يختلـــف حكـــام الإمـــارات العربيـــة عنهم قيـــد أنملـــة .. ورغم ذلـــك فقـــد غض الإخـــوان الطـــرف عنهم .. وتركوهم وأتباعهم من أصـحاب المدرسـة الســـلفية بالإســـكندرية حـــتى أســـقطوا الدولـــة والانتفاضـــة .. ولم يـــروا في وقاحـــة شـــرطي الإمارات هما ينتبه له .. حتى بلغ بـه الأمـر تمويـل بعض الفضـائيات وكـذلك المظـاهرات ضـد الحكم الجديـــد .. هـــذه الغفلـــة أو الإهمـــال أو المداهنـــة بشرت بمستقبل الدولة ونهايتها ..

13- إهمال الدكتور مرسي القضاء على النظام القديم وكوادره .. كان من الأولى استخدام كوادر جديدة متخصصة من شباب الثوار لا علاقة لهم بالنظام السابق (سياسة الترقيع وتطيب الخواطر) .. لقد ترك قيادة الجيش كما هي وكان الأولى به "صرف وحبس ومحاكمة" القيادات من رتبة عقيد فما فوق من الخدمة باستثناء من يعرفون ولاءه .. وتقديم قيادات جديدة لم ترسل بعد للدراسة في الولايات المتحدة وتعود منها وقد تحول ولاؤها لخدمة اليهود والأمريكان وحسابهم البنكي .. وكذلك يفعل بالأمن والقضاء .. وسائر المؤسسات المتورطة مع النظام السابق .. فالثورة عملية تغيرية شاملة تهدم لتبني .. والعبث أو التراخي تكون عواقبه وخيمة ..

14- سارع الدكتور مرسي بالتغطية على الحاقدين والخائفين ووصفهم بأحسن الصفات .. فمرسي كال المدح لضباط الجيش والشرطة .. ولم يظهر قبح وجه حكام الخليج .. واستمر في علاقة غريبة مع الولايات المتحدة .. وتنكر عمليا للتيار الإسلامي .. وسقط في امتحان رباني بسيط حينما رفض مقابلة ضباط الشرطة الملتحين والتقى بالفاسقين من أهل السينما والمسرح .. ونسج مع الكنيسة كما نسج مع العلمانيين والليبراليين .. ومارس ذلك لآخر يوم من حكمه .. وكان الأولى به أن يرتمي في حضن أنصاره .. ويجتهد في إصلاح الدولة وتأديب المتحالفين ضدها .. فالضعيف إذا تهاون في

التحرك بأوراق قوته فتح البـاب ليلتهمـه القـوي .. وقد كان ..

15- تعامل الدكتور مرسي مع الإعلام بضعف وذل .. فمرسي يمكنه التغاضي عن حقـه حينمـا يكـون مواطنـا عاديـا .. أمـا حينمـا يكـون في المسـؤلية العامة فهناك حد من الهيبة لا يجب التغاضـي عنـه مهما كان الرجل يميـل إلى التواضـع واللين .. وإلا تفقـد الدولـة السـيطرة على الرعيـة وتـدخل في فوضى لا نهاية لهـا .. وكمـا ورد في الأثـر "واللـه تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بـالقرآن" وقيـل "قـد أعـذر من أنـذر" .. فتـوجب عليـه إن تطـاول إعلامي أو أي كائن من كان أن يعاقبه لا أن يتنازل عن حقه .. ليكون ذلك فطاماً له وزجراً لغيره عن إسـاءة الأدب .. فـإن امتنـاع النـاس ممـا لا يحـل لمخافة العقوبة أكثر من امتنـاعهم خوفـاً من اللـه تعالى .. وقد تطـاول الإعلام[68] حـتى على الإسـلام والإسلاميين بسبب ضـعف مرسـي وقلـة حيلتـه .. وأصبح كل من هب ودب ينال من الدين إذ لا رادع لهم .. أهكـذا يكـون حـظ الـدين عنـدما يتـولى الإخوان الحكم؟!! .. فكيف بغيرهم من العلمـانيين واللبراليين وأتبـاع الكنيسـة الحاقـدين .. ولا حـول ولا قوة إلا بالله ..

---

[68] ليراجع الإخوان ما فعله رسول الله ﷺ بكعب بن الأشرف حينمـا أراد أن ينال من الإسلام والمسلمات .. ولـيراجعوا حكم من اسـتهزأ بالـدين مازحاً ناهيك عن كونه جـاداً .. ولـيراجعوا كتـاب اللـه وسـنة رسـوله ﷺ وسـيرته .. ففيهم من الأحكـام الملزمـة مـا يحـد من منـاوراتهم الفوضوية ..

16- تضخيم خطر الإخوان المسلمين رغم أنهم الألين عريكة بين التيارات الإسلامية .. ورغم إشكاليات منهجهم السياسي ورؤيتهم للتغيير .. والخلط في باب الولاء والبراء[69] الذي يعيشون فيه .. إلا أن خصومهم شنوا عليهم حرباً شرسة .. لأن مجرد رؤيتهم تذكرهم بالإسلام والدين والحلال والحرام .. وما هم فيه من تيه وضلال .. والعصاة يحبون أن يكون الناس كلهم على دربهم .. فلا يؤرقهم فيه آذان يصك آذانهم ويوقظ ضمائرهم وينكد عليهم سكرتهم .. فضخموا من أخطاء الرئيس وعزلوه عن الشعب وجعلوه خاص بجماعته ينقاد لها .. وما يصدر من قرارات فهي من المرشد .. وهذه القرارات ضد الشعب ولصالح الإخوان .. في مقابل .. أطروحات وصورة خادعة عن العلمانيين واللبراليين .. وبدأت حرب باردة داخليا بتمويل إقليمي ودولي .. لعبت فيه الكنيسة ونصارى مصر دوراً بارزاً .. والمعروف أن النصارى قاتلهم الله يطفحون على السطح .. ويسمون المسلمين سوء العذاب حينما تواتيهم

[69] تعرض الإخوان لنكبات خلال مسيرتهم أدت بهم لهذا التميع الذي يسمح لهم بالحياة دون أن ينالوا هدفهم .. وتبعهم في رؤيتهم تيارات سلفية أخرى .. قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ .... {10} العنكبوت .. وكان الأولى بهم جميعاً أن يثبتوا على درب الله ولا يميعوا قضايا في صلب العقيدة .. قد لا يعذرهم الكثير من أبناء التيار الجهادي .. ولكن الإخوان من التيارات الإسلامية التي يفرح أعداء الله في مصابهم ويحزن لمصابهم المسلمون .. والتيار الجهادي يفرح لفرح المسلمين ويحزن لحزنهم .. وأن النصح والحوار الودي هو وسيلة التعامل المثلى بين التيارات الإسلامية .. لقد علم الله نبيه موسى عليه السلام أن يخاطب فرعون باللين .. وأرشدنا أن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن .. فكيف بالمسلمين ..

فرصـة .. حـال ضـعف المسـلمين ودعم الصـليبية العالمية لهم .. ولقد تكرر هذا الدور التعيس مراراً عـبر التـاريخ .. وبالتـالي يجب أن يـؤدب كـل من شارك من هؤلاء تأديباً يقهر وساوسـهم فلا يعـودوا لذلك مرة أخرى ..

لقــد صَــلب الــرئيس مرســي نفســه على مــذبح الديمقراطيــة والشــرعية وأطلــق العنــان لســياط جلاديه تقطـع في أوصـاله وتمـزق جسـده وتنهش من لحمــه .. نعم لقــد رضــي بــذلك .. وعجــز عن حمايـة هيبتـه .. وأضـاع حلم أتباعـه .. قـال عمـر رضى الله عنه اللهم إني أشكوا إليـك عجـز الثقـة وجلد الفاجر .. هذه الكلمات لا تعيـد شـيء سـلب بـالقوة .. ولكن بهـا من العـزاء مـا يعين على فهم الدرس واستقدام إستراتيجية جديدة .. للإخوان ..

تحالفت كل هذه العناصر وتآمرت فـأنجبت الثـورة المضادة ونجحت في خداع الشعب .. إلى حين ..

***

وختاماً:

لم تنجح انتفاضة من أول مرة ولكنها عائدة إنشاء الله .. قد يخفق جيل ولكن الجيل التالي يستفيد من تجربة وتضحيات وآلام من سبقه .. ولأن الشعوب لا تموت .. وتتعلم من تجاربها .. وتعمل على تلافى الأخطاء السابقة .. وكان من أهم هذه الأخطاء هو عدم وجود أيدلوجية[70] واحدة خلف الثورة .. مما أدى إلى الانقسام مباشرة بعد التنحي .. والقبول بالعسكر كحكم وهم الخصم ..

وحتى يصل التيار الإسلامي لذلك عليه أن يتخلص من بعض أدرانه .. ومنها الترقيع الذي يجيده البعض .. فالمنهج الإسلامي انقلابي كامل لا يقبل بالترقيع أو المداهنة أو المشاركة .. إنه منهج نقي خالص .. فإذا كانت حالات البطش السابقة دجنت بعض الوحدات الإسلامية .. وجعلتها تميل إلى لعب دور الذي لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم .. لكنه

[70] قامت الانتفاضة ولا قيادة ولا أيدلوجية .. وقد يكون وجود واحدة يمكن من استدعاء الأخرى .. أما فقد كلاهما فكان كارثة عليها .. آمل من التيار الإسلامي الذي سيعاني من أخطاءه لفترة أن يكون هو حامل الراية القادمة .. فهو في الحقيقة المؤهل الوحيد للعودة بمصر إلى الإسلام ومن ثم إلى التقدم ..

يرقع ويساند .. فقد انتهى هذا الزمان .. انتهى بظهور جيل أسامة بن لادن ..

ومن الأدران التي يجب زوالها أيضاً .. الطابور الخامس المتمثل في شريحة باتت معروفة للجميع .. شريحة نالها قسط من العمالة .. أدركت ذلك أو لم تدرك .. وعلى الشباب المنضوين معنويا تحت رايتها أن يعرفوا الحق ولا يغرهم الرجال .. فالحق أولى بالإتباع .. فمن أشد المتاهات على الشباب هو إتباعهم لأسماء لها حظ من العلم والقبول من أهل البلاد أو من خارجها .. ولكن للأسف هذه الأسماء أضعف من أن يقودوهم ناهيك عن أن يغيروا بهم ..

ومن الأدران أيضا ما يطلق عليه زورا مصلحة الدعوة .. شريحة تستعذب الصبر على أذى الحاكم "بغير ما أنزل الله" .. وعلى ظلمه .. وعلى موالاته لأعداء الله .. حتى تصل بهم رؤيتهم لتأمين أنفسهم بالإبلاغ عن إخوانهم المجاهدين لوحدات الأمن .. أي انتكاسة أخلاقية هذه .. وأي نذالة وسفالة اجتماعية ..

ومن الأدران السكوت عن واقع الأمة السياسي فلا تسمعهم يعرضون الواقع على الإسلام .. إنها شريحة تطل من الفضائيات لا ترى دعوتها في غير ذلك .. لا تخرج للحاكم ولا للناس .. يفتون ويقولون من وراء الشاشات .. ولكن تفاعلهم مع مجتمعهم والتغيرات المصاحبة له لا علاقة لهم بها ..

على التيــار الإســلامي أن يــدعم قيــادة قويــة .. وليعلم أنـه لا وجـود لإنسـان كامـل .. ولكن يوجـد إنســان يمكنــه أن يصــل بالســفينة بقــوة وســط أعاصير هائجة .. وعندما تتحول الثورة إلى دولة .. وتثبت أركانها .. وتبني كيانها .. لتؤسـس للمرحلـة التالية .. لن يتواجد قائد يرضى عنه الجميع أيضاً .. وإلى أن يُتــدارك كــل ذلــك .. ســيعاني الشــعب والتيار الإسلامي .. وسيظل مناخ التغيـير قـائم .. وأجــواء الثــورة في الأفــق .. إلى أن تهب ريــاح النصر والتمكين .. وتهنأ الشعوب المسلمة ..

لقد أكدت الانتفاضة الشـعبية والانقلاب العسـكري على قضــية في منتهى الأهميــة .. وهي ضــرورة مراجعة كل التيارات الإسلامية لأطروحات التغيــير ومحاولة وجود فكرة جديـدة تعتمـد على التنسـيق المتبـادل بينهـا بـدلاً من النقـد السـلبي والعـداوة الفارغة .. فبعـد ابتلاء الإخـوان بنكبـة جمـال عبـد الناصــــر مـــــالوا إلى العمـــــل من خلال التغيـــــير السياسـي من خلال العمليـة الديمقراطيـة .. وفي عهـود القهـر أخضـعهم الـتزوير .. وبعـد الانتفاضـة انتزعت منهم السلطة بقهر الجيش .. وهـذا يعـني أنهم دخلوا في دائرة مفرغة لا أول لها ولا نهاية .. والتيـارات الدعويــة الــتي كـانت تنتظـر أن يـأتي غيرهم بالإسلام وجدوا أن الانتفاضــة السـلمية في مصر وتونس أو المسلحة في ليبيا يمكن أن ترفــع عنهم خزي العيش والاستكانة والمداهنـة في ظـل الحكم الطاغوتي .. والتيار الجهادي المحلي ســواء من أراد منهم التغيــير بثــورة شــعبية أو بــانقلاب

عسكري مدعومين بعناصر حراسة قد يعتذروا بأنهم لم يحظوا بالفرصة كاملة لاستكمال تجربتهم فتم استدراجهم أو اكتشافهم .. والحقيقة أن هذه كانت تجربتهم الكاملة .. وحتى التيار الجهادي العالمي (القاعدة) وإن كان قد نجح في المهمة التي تكفل بها وهي إضعاف النظام العالمي المسيطر .. لتتحرر الشعوب وتختار لنفسها .. فهذا الشق الأخير كان في وعي الشعوب لكنه لم يكن ناضجاً عند باقي التيار الإسلامي .. مما يعني أن الجزء الثاني في البرنامج لا يقل أهمية عن الأول .. وعليه فلتعمد القاعدة إلى تبني مع قضيتها العالمية قضية محلية تدعمها لتكون نقطة انطلاق للعالم فإن لم تقدر على ذلك .. فلا أقل من التنسيق مع التيارات الإسلامية المحلية سواء اقتنعت أم لا فعلى الأقل تكون مستعدة .. أو على الأقل يتم التنسيق مع التيارات الجهادية المحلية لتستثمر الفرصة وتستكمل المسيرة سواء بالتحرك الشعبي أو بالانقلاب العسكري .. والفرصة الآن متاحة في ظل الثورات والحروب الدائرة في المنطقة .. وأي ما تكون الفكرة فعلى التيارات الإسلامية المحلية والعالمية أن تتعاون سوياً وتجلس وتتفق وتنسق بينها .. فوجود أي تيار إسلامي في الحكم هو مرحلة لما بعدها سواء كان هذا التيار إخواني أو جهادي أو دعوي .. ومن التجارب الجديرة بالدراسة في هذا الباب تجربة الصومال .. لقد التقت فيه ثلاث إرادات وفق الله اجتماعها .. مجموعة من أبناء الصومال أرادت

الجهاد لإقامة الدين .. وتنظيم القاعدة الذي تحرك إليهم لتدريبهم ومشاركتهم في الجهاد .. وقد انطلقت القاعدة من السودان الذي وفر لهم إيواء آمن .. حينما كان يحكمها التيار الترابي وهو صورة من صور التيار الإخوان .. وقد نجحت التجربة في وقتها بإخراج الأمريكان من الصومال .. ثم تولد كامتداد طبيعي وتطور مرحلي "المحاكم الإسلامية" وهي تيار حظي بتأييد شعبي في الحكم .. إلى أن عمد النظام العالمي مدعوما ببعض الدول العربية ومتحركا من الحبشة إلى إسقاطه بالقوة .. ولكن الشباب لا زالوا يقاتلون أسأل الله أن يوفقهم ويثبت أقدامهم وينصرهم على عدوهم ..

من أراد أن يحيى أبناؤه وأحفاده تحت ظل الإسلام فليبذل كما بذل المسلمون الأوائل .. فعاشت بتضحياتهم أجيال لقرون تحت مظلة الإسلام .. لم يكن طريقهم سهلاً معبداً .. وليس هناك طريق سهل للوصول إلى ما وصلوا إليه .. ولن يكون اليوم لدينا طريق سهل يوصل لذلك .. ومن المعيب أن يبذل الكفار وأذنابهم من الجهد ما يعيق جهدنا .. ويوم نكون على العطاء أكبر وللجهد أمضى .. فذاك اليوم ..

عابر سبيل

22-12-2013

فصل في الإستراتيجية

تمهيد

إن رغبة الإنسان الأول في تأمين حياته على وجه البسيطة وطبيعة الصراع القائم حين ذاك .. حصرت أولوياته في تأمين المأكل والمسكن والدفاع عن عشيرته ضد ما يواجهها من أخطار فتبلور فهمه الإستراتيجي حول الأمن الذي لا يتم إلا من خلال القتال فسعى دائما لاكتساب التفوق في القوة على بني جنسه وعلى الحيوانات أيضا وحتى على بعض الظواهر التي أوجدها الله في الطبيعة ..

ولما دار الزمان دورته وتعاظمت أعداد البشرية ظل هذا الهاجس حجر الزاوية في عقلها .. وطورت من برامجها القتالية فتحركت من الدفاع إلى الهجوم .. ثم تفننت في أشكال الهجوم عبر التاريخ .. ولهذا ارتبط تدوين التاريخ عادة بسير الشخصيات السياسية " أنبياء أو قادة " وبسجلات وقائع الحروب الحاسمة أكثر من غيرها من الموضوعات التي أفرزتها البشرية أو عانت منها على مر الزمان .. والناس يحفظون أسماء القادة العسكريين البارزين أكثر مما يعرفون أسماء أجدادهم ويتغنون ببطولاتهم وما أنجزوه لأممهم من فخر وشرف .. ويتمثل الصغار هؤلاء القادة في لهوهم كما يعيش أشخاصهم المراهقون

والشـــــباب في أحلام يقظتهم .. وتــــــدون عنهم الأساطير وخوارق الأعمال ..

ولهــذا عنــدما حصــر بعض المفكــرين مفهــوم الإسـتراتيجية[71] في العمـل العسـكري من معـارك وحروب فقد كانوا متأثرين كثـيراً بمـا درجـوا عليـه في صــباهم كمــا أنهم كــانوا متــأثرين أكــثر في فحولتهم بإدراكهم لمفهوم القوة القـاهرة القـادرة على تحقيــق كــل شــيء وبهــذا التصــق مفهــوم الإستراتيجية بالحرب .. حتى بـاتت الكلمـة وكأنهـا تعبر عن خطة الحرب وما بها من معـارك فقـط .. دون الالتفـات إلى مـا سـجله التـاريخ من تعـايش وفـــق تحالفـــات أو انـــدماجات تمت بوســـائط اجتماعيــة أو سياســية أو دعويــة عقديــة .. أو من خلال الكـــثرة العدديـــة أو التقـــدم العلمي .. أو الســـيطرة على مصــادر القــوة الاقتصــادية .. أو بسـبب الهيبـة والعظمـة .. والـتي تهـيئ كلهـا أو بعضها تفوقا وقوة قد تكون قاهرة يخشـاها البعض أو ناعمــة يحــذوا حــذوها الآخــرين دون الحاجــة لخوض الحرب ..

في هـــذه المحاضـــرة ســـوف نطـــرق موضـــوع الإستراتيجية ونلمس بعض جوانبها الـتي تهمنـا من حيث فهم أسســـها ومـــا نحن في حاجـــة إليـــه .. ونطرق باب الإستراتيجية الإسـلامية لفتح النقـاش حولهــا لإثرائــه .. بحســب تحركــات الأنبيــاء في

[71] أيضا لأصل الكلمـة اليونـاني الـذي يعـني قيـادة الجيش .. وإن كـانت الكلمة تركت السـياق العسـكري لتتحـول إلى أسـلوب أو نمـط تفكـير يمارس في كل مجـالات الحيـاة .. وأصـبح لهـا مسـتويات عليـا ودنيـا .. وتخصصات ووسائل تنفيذ ..كما سيأتي بيانه لاحقاً ..

دعوتهم ومرادهم .. وما يترتب على نجاح الدعوة والوصول لمرحلة الدولة ومن ثم الانطلاق للبشرية في كامل الكوكب ..

وليس مرادي أن أستشرف ما يمكن أن تتوافق عليه الدول الإسلامية أو العربية اليوم من أوهام لا ترقى حتى لعمل سوق مشتركة فهم لا زالوا بعيدين جداً عن أي شكل من أشكال التعاون الحقيقي لأسباب كثيرة .. من أهمها الجامع الذي يجمعهم .. فبرغم التاريخ الإسلامي العظيم إلا أنهم لا يفتشون في تراثهم .. وفي ميراثهم الكثير لو فقهوا .. ومن أكثرها تأثيراً أسباب شخصية فعلى الرغم من نضج الشعوب إلا أن القيادات لازالت أسيرة أحلام يقظتها أو مطامعها .. ومنها خضوع إرادتهم واستسلامهم لما يفرضه عليهم العدو الصليبي اليهودي من أوامر .. والعجيب في هذا الزمان أن قادة العالم الإسلامي أصبحوا حريصين على إرضاءهم ويتسابقون في التنفل قبل أن تصلهم الأوامر .. أضف إلى ذلك أن برامجهم - إن كان لهم برنامج جاد - تحاول تقليد الغرب وتتبعه حذو القذة بالقذة ولا تسير وفق مراد الله خاصة في باب العقيدة والثقافة والعادات والأعراف .. وهذا باب لا يستهان به لأنه يضرب هوية الأمة في الصميم .. عن همام[72] قال:

[72] المستدرك على الصحيحين للحاكم .. عن كتاب الحاكم يقول ابن الصلاح في مقدمته: واعتنى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بالزيادة في عدد الحديث الصحيح على ما في الصحيحين، وجمع ذلك في كتاب سماه " المستدرك " أودعه ما ليس في واحد من الصحيحين: مما رواه على شرط الشيخين قد أخرجا عن رواته في كتابيهما،أو على شرط البخاري وحده،أو على شرط مسلم وحده، وما أدى اجتهاده إلى

(كنا عند حذيفة فذكروا: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللــه فَأُولئِكَ هُمُ الْكــافِرون} .. فقــال رجــل من القوم: إن هذا في بني إســرائيل .. فقـال حذيفـة: نعم الإخوة بنو إســرائيل إن كـان لكم الحلـو ولهم المر .. كلا والذي نفسي بيـده حـتى تحـذوا السـنة بالسـنة حـذو القـذة بالقـذة). هـذا حـديث صـحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .. وعن حذيفة[73] ﷺ قال: (أول مـا تفقـدون من دينكم الخشـوع .. وآخــر مـا تفقـدون من دينكم الصـلاة .. ولتنقضـن عرى الإسلام عروة عروة .. وليصلين النسـاء وهن حيض .. ولتســلكن طريــق من كــان قبلكم حــذو القـذة بالقـذة وحـذو النعـل بالنعـل .. لا تخطئـون طـريقهم ولا يخطـأنكم .. حـتى تبقى فرقتـان من فـرق كثـيرة فتقـول إحـداهما: مـا بـال الصـلوات الخمس .. لقد ضلّ من كـان قبلنـا إنمـا قـال اللـه ﷻ: {أَقِمِ الصّلاةَ طَرَفَيْ الّنهَارَ وَزُلْفَاً مِنَ اللّيْلِ} لا تصلوا إلا ثلاثاً .. وتقـول الأخـرى: إيمـان المؤمـنين بالله كإيمـان الملائكـة مـا فينـا كـافر ولا منـافق .. حــق على اللــه أن يحشــرهما مــع الــدجال). هـذا حديث صحيح الإسناد[74] ولم يخرجاه ..

تصحيحه وأن لم يكن على شرط واحد منهما .. وهو واسـع الخطـو في شرط الصحيح، متساهل في القضاء به. فـالأولى أن نتوسـط في أمـره فنقول: ما حكم بصحته، ولم نجد ذلك فيه لغـيره من الأئمـة،إن لم يكن من قبيل الصـحيح فهـو من قبيـل الحسـن، يحتج بـه ويعمـل بـه، إلا أن يظهر فيه علة توجب ضـعفه. ويقاربـه في حكمـه صـحيح أبي حـاتم بن حبان البستي، رحمهم الله أجمعين. والله أعلم.

[73] المصدر السابق ..

[74] السـابع: قـولهم هـذا حـديث صـحيح الإسـناد أو حسـن الإسـناد دون قولهم: هذا حديث صحيح أو حديث حسن .. لأنه قـد يقـال: هـذا حـديث صحيح الإسناد .. ولا يصح .. لكونه شـاذا أو معللا " .. غـير أن المصـنف

وسوف نستعرض بعض التعريفات لنصل في النهاية إلى مفهوم أكثر قربا لهذه المرحلة من التاريخ.

أولاً تعريف الإستراتيجية:

تعبير الإستراتيجية مشتق من الكلمة اليونانية strategos بمعنى فن القيادة Art of generalship وهي مشتقة من stratos وتعني الجيش وكلمة agein وتعني قيادة أو إدارة واستخدمت هذه الكلمة في اليونانية القديمة strategos بمعنى قائد الجيش ومنها اشتقت strategie فن قيادة الجيش ..

اقتصر كلاوزفيتز[75] تعريفه للإستراتيجية على الحرب فيقول (هي فن إعداد المعارك ووضع الخطط الحربية العامة) وقال (هي فن استخدام المعارك كوسيلة للوصول إلى هدف الحرب .. أي أن الإستراتيجية تضع مخطط الحرب .. وتحدد التطور المتوقع لمختلف المعارك التي تتألف منها الحرب كما تحدد الاشتباكات التي ستقع في كل معركة)

المعتمد منهم إذا اقتصر على قوله: إنه صحيح الإسناد .. ولم يذكر له علة .. ولم يقدح فيه .. فالظاهر منه الحكم له بأنه صحيح في نفسه .. لأن عدم العلة والقادح هو الأصل والظاهر .. والله أعلم .. (مقدمة ابن الصلاح) ..

[75] جنرال بروسي ومفكر عسكري .. درس في الأكاديمية العسكرية ببرلين ثم غادر بروسيا وعمل مع الجيش الروسي ضد الجيوش الفرنسية .. ثم أصبح رئيسا لأركان القيادة العامة للقوات الروسية المسلحة له عدة مؤلفات عسكرية مشهورة أهمها في الحرب الذي عرض فيه نظرياته حول اعتماد القوة كوسيلة لتحقيق هدف السياسة (1780 – 1831 م).

تعريـــف هـــنري لويد[76] (قصـــد بالإســـتراتيجية العسـكرية اسـتخدام القـوة المسـلحة بواسـطة الدولة لتحقيق أهدافها).

تعريف فوندر غولـتز (أنهـا اتخـاذ الإجـراءات ذات الطبيعة العامة بالنسبة لمسرح الحرب ككل).

تعريـف مولتكه[77] (أنهـا عمليـة الموائمـة العمليـة للوسائل الموضـوعة تحت تصـرف القائـد لتحقيـق الأهداف).

تعريف ليدل هارت (الإسـتراتيجية العسـكرية هي فن توزيع واستخدام مختلـف الوسـائل العسـكرية لتحقيق هدف السياسة) .. وهو يعتقـد أن الهـدف من الإسـتراتيجية ليس البحث عن المعركـة .. بـل البحث عن وضـع اسـتراتيجي ملائم إن لم يـؤدي بنفسـه إلى النصـر فإنـه يخلـق ظروفـا ملائمـة لمعركة تأتي بعده وتنتزع النصر حتما ..

تعريف الجنرال اندريه بوفر[78] يقول (الإستراتيجية هي فن حوار الإرادات الـتي تسـتخدم القـوة لحـل الخلافـات) .. وذلـك على أسـاس أنـه يعتقـد أن هناك وسائل أخـرى في ظـروف معينـة تـؤدي إلي

---

[76] كاتب انجليزي ألف كتاب تاريخ حرب السنوات السبعة

[77] الكونت فون مولتكه رئيس الأركان العامة الألمانية ..

[78] أندريـه بـوفر جـنرال فرنسـي (1902-1975) لـه سـجل عسـكري حافـل .. بعـد تقاعـده عمـل مـديرا للمعهـد الفرنسـي للدراسـات الإسـتراتيجية .. كتب العديـد من الكتب والمقـالات في الإسـتراتيجية وملخص تعريفـه لهـا بأنهـا " فن الاختيـار بين النظريـات المختلفـة والأساليب المتنوعة المتاحـة لمـا يناسـب الحالـة الـتي يواجههـا القائـد تحقيقـا لأهـداف السياسـة" (المصدر الموسـوعة العسـكرية ص 215-216)

تحقيق هدف الإستراتيجية دون استخدام القوة العسكرية بصورة مباشرة ..

وذكر البعض[79] (بأنها فن استخدام وتطوير قوى الأمة السياسية والعسكرية والمعنوية أثناء السلم والحرب على السواء لدعم الأهداف القومية للبلد المعين .. وتشمل صيانة وتنمية قدرات البلاد في كل المجالات خلال المرحلة التاريخية).

كما قدم ماوتسي تونج[80] تعريفه الخاص بالإستراتيجية فيقول (حيثما كانت حرب يوجد وضع كلي للحرب .. وإن دراسة القوانين الموجهة للحرب والتي تتحكم في وضع الحرب الكلي هي مهمة علم الإستراتيجية)[81]

ويقدم الفكر العسكري السوفيتي[82] على لسان المارشال"سوكولوفسكي" للإستراتيجية بأنها عبارة عن (نظام المعلومات العلمية عن القواعد القياسية للحرب كصراع مسلح يخدم مصالح طبقية معينة .. وعلى أساس دراسة خبرة الحروب والموقف العسكري السياسي .. والإمكانات الاقتصادية والمعنوية للدولة .. والوسائل الجديدة للصراع المسلح ونظرات العدو المحتملة .. تقوم الإستراتيجية بدراسة أحوال

---

[79] السياسة والإستراتيجية في الحربين العالميتين الأولى والثانية – لجمال عبد الملك.

[80] ماوتسي تونج: أبرز زعماء الصين الحديثة أسس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ بعد حرب عصابات طويلة الأمد ضد الاحتلال الياباني والحكم الوطني بزعامة " شان كاي شك" الذي ساندته الدول الغربية ..

[81] (المصدر الموسوعة العسكرية ص 66)

[82] المصدر السابق

وطبيعة الحرب المقبلة .. وفي الـوقت نفسـه هي ميــدان النشــاط العملي "للقيــادة السياســية - العسكرية العليا والقيـادة العسـكرية العليـا" الـذي يهـدف إلى فن تجهـيز الدولـة والقـوات المسـلحة للحــرب وإدارة الصــراع المســلح في ظــروف تاريخية معينة) ..

أما الفكر العسكري الأمريكي فقـد قـدم بواسـطة هيئـة الأركـان العسـكرية الأمريكيـة عـام 1959 تعريفـا للإسـتراتيجية بأنهـا (فن وعلم اسـتخدام القـوات المسـلحة للدولـة بغـرض تحقيـق أهـداف السياسـة القوميـة عن طريـق القـوة أو التهديد[83] باستخدامها)[84]

[83] لاحظ حالة الرعب التي أصابت ليبيا بعد حرب العراق 2003 فجعلتها تفكك برنامجها النووي دون إطلاق رصاصة واحـدة .. علينـا أن نلاحظـه في أمرين الأول حينما تحولت القيادات السياسية إلى مسخ يسـير في ركاب القوى الأكبر وفقـدت بعـدها العقائـدي والوطـني وحـتى القـومي وأصبح همها الوحيد هو البقاء في السلطة وتوريثها .. بــات من الممكن تحقيق أي شيء طالما خنعت القيادة .. وبالتالي تحقيق أهداف الخصـم دون حــرب بالتهديـد بالقصـف فقـط وفقـا للإسـتراتيجية الأمريكيـة .. والثاني هو أنانية الطبقة المثقفة التي تنسلخ بشكل أو بـآخر عن عامـة الشعب وقضيته " إحداث التغيير في السلطة وتحسين ظروف المجتمع والرقي بالدولة " فنجـد هـذه الطبقـة يفتح لهـا نوافـذ للخلاص الفـردي والعمل في خدمة المستغلين وعزل قضيتها عن قضية الشـعب وبـذلك يحكم على المجمـوع بـالتخلف والجمـود والعجـز .. ونـراهم يصـفقون للقائد الفذ حين قـرر الاسـتفادة من الطاقـة النوويـة وصـفقوا لـه أكـثر حينمـا اسـتغنى عن الطاقـة النوويـة مقابـل بقـاءه في الحكم .. لأن المعلمين والمرشدين " المثقفين " لقنوهم ذلك.

[84] المصدر السابق

ويقـول المهنـدس مصـطفى حامد[85] (السياسـة توجـه وتـراقب الإسـتراتيجية .. تخطيطـا وتنفيـذا ونتـائج .. والإسـتراتيجية توجـه وتـراقب التنفيـذ التكتيكي .. وعليه فالإسـتراتيجية تعـنى: التخطيـط طويل الأمد من أجل تحقيق أهـداف كبـيرة الحجم والأهمية أما الإستراتيجية العسكرية: فهي الخطط الكفيلة باستخدام القدرات العسكرية المتوافرة .. لتحقيق الأهداف السياسـية للدولـة أو الأمـة .. أو حركة تحرير).

ومن خلال فهم هـــذا التطـــور في مفهـــوم الإستراتيجية خلال القرنين المنصـرمين ومن خلال منطلقنا الإسلامي[86] الذي نتحرك إن شاء اللـه إلى إعادة سيادته على الأرض يمكننا القول بأن العمل الحربي "الجهادي" هـو أحـد وسـائل الإسـتراتيجية العامـة ومـا يوضـع لـه من نظريـات أو وسـائل وتطبيقـات يطلـق عليهـا الإسـتراتيجية العسـكرية وهي جزء من كل .. أما الإستراتيجية العامة للأمـة

---

[85] مصـطفى حامـد مهنـدس وصـحفي مصـري اشـترك في الجهـاد في أفغانستان وتابعه من بدايتـه وحـتى الحملـة الأمريكيـة عليهـا .. عـايش العديـد من القـادة الأفغـان والعـرب وغـيرهم خلال سـنوات الحـرب الروسـية ومـا بعـدها .. لـه مجموعـة من الكتب الـتي تتعلـق بالتجربـة الجهادية الأفغانية وأخواتهـا الـتي دارت خلال العقـود الثلاثـة الأخـيرة .. ويعتبر خبيراً ميدانياً ومحللا سياسيا في الشأن الأفغاني (المصدر كتاب حرب المطاريد ص 7).

[86] الصراع في الإسلام ينشئ من منطلق عقدي أيـدلوجي وليس صـراع طبقي أو استغلالي أو اغتصاب لمقـدرات الآخـرين الـتي وهبهم اللـه .. قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ويعمـل على نشر أيدلوجيته من خلال الدعوة التي إن صـادفت عراقيـل جـاءت الحرب لإزالتها ثم تعود مرة أخرى لتفسح المجال أمام الدعوة والمنهج الإسلامي ونظرته الحضـارية لغـير المسـلمين (الأخـر أي الكـافر) من بني البشر فتديره وفق مراد الله.

فهي الخطـــة الـــتي تمكنـــا من تحقيـــق أهـــدافنا (أهداف الرسالة) اعتماداً على الله أولاً .. ثم مــا هو متاح لنا من موارد ومـا حققنـا من قـدرات في كافة المجالات .. وقد يكون من المناسـب تقسـيم الإستراتيجية العامـة (الخطـة) إلى مراحـل وفقـا لقـــوة الدولــة أو التنظيم وضــعفه وقــوة الخصــم وضعفه .. ولكل مرحلـة أهـدافها الـتي إن تحققت تمكنـا من الانتقـال إلى مرحلـة أخـرى لتصـل في النهاية لتحقيق الأهداف التي رغبت فيها الدولــة أو الــــتي من أجلهـــا أنشـــئ التنظيم .. ولـــذلك فالإســتراتيجية العامــة عبــارة عن خطــط طويلــة المدى تشمل في بطنها خطط قصيرة المدى ..

هذا من طرف .. ومن طرف آخر فالبحث والنقض والحــــوار والتخطيــــط في الإســــلام لوضــــع الاستراتيجيات منضبط بمنهج سماوي .. يطلق لــه العنان في البحث ولكن من أجل قيم عليا وغايـات سامية .. كما أنّ هناك ضوابط تمنع المفكـرين من الانجـرار وراء مبـادئ لا علاقـة لهـا بالإسـلام مثـل "الغاية تبرر الوسـيلة" .. وبالتـالي يتم توظيـف مـا في الدولة من موارد وطاقات وقدرات متنوعــة .. من أجل أن تعمل مسيرة الأمة على تحقيق مــراد الله منها.

ويمكن صياغتها بالنص التالي « **هي قدرة الأمة أو الدولـة أو التنظيم الفكريـة على البحث والتفكــــير لاختيــــار أفضــــل الوســــائل الممكنــة .. وتوظيــف المــوارد المتاحــة .. لتحقيق أهداف الرسـالة الإسـلامية سـواء**

دارت رحى الحـــــرب أو لم تـــــدور » .. أي التخطيـط لإدارة مـوارده وعناصـر قوتـه البشـرية والاقتصـــادية والإعلاميـــة والعســـكرية والدعويـــة والنفسية والدبلوماسية والجغرافية والتاريخيـة مـع الاسـتفادة من عناصـر ضـعف خصـمه في نفس المجـالات: لإعلامه برسـالة الإسـلام ومـا يـدعوا إليـه .. أو لتهيئـة منـاخ يفـرز مـؤثرات داخليـة أو خارجيـة تـؤدي إلى تفـتيت عناصـر قـوة الخصـم وتنحيـه عن الصـراع .. أو لإخضـاعه وإبعـاده عن المنافسة على عقل الإنسـان وقـراره .. أو قبولـه وتبعيته لمنهج الله .. سـواء دارت رحى الحـرب أو لم تدور ..

فالرسالة الإسلامية[87] هدفت إلى:

توحيد الخالق وإفراده بالعبادة قـال ﷻ {وَمَـا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِـكَ مِن رَّسُـولٍ إِلَّا نُـوحِي إِلَيْـهِ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُـدُونِ {25}ـ الأنبيـاء .. وقـال ﷻ { وَمَـا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُـدُونِ {56}ـ الذاريات .. وقـال ﷻ { هَـذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُـواْ أَنَّمَـا هُـوَ إِلَـهٌ وَاحِـدٌ وَلِيَـذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ {52} إبراهيم .. وقال ﷻ { وَلَقَـدْ بَعَثْنَـا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُـدُواْ اللّـهَ وَاجْتَنِبُـواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِـيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ {36} النحل

كما رمت إلى سياسة الدنيا بإقامـة العـدل والتكافل بين بني آدم كافـة وفـق تشـريع

[87] (فقـد اتفقت الأمـة بـل سـائر الملـل على أن الشـريعة وضـعت للمحافظـة على الضـروريات الخمس وهي الـدين والنفس والنسـل والمـال والعقـل) .. من (الموافقـات) – في أصـول الشـريعة - أبي إسحاق الشاطبي رحمه الله تعالى ..

سماوي منصف رحيم .. سـواء للمسـلمين أو من بقي على كفـره من أهـل الكتـاب طالمـا هم يحيون داخل دار الإسلام وفق التشـريع الإسـلامي قال ﷻ { يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـواْ كُونُـواْ قَـوَّامِينَ لِلّـهِ شُـهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَـوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْـدِلُواْ اعْـدِلُواْ هُـوَ أَقْـرَبُ لِلتَّقْـوَى وَاتَّقُـواْ اللّـهَ إِنَّ اللّـهَ خَبِـيرٌ بِمَـا تَعْمَلُـونَ {8} المائـــدة .. وقـــال ﷻ { لَا يَنْهَـــاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ فِي الـدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُـوكُم مِّن دِيَـارِكُمْ أَن تَبَـرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {8} الممتحنة .. وقال ﷻ { شَرَعَ لَكُم مِّنَ الـدِّينِ مَـا وَصَّـى بِـهِ نُوحًـا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُـوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْـرِكِينَ مَـا تَـدْعُوهُمْ إِلَيْـهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْـــهِ مَن يَشَـــاء وَيَهْـــدِي إِلَيْـــهِ مَن يُنِيبُ {13} الشورى .. وقال ﷻ { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْـرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ {18} الجاثية ..

وحراسة وجودهم وحفظ أموالهم وتـأمين انطلاقتهم لنشر عقيدتهم.. قال ﷻ { وَأَعِـدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَـدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَـا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُــونَ {60}ـ الأنفال .. وقـال ﷻ { فَقَاتِـلْ فِي سَـبِيلِ اللّـهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّـهُ أَن يَكُـفَّ بَـأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً {84} النساء ..

ولتحريـر العقـل برفـع الضـغوط والحجب عنه لتمكينه من الاختيار .. وتأمين العقول المسـلمة من سـلبها فكريـا أو حسـيا .. وحفظ العقول من أي مؤثر يشوش عليها أو يضـر بهـا أو يحجب رؤيتهـا قـال ﷻ { وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَـاتِلُواْ أَئِمَّةَ

الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ {12} براءة .. قال { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {265} البقرة .. وقال { وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً {83} النساء .. وقال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {90} المائدة .. لقد قال خالد بن الوليد وقت إعلان إسلامه بين يدي رسول الله حينما لاطفه .. فرد بقوله: " كان يمنعنا من الإسلام رجال كنا نرى أحلامهم كالجبال" .. إن مقتل هؤلاء حرر عقل خالد ومن كان مثله ليختار .. كما تؤمن العقول من السقوط تحت تأثير الأفكار الخبيثة من علمانية ولبرالية وغيرها .. كما يحفظ العقل من أن يغيب بالخمر وما شابهها ..

وعمارة الأرض باستثمار نعم الله في الكوكب على أحسن وجه ممكن قال { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ {61} هود .. وقال { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ {14} يونس ..

فالأهداف الإسلامية أهداف عامة لصلاح البشرية .. لا ترفع جنس على جنس .. ولا تتعصب لعرق دون عرق .. فقد جاءت من خالق الإنسان

لصـــلاح أمـــر الإنســـان في مســـيرته إلى اللـــه .. ليقطف الثمرة .. فيقر عقله في الدنيا ويقنع وتهنأ روحـه وتسـمو .. فيقصـر طرفـه على مـا رزقـه الله .. فلا يحركه الطمع أو الحسد .. وإنما تحركـه الـــدعوة لانتشـــال العـــالم من الغفلـــة والضـــياع والتيه .. فتأمن المعمورة وتسكن ..

وعليه فبقدر ما نبعد عن تعريف كلاوزفيتز ونقترب من تعريف كلا من ليدل هـارت وبـوفر .. ونختلـف معهمـــا .. فالهـــدف الحقيقي ليس الســـعي إلى المعركـة بقـدر السـعي لخطـاب العقـل والـروح وتزكية النفس لإدخالهم في الدين .. والسعي أيضا لبناء موقف موات لتحقيـق الحسـم سـواء حـدثت معركـة أم لا .. وكمـا قـال الحكيم الصـيني صـن تـزو[88] " إن إخضـاع العـدو دون قتـال هـو قمـة المهـارة " .. قـال ﷻ { ادْعُ إِلِى سَـبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وَجَـادِلْهُم بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ إِنَّ رَبَّكَ هُـوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَـلَّ عَن سَـبِيلِهِ وَهُـوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَـدِينَ {125} النحل .. وقال ﷻ { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُـونَ الدِّينُ لِلّـهِ فَـإِنِ انتَهَـواْ فَلاَ عُـدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ {193} البقرة .. وعن جابرُ بنِ عبدِ اللّهِ قال: قـال رسـولُ اللّـــهِ ﷺ: «أُعطِيتُ خَمســـاً لم يُعطَهُنَّ أَحَـــدٌ مِنَ الأنبِياءِ قبلي: **نُصِرتُ بـالرُّعبِ مَسـيرةَ شَـهرٍ**، وَجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسـجداً وَطَهـوراً، وَأَيُّمـا رَجُـلٍ من أُمَّتي أدرَكَتْـــهُ الصـــلاةَ فلْيُصـــلِّ، وَأُحِلَّتْ ليَ

[88] صـن تـزو: جـنرال وحكيم صـيني (٥٥١ - ٤٩٦ ق م) قـاد الجيـوش وحقق الانتصارات العظيمة كتابه المعنون"فن الحرب" يعتـبر مرجعـا لا غنى عنه لأي دارس أو ممارس لأمور الحرب أو السياسة ..

الغَنائمُ، **وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قَوْمِهِ خاصَّةً[89] وَبُعِثتُ إلى الناسِ كافَّةً**، وَأُعْطِيتُ الشَّفاعةَ» رواه البخاري .. وقال { سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ {151}ـ آل عمران .. وفي تفسير قول الله { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ {60} الأنفال .. تحمل الآية توجيها استراتيجياً عميقاً ورائداً فتحدد الرؤية السياسة في بناء المؤسسة العسكرية في ضوء المهام المراد تحقيقها سواء دارت رحى الحرب أم لا .. وهي تمثل مذهباً عسكرياً راقياً .. فمهمة القوة[90] بمفهومها العسكري والعام في الإسلام ليس الإفناء ولا الإبادة ولا اغتصاب مقدرات الشعوب

---

[89] بيان أن رسالة عيسى عليه السلام كانت لقومه فقط .. وفساد القول بإرساله تلاميذه للعالم ..

[90] لا يمكن لأي دعوة أو منهج أو برنامج أن يحقق أهدافه دون وجود أسباب من القوة تنصر هذا البرنامج .. والدعوة الإسلامية على وجه الخصوص لن تصل إلى مراد الله دون السعي الحثيث لامتلاك أسباب القوة بما في الاستطاعة بلا حدود .. وليس امتلاكها فقط بل استخدامها والجرأة في ذلك إذا تطلب الأمر .. لتصل بالرعب إلى الردع المطلوب منها .. وتحقق الهيبة التي تؤتي ثمارها بالنصر في ميدان الصراع أياً كان نوعه .. بل واحتلال إرادة الخصم القتالية والفكرية وضمان تبعيته أو إبعاده عن الصراع أو إخراجه من مجال المنافسة الدعوية على عقل الإنسان على الكوكب .. إن امتلاك أسباب القوة بما في الوسع هدف حيوي لا يقبل بأي عبث فكري يدعوا إلى التثبيط أو التخذيل من امتلاك القوة .. فالإسلام دين السلام .. نعم .. ولكنه السلام المبني على قوة الحجة والبيان والسلاح .. فما لا يردع بالقرآن يردع بالسلطان ..

وإنما "ابتداءً بتأمين الذين يختارون هذه العقيـدة[91] على حريتهم في اختيارها .. فلا يصدوا عنهـا .. ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها .. وثانياً: أن ترهب أعـداء هـذا الـدين فلا يفكـروا في الاعتـداء على "دار الإسلام" التي تحميها تلـك القـوة .. ثالثـاً: أن يبلـغ الرعب بهـؤلاء الأعـداء أن لا يفكـروا في الوقـوف في وجـه المـد الإسـلامي وهـو ينطلـق لتحريـر "الإنسـان" كلـه في "الأرض" كلهـا .. ورابعـاً: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صـفة الألوهيـة فتحكم النـاس بشـرائعها هي وسلطانها ولا تعترف بأن الإلوهية للـه وحـده ومن ثم فالحاكميـة لـه وحـده سـبحانه" .. أهـ من الظلال .. بمثل هـذه القـوة في الخطـاب يجب أن تكون القوة في الوسائل .. وبمثل هـذه القـوة في الطـرح يجب أن تـأتي كلمـات الـدعاة .. فالنـاس أسرى لكل منطق فصيح قوي لا تلعثم فيه ..

ولا شك أيضا أن هذه القوة تفرض نوعا من الهيبة والحماية لدعاة الإسلام حين ينطلقـون في أرجـاء المعمـورة لهدايـة البشـر للإسـلام .. فلا يمنعهم أحـد .. ناهيـك على أن يعتـدي عليهم كـائن من كـان .. إن الهيبـة تفـرض على آذان المسـتهدَفِين بالدعوة نـوع من الاحـترام يجعلهم ينصـتون بتـدبر وتأمل لكل ما ينطق به الداعيـة .. مـا كـان لينالهـا الدعاة إلا بسبب القوة الـتي تطـل على رؤوسـهم في خلفية المشـهد .. قـال ﷻ { لَأَنتُمْ أَشَـدُّ رَهْبَـةً فِي صُـدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِـكَ بِـأَنَّهُمْ قَـوْمٌ لَّا يَفْقَهُـونَ {13}

[91] المصدر (في ظلال القرآن) بتصرف.

الحشــر .. فالقتــال[92] في الإســلام ليس لمجــرد الرغبة فيه ولكنه وفق أسس وضوابط ينطلق منها ليحقق مراد الله في عمارة أرضه فإن تحقق مراد اللــه بغــير القتــال أي من خلال الــدعوة .. أو من خلال قــوة الإســلام الناعمة[93] من خلال الســمعة الحســنة للإســلام الــتي تغلــف حركــة التجــارة

---

[92] نظرة الإسلام للكفار والمنـافقين لخصـها الإمـام ابن القيم في إطـار تلخيصه لسياق الجهاد في الإسـلام في "زاد المعـاد" في الفصـل الـذي عقده باسم:"فصل في ترتيب سـياق هديـه مـع الكفـار والمنـافقين من حين بعث إلى حين لقي الله عـز وجـل: أول مـا أوحى إليـه ربـه تبـارك وتعالى:أن يقرأ باسم ربه الذي خلق. وذلك أول نبوتـه. فـأمره أن يقـرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ. ثم أنـزل عليـه (يـا أيهـا المـدثر قم فأنذر) فنبأه بقوله: (اقرأ) وأرسله ب (يا أيها المدثر). ثم أمره أن ينــذر عشيرته الأقـربين. ثم أنـذر قومـه. ثم أنـذر من حـولهم من العـرب. ثم أنذر العرب قاطبة. ثم أنذر العالمين. فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوتــه ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية .. ويؤمر بـالكف والصـبر والصـفح. ثم أذن لــه في الهجــرة .. وأذن لــه في القتــال. ثم أمــره أن يقاتــل من قاتله .. ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله. ثم أمره بقتال المشركين حــتى يكون الـدين كلـه للـه. . ثم كـان الكفـار معـه بعـد الأمـر بالجهـاد ثلاثـة أقسام:أهل صلح وهدنة. وأهل حرب. وأهل ذمة. . فـأمر بـأن يتم لأهـل العهد والصلح عهدهم .. وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد؛ فإن خـاف منهم خيانـة نبـذ إليهم عهـدهم ولم يقـاتلهم حـتى يعلمهم بنقض العهد. وأمر أن يقاتل من نقض عهده. . ولما نزلت سورة بـراءة نـزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها:فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطــوا الجزيــة أو يــدخلوا في الإســلام. وأمــره فيهــا بجهــاد الكفــار والمنــافقين والغلظــة عليهم. فجاهــد الكفــار بالســيف والســنان .. والمنافقين بالحجة واللسان. وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبــذ عهودهم إليهم. . وجعل أهل العهد في ذلـك ثلاثـة أقسـام:قسـما أمـره بقتالهم وهم الذين نقضـوا عهـده ولم يسـتقيموا لـه .. فحـاربهم وظهـر عليهم. وقسما لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه .. فـأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم. وقسما لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه .. أو كان لهم عهد مطلق .. فأمر أن يؤجلهم أربعة أشـهر؛ فـإذا انسـلخت قـاتلهم. . فقتـل النـاقض لعهـده .. وأجـل من لا عهـد لـه .. أو لـه عهـد مطلق .. أربعة أشهر .. وأمره أن يتم للموفي بعهـده عهـده إلى مدتـه؛ فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيمـوا على كفـرهم إلى مـدتهم. وضـرب على أهل الذمة الجزية . . فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة

الإسـلامية أو الأمن والأمـان والأمانـة الـذين تحيـا فيهم المجتمعـات الإسـلامية .. أو من غيرهـا من الوسائل المتاحة والمشروعة كالحصار الاقتصـادي والضـغط النفسـي فهـو المـراد .. وإلا عمـدنا إلى تحقيق مراد الله بالجهاد في سبيل الله ..

أقسام: محاربين له .. وأهـل عهـد .. وأهـل ذمـة . . ثم آلت حالـة أهـل العهد والصلح إلى الإسلام .. فصاروا معه قسمين:محاربين وأهـل ذمـة. والمحـــاربون لـــه خـــائفون منـــه. . فصـــار أهـــل الأرض معـــه ثلاثـــة أقسام:مسلم مؤمن به. ومسالم له آمن. وخائف محارب. . وأما سيرته في المنافقين فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله .. وأن يجاهدهم بالعلم والحجة .. وأمر أن يعرض عنهم .. ويغلظ عليهم .. وأن يبلغ بـالقول البليـغ إلى نفوسـهم؛ ونهى أن يصـلي عليهم .. وأن يقوم على قبورهم؛ وأخـبر أنـه إن اسـتغفر لهم فلن يغفـر اللـه لهم . . فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين" . . انتهى.

[93] القوة الناعمة هي قوة الثقافة الإسلامية وقوة حضارته الـتي تنسـاب بهدوء لتتغلغل في نفوس سـاكني الكـوكب .. وتتقبلهـا النفـوس برضـا دون امتعـاض أو شـك .. فتشـرع في تقليـد المسـلمين في لباسـهم وأسلوب حياتهم وأخلاقهم وعاداتهم وتعلم لغتهم وحتى اعتناق عقيدتهم ... الخ ..

وحـــتى الجزية[94] الـــتي يفرضـــها الإســـلام على المعاندين الرافضين[95] للـدخول فيـه .. فـإن كـانت تؤخـذ في الظـاهر من أجـل تـأمين إقـامتهم في الدولة الإسلامية .. إلا أنهـا فرصـة زمنيـة من قبـل الله لهم ليعايشوا المسلمين ويراجعوا رؤيتهم لهم ولمبادئ دينهم لعلهم يسلمون .. فهي مهلة زمنيـة

---

[94] أحد بنود عقد الذمة مـع أهـل الكتـاب .. وهـذا العقـد يقـوم بـه إمـام المسلمين أو من ينيبه عنه .. يقول الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه " أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام " يتولى الإمـام أو نائبـه إبرام هذا العقد مـع غـير المسـلم، فلا يصـح من غيرهمـا، وبهـذا صـرح الفقهاء من الشافعية والمالكية والزيدية والحنابلـة وغـيرهم حـتى قـال صاحب المغني لا نعلم فيه خلافاً ..

ثم أورد الـدكتور عبـد الكـريم زيـدان في هـامش هـذه الفقـرة خلاف الأحنـاف فقـال: ولكن الحنفيـة يخـالفون في هـذا فعنـدهم يجـوز لغـير الإمـام أن يعقـد الذمـة مـع غـير المسـلم .. فقـد جـاء في العنايـة على الهداية جـ 4 ص 300: (فإن الحربي إذا عقد عقد الذمة مع العبد وقبل الجزية وقبل العبد منه هـذا العقـد صـح هـذا العقـد والقبـول من العبـد ويصير - أي الحربي - ذمياً باتفاق) .. وعلل الحنفية هذا القول بأن عقد الذمة خلف عن الإسلام فهو بمنزلة الدعوة إليه، لأنـه مفـروض، فتجب إجابة من طلبه، لأن الله تعالى جعـل نهايـة قتـال الحـربي بقبـول عقـد الذمة، كما تصرح آية الجزية، وفي عقد الذمة لهم إسقاط الفـرض عن الإمام وعن عامـة المسـلمين .. الهدايـة وفتح القـدير جــ4 ص 300 – 301 ..

والراجح هو ما قاله الجمهور، لأن عقد الذمة عقد مؤبـد، يصـير بـه غـير المسلم من أهل دار الإسلام، وتلتزم الدولة قبله بالتزامـات كمـا يلـتزم هو قبلها بالتزامات، فكان لا بد أن يتولاه الإمام أو نائبه لأن الإمام يمثل الدولة، فليس لآحاد المسلمين الافتآت على حق الإمـام في إبـرام هـذا العقد .. أهـ من كتاب " أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسـلام " للدكتور عبد الكريم زيدان ..

[95] هذه هي الرؤية الإسـلامية لمن لا يـدينون دين الحـق .. دعـوة وجهـاد وعقوبـة ماليـة لعلهم يؤمنـون ويلـتزمون بـدين الحـق يحلـون حلالـه ويحرمون حرامه .. قال ⏮ { قَـاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُـونَ بِاللّـهِ وَلاَ بِـالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ {29} براءة ..

مفتوحة ولكنها مدفوعة الثمن في إطار برنامج الدعوة .. ومتى ما أسلموا رفعت عنهم ..

والإسلام لا ينظر فقط إلى الوضع الراهن ولكنه يستشرف ما يجب أن يكون عليه المستقبل .. ولا يكتفي بتصنيف حالة السلم التي تلي الحرب .. وتصنيفات المجتمعات والأنظمة التي أفرزتها الحرب .. ولكنه يحدد كيفية التعامل معها ويوجه حياتها .. في ضوء ما ذكره ابن القيم في تلخيصه السابق.

***

<u>وعود لموضوعنا فإننا نخلص للآتي:</u>

1- الأهداف التي يجب أن تحققها الإستراتيجية الإسلامية لم يضعها أحد من ساكني الأرض وهي متحررة من العقل الآدمي .. فهي أمر من الله وإلزام لهم بالعمل على تحقيقها .. وأن يأخذوا في سبيل تحقيقها بما في الوسع .. بوسائل دعوية أو جهادية أو غيرهما .. أما نتائج هذا العمل من توفيق أو دونه فمرده إلى الله .. قال { ... قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ... {154}_ آل عمران .. وقال { إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ {3} يونس ..

2- أن مجال الإنسان المسلم فيها هو العمل على وضع الإستراتيجية التي تحقق هذه <u>الأهداف</u> ..فالإستراتيجية عملية ذهنية قائمة على

واقع يتيح لنا وسائل وإمكانات نسعى من خلالهما لتحقيق أهداف الرسالة .. وبتعبير مستحدث هي خطة السياسة العامة للوصول إلى أهدافها من خلال معرفتها بواقعها وإمكاناته .. وتوظيف وسائلها المناسبة .. وبقدر ما تعددت الوسائل المتاحة بقدر ما جاءت الإستراتيجية قوية ومؤثرة.

3- مجال الإستراتيجية هو كافة الموارد المتاحة للأمة من عناصر قوتها البشرية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية والأمنية والدعوية والنفسية والدبلوماسية والجغرافية والتاريخية والدينية وهي الإمكانيات المتاحة أمام الساسة أو ما يمكن تسميته بوسائل السياسة التي يجب العمل على تقويتها. وكما أن هناك إستراتيجية عسكرية فهناك إستراتيجية اقتصادية وإعلامية و و....الخ .. والتي تتكون منها مجتمعة الإستراتيجية العامة للدولة.

4- في الإستراتيجية لا يكفي أن نتعرف على مواردنا وإحسان إدارتها فقط .. بل يجب أن يكون حاضرا في الإستراتيجية قدرات الخصم أو المنافس .. وليس مجرد التعرف على عناصر القوة والضعف للخصم في نفس المجالات الإستراتيجية ولكن دراسة هذه العناصر بعمق للعمل على التفوق عليها ومن ثم تأهيلها للهزيمة في الصراع .. سواء من خلال وسيلة الحرب أو أي وسيلة أخرى .. وسواء تم ذلك من خلالنا أو من خلال عوامل خارجية قمنا بدعمها أو حتى من داخل معسكر الخصم بالعبث بتركيبته الاجتماعية وهز وحدته السياسية الداخلية أو إضعاف بنيته

الاقتصادية .. فالنصر على الخصم ليس بالضـرورة أن يكون عسكرياً فـإن انهيـاراً داخليـا يـؤدي نفس النتيجة وبتكلفة أقل بكثـير من تكـاليف وتضـحيات العمل العسكري فإن لم يهزم فعلى الأقل إضعافه وإخراجه من ساحة الصراع أو المنافسة من أجــل هدايته أو للقضـاء عليـه في مرحلـة تاليـة بحسـب لينه وعناده.

5- إن عملية وضع الإسـتراتيجية مـا هي إلا عمليـة البحث عن أفضــل الأســاليب والطــرق والأدوات لتحقيق الأهداف التي تم تحديـدها .. على مراحــل متتاليــة وبكفــاءة تنفيذيــة مرنــة مــع الأحــداث والوقت .. سواء كانت إستراتيجية تنموية أو كـانت تغيرية .. ولفهم ذلـك وعلى افـتراض كونهـا خطـة تغيريــة " أي للســلطة " فليس بالضــرورة أن تتم إدارة الصـراع بـالحرب فقـط .. ولكن من المؤكـد حتميــة القتــال في مرحلــة لاحقــة .. إذ مــا يمكن تغيره بالكلمة لا يستخدم فيـه العصـا .. ومـا يـأتي بتــــأليف القلــــوب ببعض المــــال أحقن لــــدماء المسـلمين .. ومـا تفعلـه القـوى الناعمـة أرضـى للصــدور من نــار الحــرب .. ومــا يــترتب على الاحتكاك التجاري من نشـر الأخلاق والآداب يمثـل عــدوى ثوريــة .. ومــا تفعلــه منــاورات الحصــار الاقتصادي من إرهاق للخصم يساعد على تفتيته .. وما يتولد عن امتلاك الأسلحة النوعيـة من إرهـاب يردع هواجس القادة .. وعليـه فليسـت الحـرب أو الكفاح المسلح وحدهما وسـيلة الصـراع .. لكنهمـا جـزء رئيسـي منـه لا غـنى عنهمـا ولكن يسـتخدما

بالقـدر المناسـب وفي الـوقت المناسـب حالهمـا كحال أي دواء .. وأوراق الضغط وإضعاف الخصـم وعزله كثيرة ووسائل السياسة[96] متنوعة تسـتخدم المناسب منها في الوقت والمكان المناسبين ..

ومن المؤكد أن الـدعوة بالكلمـة وتـأليف القلـوب والقوى الناعمة ستكون محدودة الأثـر مـا لم تكن تستند على قوة عسكرية تؤدي هيبتهـا إلى دعمهم وتقويـة وحمايـة تحـركهم .. وبـدون هـذه القـوة العسـكرية لا تحـترم الأمم وتكـون نهبـاً لغيرهـا .. والعلاقة متشـابكة وكـل الوسـائل لا تـؤدي دورهـا بدون غيرها .. وعوامـل عمليـة التغـير من التعقيـد بحيث يتعذر على أي دراسـة أن تحصـرها وتصـنف الروابط بينها ..

أضف لهم قوة الاقتصاد الـذي يسـمح ببنـاء القـوة العسـكرية والإنفـاق عليهـا وعلى مـا يصـاحبها من أعباء .. ولقد جمع الله سـبحانه وتعـالى في كتابـه الكريم بين المال والنفس في قرابة عشر مواضـع من القـرآن لم تقـدم فيهـا النفس على المـال إلا مرة واحدة فقط .. وذلك لبيـان أهميـة المـال في البناء والحرب .. قال ﷻ { لَـكِنِ الرَّسُـولُ وَالَّذِينَ آمَنُـواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {88} براءة ..

6- نؤكـد على أن الحـرب هي واحـدة من وسـائل السياسة التي تلجأ إليها عند الحاجة لتحقيـق منـاخ أفضـل لاسـتمرار العمـل السياسـي (الـدعوي)

[96] - السياسة هي علم وفن إدارة الصـراع في كافـة المجـالات .. وقيـل إنها فن الممكن .. وهي تعتمد على تحقيق المصالح ..

وبمفهـوم أدق " إزالـة العراقيـل الـتي تمنـع تقـدم الرسالة " .. وهذا يكون في حالات القـوة أمـا في حالات الضعف فالحرب عادة ما تكـون ذات هـدف محـــدود[97] في انتظـــار انقلاب مـــوازين القـــوة أو تساويها .. وقـد توقـف القيـادة السياسـية الحـرب لتستخدم وسيلة أخرى دعويـة أو اقتصـادية تحقـق أهدافها بتكاليف وتضـحيات أقـل .. لكن القيـادة لا توقف بحال من الأحوال عملية الإعداد للحرب ..

7- أن مـا يعقب حالـة الحـرب ليس بالضـرورة أن يكـون نصـر أو انتمـاء للإسـلام أو إقـرار بالجزيـة فربما تكـون هدنـة تمـارس خلالهـا وسـائل أخـرى للوصـول إلى هـدف السياسـة .. فحالـة السـلم أو التــوتر الــتي تعقب الحــرب ترتبــط بمــدى القــوة والضعف الذي خرج به كـل معسـكر .. والـذي قـد يفرض نمط تعايش مستحدث حتى تتـوفر شـروط جديدة تغير من شكل الخريطة مرة أخرى .. وهنـا تأتي الرؤية الإستراتيجية المرنة التي تؤهل نفسـها للعمـل على كافـة الاحتمـالات الـتي تسـفر عنهـا الحرب.

***

العلاقات والفواصل بين الأهـداف والاسـتراتيجيات والتعبئة والتكتيك:

[97] إن السبب الذي يدعو القيادة السياسة إلى استخدام إستراتيجية ذات هدف محدود هو انتظار الانقلاب في موازين القوى ويتم الحصـول على هذا الأمر بإنهاك العدو علما بأن الوخز بالإبر المتعاقبة تضعف أكـثر من الصدمات الكبـيرة ذات النتـائج غـير الحاسـمة .. على أن يكـون إنهـاك العدو خلال هذه الـوخزات أكـبر من إنهـاك قواتنـا .. ونموذجـه المثـالي حرب العصابات.

الأهداف:

هي الغاية المنشودة من سعي الأمة في الأرض .. والتي تم توجيهها إليهـا من القيـادة السياسـية في البلاد .. والأهـداف بهـذا الشـكل عامـة .. وقـد يتم الوصـول إليهـا عن طريـق أهـداف مرحليـة تبنتهـا مراحل الإستراتيجية ..

وقد بينا من قبل أن الأهداف العامة لأمة لا إلـه إلا الله هي: تصحيح الانحراف العقدي للبشرية وإتباع شـريعته .. وإقامـة العـدل الاجتمـاعي بينهم .. وحراسة[98] وجود المؤمنين وحفظ أموالهم وتـأمين انطلاقتهم في الـدعوة .. وصـيانة العقـول من الشـبهات والسـلب وتحريـر عقـول البشـر بإزالـة العوائق[99] لتسـهيل الاختيـار .. وعمـارة الأرض بحسن اسـتثمار المقـدرات على الكـوكب .. وبينـا أنه تم توجيهنا إليها من خلال الخالق ﷻ ..

من سمات وخصائص الأهداف:

1- والأهـداف يجب أن تكـون واضـحة غـير مبهمـة ومنتفي عنهـا التنـاقض لتنجح مهمـة واضـعي الإستراتيجية في الاختيـار بين الوسـائل المتاحـة .. فلا يصح أيضاً أن يكون الهدف ضبابيا يجعل اختيـار وسائل تنفيذه تتضـارب فيمـا بينهـا .. ولا يصـح أن

[98] جهاد الدفع ..

[99] سواء من خلال دعوتهم بالحكمة والموعظة والحجة والبيـان .. أو من خلال القوة الناعمة .. أو الحركة التجارية .. أو من خلال عقد الذمة وما يتبعه من اختلاط ومعايشة .. أو من خلال جهـاد الطلب .. أو غـير ذلـك من الوسائل التي تؤدي لتحرير عقولهم للاختيار ..

يكون الهدف فضفاض يحتمل الكثير من التـأويلات فيتصرف المنفذون كلٌ بحسب فهمه واجتهاده ..

2- الشمول والتكامل: عادة ما يكون بين الأهـداف هدف أعلى ينضوي فيه معاني الأهـداف الباقيـة .. وتعمــل معــه بقيــة الأهــداف بانســجام لتصــل للتكامل .. كما يجب أن يكـون الشـمول والتكامـل أيضـــاً بين الأهـــداف والقطاعـــات المختلفـــة .. وبالتنسيق الداخلي بينها ..

3- واقعية الأهداف أي أنها حقيقية وليسـت ضـرباً من الخيـال لا يمكن تحقيقهـا .. مـع وضـع ضـابط مهم وهو مـدى إمكانيـة تحقيـق الهـدف في ضـوء الإمكانات المتاحة أو المتوقع عمليا الحصول عليها في مرحلـة لاحقـة لوجـود أرضـية تسـمح بـذلك .. وبالتالي تنفيذها سواء في المرحلة الحاليــة أو في مراحــل لاحقة[100] عنــد تهيئــة منــاخ يســاعد على نجاحها ..

4- أن تلــبي طموحــات النفس البشــرية الســوية الباحثـة عن الأمن والاسـتقرار لمعتقـدها ولحياتهـا ولأموالها أثنـاء مسـيرتها العمريـة .. على مسـتوى الفرد ومستوى الأمة ومستوى البشرية .. فلا يصح

---

[100] الإسـلام يتـدرج بالبشـرية من هـدف لأخـر حـتى تكتمـل منظومـة الأهـداف .. ومن خلال مراحـل زمنيـة تقبـل خلال مسـيرتها العقـول البشرية تمام الانقياد لمراد الله .. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللّـهِ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ. فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ الله عَزَّ وَجَلَّ. فَإِذَا عَرَفُوا الله، فَـأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللـه فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَـوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ. فَـإِذَا فَعَلُـوا، فَـأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَـاةً تُؤْخَـذُ مِنْ أَغْنِيَـائِهِمْ فَتُـرَدُّ عَلَى فُقَـرَائِهِمْ. فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ». متفق عليه ..

أن تلبي شهوات شريحة أو تميز طائفة دون سـائر البشر ..

5- كمـا أن هـذه الأهـداف تخضـع لعمليـة مخـاض دقيقـة تمتـاز بحساسـية شـديدة وفـق المنظـور الإسلامي لتكون قابلة للتنفيذ في الواقع .. عمليـة المخـاض[101] هـذه صـالحة للتطـبيق حـتى على مستوى القرارات التنفيذية وفي هذا المقام سوف أوجز المقصود منها على الرغم من حاجتها لكتـاب خاص وكل بند لباب كامل:ـ

[101] - يمكن الكتابة في هذا الموضوع على أكثر من مستوى ووفق وجهة النظر المطلوبة .. خاصـة فيمـا يتعلـق بإنشـاء الإسـتراتيجيات أو تنفيـذ القـرارات .. أي مـا يتعلـق بعمليـة الإعـداد والبنـاء والتجهـيز .. وكـذلك التنفيذ وما يترتب عليه ..

أ- المخــاض الشــرعي[102] الــذي يبحث في ســلامة هذه الأهداف وموافقتها للشريعة الإسلامية ..

ب- المخـــاض السياســـي يبحث في المـــآلات من وراء هذه الأهداف حاليا ومستقبلا ..

جـ- المخاض الاقتصـادي وهـو القـدرة على تحمـل نفقات تنفيذ الأهداف وما يـترتب على تنفيـذها من أعبـاء وتبعـات ماليـة إضـافية غـير منظـورة .. قـد

[102] - تحدث الأخ أبو مصعب السوري فك الله أسـره في هـذا الموضـوع في سلسلة محاضـرات .. وقصـره على المسـار الشـرعي والسياسـي والعسـكري .. وللأخ أبـو مصـعب سـفر ضـخم يتنـاول قضـية المقاومـة الإسلامية بإسهاب .. وأحببت أن أشير عليه "لو أنه انتقى منه ملخصات تناسب نفسـية شـباب الألفيـة الثالثـة تتنـاول الموضـوعات الـتي تشـبع طموحهم .. فتصلهم فائدته" .. وليبقى السفر كمـا هـو تأريخـاً للتجربـة الجهادية ورؤية للتغيير .. تماماً كسفر المهندس مصطفى حامد "ثرثـرة فوق سقف العالم" تأريخاً للتجربة الأفغانيـة ودور العـرب فيهـا .. إلا أن المهندس مصطفى حامد خـط للأمـة كتـاب حـرب المطاريـد أودع فيـه خلاصة تجربته الجهادية .. وإن كنت أختلف معـه تمامـا فيمـا ذهب إليـه من مقارنـة بين القاعـدة وحـزب اللـه اللبنـاني .. لعـدم وجـود أرضـية للمقارنة بينهما لا في النشأة ولا العناصر ولا الهدف ولا الإستراتيجية ولا التكتيك ولا المرجعيـة ولا ميـدان الحـرب ولا العـدو ولا المنـاخ المحيـط بكل منهما ولا الدعم والتمويل ...الخ .. فالمقارنة كان هدفها إيضاح مــا كـــان بين المهنـــدس والشـــيخ أســـامة بن لادن من اختلاف في إدارة الصراع .. وهو الاختلاف الذي يقوم عادة بسبب رؤية كل منهمـا لتنفيـذ ما كان متفقاً عليه وهذا أيضا يرجـع لنـوع المسـؤولية الـتي كـانت على عاتق كل منهما .. وتقديره لما هو متـاح .. فالمهنـدس مصـطفى حامـد مستشـار وخبـير ورجـل مجـرب ولكنـه لم ينضـوي يومـا تحت رايـة أي تنظيم أو جماعــة وبالتــالي يغيب عنــه الكثــير من التعقيــدات الــتي تصاحبها .. والشـيخ أسـامة بن لادن أمـير ومسـؤول لديـه هيئـة أركانـه ويقود جماعة لها خصوصيتها تبنت توجها تغييريا منضبطا تلقتـه القلـوب الحرة في أوطانها بالقبول وانطلقت به .. وبعيداً عن كل ذلك فقد جمع بينهمـا الحب والإخلاص والاحـترام خلال مسـيرة طويلـة امتـدت من (1979 وإلى 2001) حيث سـافر المهنـدس وابتلي وسـجن في إيـران ومن ثم عاد إلى ديـاره .. وبقي الشـيخ في ميـدان المعركـة حـتى لقي ربه .. تقبل الله منهما .. وغفر لهما ..

تسقط العمل كله .. على سبيل المثال لتنفيذ عملية عسكرية فإنها تحتاج إلى نفقات مباشرة .. وقد تحتاج لنفقات لم تكن في الحسابان أثناء الإعداد لتنفيذ العملية .. وبعد التنفيذ تظهر نفقات وتكاليف جديدة كرد فعل لتطورات ما بعد العملية .. (التأمين .. التهجير .. العلاج .... الخ) ..

د- المخاض الاجتماعي يبحث في دور المجتمع ومشاركته وحضوره وعن قدرة المجتمع على تحمل عبء تنفيذ هذه الأهداف وما يترتب عليها لأنها تمر من خلاله .. وهل قام التنظيم بدوره في توعية المجتمع[103] وتحضيره للصراع؟ .. فعلى الرغم من الأهمية العظمى لهذا البند إلا أن هناك إهمال كبير لإعلام ولإعداد الأمة .. بل قد يغيب هذا الدور تماما عن كثير من المنتسبين للتيار الجهادي عندما يسعون للتغيير في أقطارهم ..

وإن كانت القاعدة سعت لإعلام الأمة وتحريضها وتوعيتها بالصراع القائم وبيان حقيقة عدوها وخبثه وبينت أصنافه ورتبت أولويتها وبينت طريق التغلب عليه .. لكن تظل هناك مساحة كبيرة من الأمة

[103] يجب أن نفرق بين إعلام المجتمع وقبول المجتمع .. فتوعية المجتمع وتعليمه وتثقيفه جزء مهم من الصراع .. أما أن يقبل المجتمع كله بالفكر والتغيير فهذا محال لم يقل به أحد ولم يتحقق حتى لأنبياء الله .. بل أكثر من ذلك فمنذ انحراف العقيدة في فجر التاريخ والناس لم يتفقوا إلى يومنا هذا على عبادة إله واحد .. فأنى لأحد عاقل أن ينتظر تحرك المجتمع كله معه .. وإنما يكتفي من ذلك بنسبة تعمل كبؤرة تغيير تلهم المجتمع وتكسب تعاطف جزء وقبول جزء وتواجه الجزء الأخير بما لديها من وسائل إقناع أو إخضاع .. ورضي الله عن عمر حين قال لو كنا فيها – أي مكة - ثلاث مائة لتركتموها لنا أو لتركناها لكم ..

تشوش عليها الأنظمة الحاكمة وتضللها .. فلا يجب إهمال هذه الشريحة من التوعية والتحريض.

هـ- المخاض الأمني الذي يبحث ردود الأفعال العدائية على مستوى المحيطين الداخلي والخارجي .. والحلفاء والأعداء .. الظاهرين والمخفيين .. والتي قد تشل ردود أفعالهم البرنامج برمته أو تنهيه .. فدور المخابرات لا غنى عنه في تأمين الأمة .. والحكيم من ينظر في عواقب الأمور.

ز- المخاض العسكري وهو متعلق بالقدرة التنفيذية لقواتنا هل نقدر أم لا .. وليس المقصود هو الإعداد والقيام بمعركة عسكرية واحدة وإنما بالحرب ككل طالت أم قصرت .. والصراع قائم ومستمر إلى يوم القيامة .. وتضحيات الأمة وجهادها ماض إلى يوم القيامة .. والحكيم[104] من أعد ورتب ونظر في العواقب وأقدم على العمل متوكلا على الله وترك حصاد الأمر له سبحانه.

الإستراتيجية العامة:

يقول الجنرال الفرنسي أندريه بوفر عن مفهوم[105] الإستراتيجية أنه نمط من التفكير .. برغم تعقيده .. أن يكون بمثابة مرشد عملي لتحقيق غايات السياسة على خير وجه .. وخاصة لتفادي

[104] فكما قيل إن مهمة ربان السفينة أن يصل بها إلى تمام رحلتها التي من أجلها صنعت بأقل أضرار ممكنه .. ولو كان الهدف الحفاظ عليها فقط فليبقها في الميناء .. وهكذا القادة العظام يسعون بأمتهم ومناهجهم لريادة البشرية مهما كانت التضحيات والمخاطر والمشاق ..

[105] أندريه بوفر: مدخل إلى الإستراتيجية ..

الأخطار الجسيمة التي يُظهر لنا التاريخ الحديث أمثلة عديدة منها .. أهـ

ومن خلال ما سردناه آنفاً نلاحظ أن الإستراتيجية هي: « **خطة تحقيق الأهداف .. بالبحث ودراسة كافة الوسائل الممكنة لاختيار أفضلها .. في ضوء الموارد المتاحة .. واستخدامها بانسجام بواسطة كافة الإدارات** » .. ولكن الأهداف بطبيعتها تنحاز لمجموعة من الوسائل .. والأهداف لا يمكن تحقيقها بدون الانسجام بين كافة الإدارات وتكامل أدوارها .. فمن الوسائل مثلا الحرب وهي تخضع للإدارة العسكرية التي يجب دعمها من الإدارات الأخرى وخاصة الإدارة الاقتصادية .. وهكذا .. ويمكننا استبدال كلمة إدارة بقيادة أو وزارة ..

أما مسؤولية وضع هذه الأهداف واختيار الوسائل وتحقيق الانسجام بين الإدارات المختلفة وتوزيع الأدوار بينهم فهي مهمة القيادة السياسية العليا[106] في الدولة .. الذين يبحثون عن أفضل الأساليب والطرق والأدوات لتحقيق الأهداف وهذا هو جوهر الإستراتيجية ..

ومسؤولية تنفيذ هذه الأهداف تقع على عبء الإدارات التنفيذية المختلفة كلا بحسب دوره

[106] من المهم أن نلاحظ أمرين الأول القيادة السياسية تتخذ قراراتها على ضوء المعلومات والدراسات المقدمة لهم بواسطة الخبراء والمتخصصين .. الأمر الآخر في الدولة الإسلامية عندما نتكلم عن الأهداف العامة وليس المرحلية فإن الآمر بها هو الله ﷻ .. أما ما يمكن أن نصطلح عليه بالأهداف المرحلية فهي خاضعة لاختيارات القيادة السياسية ..

فيهـا .. وأيمـا إدارة أو قيـادة تنفيذيـة مثلاً (القائـد العسكري العام) وجدت شـحاً في الوسـائل الـتي تحت يـديها .. فمن حقهـا التنبيـه .. فـإن لم تؤخـذ رؤيتهـــا بعين الاعتبـــار فلهـــا رفض القيـــادة أو الاســتقالة .. دون أن يفــرض على قيادتــه العليــا الوسائل التي يجب أن توضـع تحت تصـرفه .. لأن في ذلــك خروجــا على حــدود اختصاصــه ..إذ أن مسؤوليته في حدود استخدام القوات المسلحة ..

ومن حق القيادة العليا أن تقوم باستبدال القيادات التنفيذية التي فقـدت ثقتهـا فيهـا .. ولكن لا ينبغي للقيـادة العليـا أن تقـوم بتكليـف مـا ولا تـوفر لـه مقومـات نجاحـه .. أو تقـوم بعرقلـة عمـل القائـد التنفيــذي بالتــدخل في اســتخدام أجهزتــه .. أو بتجريده من بعض وسائله .. إن واجبهـا هـو تحديـد طبيعـة مهمتـه بكـل وضـوح وتفسـح لـه المجـال للتنفيذ ..

وعلى مســتوى العمليـــة العســكرية فالقيـــادة السياســية إذا وجــدت أن عــدوها يتمتــع بتفــوق عســكري عــام أو محلي في ميــدان من ميــادين العمليات فقد تقـرر تنفيـذ إسـتراتيجية ذات هـدف محدد .. وتستطيع القيادة السياسية أيضا أن تصــر على التريث حتى يتعادل تناسب القوى .. ويمكنهـا تأخير الجهود العسكرية أو إيقافها نهائيا في انتظار نتيجـة حاسـمة لعمـل اقتصـادي أو دعـوي .. كمـا يمكنها اعتبار تدمير قوات العدو عملا يفوق قدرتها ولا يســتحق الجهــد الــذي يبــذل من أجلــه وأن

الوصول إلى هدف سياستها ممكن بتكتيك أخــر أو المساومة عليها خلال مفاوضات الصلح.

وخلاصة القول أن القيادة السياسية هي التي تأخذ قرار الحرب بدأ وانتهاءً وتعمل على انسجام كافــة أجهزة الدولة لخدمة المجهود الحــربي .. والقيــادة العســكرية: تقــدم توصــياتها في البــدء والانتهــاء .. وتقوم بالإعداد والتحضير للحرب .. وإدارة الحــرب وتنفيذها باستخدام القوات المسلحة وفق المهمــة المحددة.

من الجمل البديعة التي أعجبتني تشبيه المنــاورات السياســـية أو العســـكرية ووســـائلهم المتبادلـــة بظاهرة المد والجزر[107] .. فالإقدام أو الإحجام في المناورات السياسة يؤتي ثمــاره إذا اســتخدمنا أي منهمــا في الــوقت الصــحيح .. والــدفاع أو الهجــوم كلاهمـــا يـــأتي ثمرتـــه إذا اســـتخدم في الـــوقت المناسب .. فالدعوة والجهاد كلاهمــا يــأتي بثمرتــه إذا استخدمناه في الوقت المناسب ..

من الملاحظات السابقة وغيرها يتــبين لنــا الســبب في أن الإســـتراتيجية يجب أن تكـــون صـــلبة[108]

[107] للأســف لا أذكــر نص العبــارة ولا قائلهــا .. ولكنهــا من العبــارات المشهورة سواء عند الساسة أو العسكريين ..

[108] المقولة المشهورة " صلابة الإستراتيجية و مرونة التكتيـك " لا تعـني الجمود فإجراء التعديلات أمر وارد في كـل الأحـوال ولكن التعـديل في الإستراتيجية يكون في التفاصيل غير الجوهرية إذا كـان العمـل قـد بـدأ بالفعل لأن إجراء تعديل جوهري في الإستراتيجية أثناء العمل التنفيـذي له نتيجة واحدة: هي الفشل .. تعديل التكتيك أمـر أكـثر مرونـة بـل هـو مطلوب دوما وهناك أساليب في التنفيذ التكتيكي شائعة يتبعهـا الجميـع أي تقليدية وهناك طرقا يبتكرها المنفذون المبـدعون .. وتسـمى طرقـا غير تقليدية .. من كتاب حرب المطاريد للمهندس مصطفى حامد ..

والتنفيذ مرن ..

هدف الإستراتيجية:

هل تهدف الإستراتيجية الإسلامية أو تعمل وسائلها من أجل تحقيق أهـدافها العامـة إلى القضـاء على الخصـم وإبادتـه؟ .. أو إخضـاعه بـالقوة لمنهجهـا وسـلبه إرادتـه؟ .. أو تعمـل على اسـتعباده ونهب ثرواته؟ .. أم لتفتيت عناصر قوته وتعميـق عناصـر ضعفه وتحرير فكره؟ ..

مر أكثر من 1400 عام على ظهور الإسلام ووفاة النبي الخاتم محمد بن عبـد اللـه ﷺ .. ولم تسـطر البشـرية في تاريخهـا الحضـاري والعسـكري منـه على وجه الخصوص أن الإسلام انطلق في الأرض من أجــل إبــادة الجنس البشــري[109] أو اغتصــاب المقدرات أو قهره على اعتنـاق معتقـده .. ولكنـه حمــــل رســــالة الخــــير والحريــــة للبشــــرية من المعتقدات الباطلة .. وتحطيم قيود استعباد البشر لهم .. ولتحريـر عقـولهم من الأوهـام والهـواجس فيعبدوا الله الواحد الأحد .. وتصـبغ مسـيرتها إليـه ﷻ بشريعته .. ودربها بمنهجه ..

وبنــاء عليــه فالإســلام يعمــد في الــدعوة إلى إستراتيجية التفتيت فهو يناقش بقوة الحق العقائد المخالفة ويضعها أمام حقيقة ثابتة لا تتزحزح وهي الإقرار بربوبية الله وإنفراده بعملية الخلق .. وهـو ما لا أجد مخالفاً فيه بين بـني آدم وهم يقـرون لـه

[109] حينما فتح المسلمون بيت المقدس شبه سكانه الفاتحين بأنه أشـبه الناس بحواري عيسـى عليـه السـلام .. ومـؤخراً أطلـق المنصـفون من ساكني الغرب على الفاتح المسلم اسم الفاتح الرحيم ..

بذلك .. قال { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ {38} الزمر .. ويحسن البيان ورقته يدعوهم الإسلام ليعودوا إلى ربهم فيصرفوا له وحده العبادة دون سواه .. قال { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ {125} النحل .. وقال { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ {36}ـ النحل .. ثم يأخذهم الإسلام إلى ما فيه صلاح حياتهم بتطبيق شريعته ونهجه لينتشلهم من موبقات الأفكار البشرية والأطروحات الشيطانية .. قال { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ {15} يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {16}ـ المائدة .. ويحرر عقولهم وإرادتهم من كل سقف أو قيد يمنع من وصول الحق إليهم .. ليحسنوا الاختيار بين ما هم عليه ومنهج الله .. قال { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {265}ـ البقرة .. ثم يحترم إنسانية من خالفه ويعامله بمنتهى العدل والرحمة .. قال { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {8}ـ الممتحنة .. وحتى الذين

يرفضون منهجه ويعلنون الحرب عليه ويشنون عليه الغارات من أهل الكتاب .. يردعهم الإسلام بحزم وحينما يقهرهم يعقد لهم عهداً يصلح لهم حياتهم ويحترم حقوقهم خلال إقامتهم في دار الإسلام يؤدون ما عليهم ويأخذون ما لهم مدة حياتهم ووفائهم بالعهد .. قال ﷻ { قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ {29} براءة .. هذا هو الإسلام قوة في الحق .. ورحمة وتلطف وحسن بيان وحجة في الدعوة .. وعدل وبر مع المسالمين .. وحزم وقهر للمعاندين ..

وقبل أن نغادر هذه النقطة أحب أن أحرر بنداً غاية في الأهمية أدعوا به من خلال هذا الكتاب قارئه من غير المسلمين .. وألفِت به نظر الجميع إلى أن الإسلام هو الرسالة الإلهية العامة الوحيدة للبشرية جمعاء .. بخلاف أخواتها السماوية السابقة فاليهودية ما جاءت إلا لتحرير بني إسرائيل وإعادتهم على النهج القويم .. والنصرانية سارت على نفس الدرب[110] وأكدت على حقيقة حصرها ومحدوديتها ببني إسرائيل فقط .. ففي إنجيل متَّى[111] - وهو من الأناجيل المعتبرة لدى النصارى ويسمونها بالأناجيل القانونية[112] - فيه وصية للتلاميذ الاثني عشر توضح حقيقة قصر

[110] أتحدث هنا عن شرعية تبشيرهم بالدعوة النصرانية للعالم .. وليس عن التناقضات العقدية في كتبهم .. فليس هنا موضوعها .. وأردت لفت النظر إلى أهمية إستراتيجية التفتيت في كافة القضايا ..

[111] نسخة على الانترنت تحت كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت – الإسكندرية – مصر http://St-Takla.org

الدعوة النصرانية على بني إسرائيل فقط فيقول في الإصحاح العاشر: [5هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً:« إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. 6بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ »].

بل إن كاتب إنجيل متى يعود مرة أخرى ليؤكد هذا المعنى ويجزم به بما لا يدع مجالا للشك في قصة المرأة الكنعانية التي توسلت لنبي الله يسوع المسيح بن مريم عليه وعلى أمه الصديقة السلام ليداوي ابنتها من المس .. ففي الإصحاح الخامس عشر: [21ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. 22وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً:«ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». 23فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ:«اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» 24فَأَجَابَ وَقَالَ:«**لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ**»].

وفي إطار هذه التوجيهات الصارمة والحصرية بل إن بقية هذه القصة[113] تجعلنا جميعاً نمعن التفكير

[112] نحن المسلمون نعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه أن هذه الأناجيل والتوراة لا تمت بصلة لا من قريب ولا بعيد للتوراة الأصلية والإنجيل الأصلي بل إن هذه الأناجيل في أحسن الأحوال رواية أو قصة لم تكتب بإلهام أو وحي كتبها أناس لم يعايشوا نبي الله عيسى عليه السلام وإنما سمعوا عنه فقصوا هذه الخرافات وسموها أناجيل وحجم التناقض فيها يجعلها رواية ساقطة وغير محبوكة بالمرة ..

[113] تكملة قصة المرأة الكنعانية: [25]فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً:«يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!» [26]فَأَجَابَ وَقَالَ:«لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». [27]فَقَالَتْ:«نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا!». [28]حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ،

وبعمق في حقيقة الوجود الكنسي في الغرب والشرق على اختلاف مذاهبهم!! .. وما هو متحتم عليهم معرفته ودراسته والتأمل والتفكر فيه؟ .. فبدلا من محاربة الإسلام عليهم أن يدرسوا التوجيهات الإنجيلية والتوراتية فيما يتعلق بمشروعية الانتماء إليها .. ويخلص للحقيقة التي لا يخفيها الليل ولا النهار .. فالإسلام هو الدين الذي اصطفاه الخالق المعبود للناس جميعاً .. وألحق بهم الجن أيضاً .. قال ﷻ { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {158} الأعراف .. وقال ﷻ { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ {29} قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ {30} يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {31} وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {32} الأحقاف ..

فيا أتباع النصرانية ممن اعتنق هذه الديانة أو ممن أرسل أحداً ليبشر بها راجعوا وصايا كتبكم لتتحرروا مما كبلتم به أنفسكم .. ومن هذا المنبر

عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ. .. متى الإصحاح الخامس عشر .. والحقيقة أن القصة والأناجيل تحمل كماً كبيراً من التناقضات التي يشكك بصحة نسبتها للمسيح عليه السلام .. ولكن هذا الموضوع ليس من صلب محور هذا الكتاب .. ولكن أحببت الإشارة لفتح الباب للدعاة ليحاجوا أهل الكتاب وغيرهم بما في عقيدتهم من عوار ورحم الله الدكتور محمد جميل غازي وإخوانه من الدعاة في هذا الباب .. فقد كان موفقاً في هذا الجانب من الدعوة .. وفي غيره من الجوانب ..

المتواضع أدلكم بيقين أن الدعوة الوحيدة الصحيحة اليوم لهداية البشرية وقيادتها للخلاص هي الدعوة الإسلامية .. وأن الدعوة الموسوية والعيسوية الخاصتين ببني إسرائيل ما كان لهما إلا إتباع الدعوة المحمدية.

فحسب هذه الإرشادات فدعوة عيسى عليه السلام لبني إسرائيل فقط ووصيته لتلاميذه تؤكد أيضاً أنها لتصحيح انحراف بني إسرائيل فقط .. فلماذا تحرك الكنسيون ليمارسوا التبشير لغير بني إسرائيل؟!! .. بل هؤلاء (الكلاب) أصلاً ما كان لهم أن يدخلوا في النصرانية!! .. وما كان لهم (الكلاب) أن ينطلقوا بها للعالم!! .. وأن ما هم فيه (الكلاب) ليس إلا حيلة يهودية لاستعبادهم واستخدامهم لحمايتهم .. فهم ليسوا إلا كلاب حراسة .. وهذه مسألة ليست عسيرة على الإفهام ..

وعلى حين غرة .. يباغت كاتب الإنجيل الجميع في آخر فقرة من إنجيله .. بل في آخر عددين بما ينقد ما سبق وتحول الرسالة العيسوية من كونها محصورة في اليهود إلى الانطلاق نحو العالمية .. وهو ما يؤكد حقيقة المؤامرة التي نصبها اليهود على البشرية .. فليس من المقبول منذ نبي الله موسى عليه السلام وإلى أخر أنبياء بني إسرائيل لم تطلق الدعوة إلى العالم كله .. وكان الأولى أن يتم ذلك في حياته .. فكيف يتم ذلك بعد المعاناة والألم والموت والبعث على حد زعمهم .. فالمشهد الأخير في الإنجيل مشهد مسرحي

بامتياز .. والقصة كلها تميل إلى شكل أسطوري يناسب ما خطط له اليهود ..

فيقول كاتب إنجيل متى في إصحاحه الأخير وفي فقرة الختام: [16]وَأَمَّا الأَحَدَ عَشَرَ تِلْمِيذًا فَانْطَلَقُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى الْجَبَلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ يَسُوعُ. [17]وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ، وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ شَكُّوا. [18]فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً:«دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، [19]فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. [20]وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». آمِينَ.

فالمقبول للبشر وأي عاقل أنه لكي تنطلق للمرحلة التالية لا بد أن تنجح وتنهي المرحلة الأولى وهذا لم يتحقق في دعوة المسيح عليه السلام .. فدعوته بلغت لبني إسرائيل ووجهت بعداء شديد .. وأفضل تلاميذه أنكروه في أخطر اللحظات التي تظهر فيها معادن أتباع الرسل .. الذين سيحملون هم الرسالة من بعده .. وبالتالي فالدعوة لم ترقى بمن أرسل لهم (خراف بني إسرائيل الضالة) إلى مستوى تالي .. كما لم ترقى بمن يتحمل همها من بعده (تلاميذه[114] الذين فروا وتركوه ثم أنكروه .. تلاميذه الذين اتهمهم بقلة الفهم وضعف الإيمان) .. أنى لهم أن يحملوا أمانة للعالم كله .. هكذا وفي آخر لحظة له على الأرض يتبدل كل شيء ودونما مبرر معقول .. يتركوا بني إسرائيل وينطلقوا إلى عالم

[114] لمزيد من الاطلاع: تأملات في الأناجيل والعقيدة .. د. بهاء النحال ..

الكلاب .. هذا يثير الكثير من التساؤلات والشكوك .. فقصة الختام بالكامل تبدوا ملفقة والصحيح هـو ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابـه وجـاء على لسـان نبيـه محمـد ﷺ .. فالمسـيح لم يُصـلب بـل رفعـه اللــه إليــه .. وألقى شـبهه على واحــد من أخلص حواريـه وانتهى أمـره كمـا هـو مقـرر ودفن ولم يقم من الأموات .. وكان هـذا ملهمٌ جـداً فقـد انتقلت الرســالة من بـــني إســـرائيل إلى أمـــة جديدة .. [42]قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«**أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَـدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا!** [43]**لِـذلِكَ أَقُـولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُـوتَ اللــهِ يُنْـزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَــلُ أَثْمَــارَهُ.** [44]**وَمَنْ سَــقَطَ عَلَى هــذَا الْحَجَـرِ يَتَرَضَّــضُ، وَمَنْ سَــقَطَ هُـوَ عَلَيْـهِ يَسْحَقُهُ**!» .. يالها من نبوءة ملهمــة .. لقــد أثبتت التجارب المتتالية أن بني إسرائيل غير أمناء لحمل الرسـالة للعـالم أجمـع .. وأن هنـاك تكليـف لأمـة أخــرى (بــني عمهم إســماعيل الابن البكــر لأبيهم إبـراهيم) سـوف تحمـل هـذه الأمانـة وفـق منهج صالح إلى آخر الزمان ..

لكنهم اليهـــود .. اليهـــود تجـــار مهـــرة يحـــاولون الاسـتفادة من كـل شـيء حـتى ممـا يصـيبهم من كوارث ومصائب فهم ينظرون لكل الأحـداث الـتي تحيـق بهم ويطرحـون أسـئلة لهـا نتيجـة واحـدة .. كيــف نســتفيد من ذلــك؟ كيــف نــدير الــريح في اتجاهنا؟ إن قصة الصلب والفداء وتحويل شخصية

المسيح إلى وثن .. والترويج للفكرة خارج النطاق اليهـودي .. وبثـه بين أمم الأرض .. ويشـكلوا بـه عهداً جديداً .. إنها قصة تناسـب الوثنيـة الرومانيـة ويسـهل عليهـا تقبلهـا .. فعقـولهم صـاغت مـا هـو قـريب من ذلـك .. واسـتخدام معتنقيـه ليشـكلوا منهم خطوط للدفاع عن العهد القديم .. فاليهود لا يمكن لهم الاستمرار في الحياة وسـط بحـر الأمم مـع فسـاد معتقـدهم ولهـذا أجـادوا في تربيـة واستخدام الأمم الأخرى ككلاب حراسة تزود عنهم ..

وإذا فهم الغرب هذا لأدركوا بما ساقهم اليهود من عهـد شـاؤول بـولس الفيلسـوف اليهـودي الـذي حرف النصرانية وزادها ضلالاً وصرفها عن العبـادة والطهـارة وسـاقها إلى الإرجـاء .. ثم اسـتخدم الوافدين الجدد إليها لحماية وخدمة اليهود .. لا لأن ينقذهم من الوثنية الـتي كـانوا عليهـا فقـد أبـدلهم وثناً بوثن .. وسخرهم لمـآربهم .. ومـا كـان عليهم أن يتكلفـوا مشـقة كـل هـذا لـو فتحـوا قلـوبهم للإسلام .. ولكان العالم أكثر أمنـا وأفضـل حـالاً .. بعيداً عن أوهامهم وصراعهم الزائف ..

وخير تعقيب أنهي به هذه النقطة قولـه ﷻ: { فَبِمَـا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْـرِ حَـقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً {155} وَبِكُفْرِهِمْ وَقَـوْلِهِمْ عَلَى مَـرْيَمَ بُهْتَانًـا عَظِيمًـا {156} وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّـهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيـهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَـا لَهُم بِـهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَـاعَ الظَّنِّ وَمَـا قَتَلُـوهُ يَقِينًا {157} بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْـهِ وَكَـانَ اللّـهُ عَزِيـزًا حَكِيمًـا {

158} وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا {159} النساء ..
عود على بدأ .. فإن الإستراتيجية الإسلامية تعمل على تفتيت عناصر قوة المخالف لها كما تتحرك لتعميق عناصر ضعفه وتحرير فكره .. وذلك على كافة المستويات العقدية خاصة ومن ثم العسكرية والاقتصادية ...الخ .. وهي حريصة على انتشالهم من الكفر إلى الإسلام[115] ومن الضلال إلى الإيمان .. وما جهاد الطلب (الحرب الهجومية) في دعوتها إلا لإزالة ما استعصى على الدعاة منهم ومنعهم من هداية البشر وحاربهم ووقف حجر عثرة أمام العقول لتتحرر وتختار .. وما جهاد الدفع (الحرب الدفاعية) إلا لحفظ الوجود الإيماني .. ورد الصائل الذي يريد استئصال الدين .. وإبادة المسلمين .. واغتصاب مقدراتهم ..

***

الاستراتيجيات الدنيا (المتعلقة بالعملية التنفيذية):

هي المستوى الثالث في التخطيط .. فبعد أن وضعت القيادة السياسية الأهداف المطلوب تحقيقها .. ورسمت خطتها الإستراتيجية العامة ووزعت الأدوار على الوزارات المختلفة لتنسجم

[115] فمهمتنا دعاة كنا أو مجاهدين في سبيل الله هي "الأخذ بيد الناس للإسلام دعوة وتعليماً .. ولم تكن يوماً ما مهمتنا إخراج الناس من الدين" .. وإنه لمن الباطل أن يذهب البعض يكفرون ويفسقون عوام المسلمين .. ويغتصبوا أموالهم وأعراضهم .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

في تنفيذ خطة الدولة .. تأتي خطط الوزارات ثالثاً لتضع إستراتيجيتها في ضوء الجزء الخاص بهـا من خطة الدولة ..

ويمكن شرح هذا من خلال المثال التالي: نفـترض وجـود مجموعـة من رجـال المـال يرغبـون في الاستثمار في سلعة ما .. **ولتكن مثلا سـيارة .. يقومـــوا باســتدعاء المتخصصـــين والمهندســين ويطـــرح عليهم الهـــدف المطلــوب تنفيــذه ومواصــفاته .. يقــوم هؤلاء المصـممون بعمـل تصـاميم ونمـاذج يضـعون فيهـا الشـكل المطلـوب ويضـع المهندســون تصــورهم لقــوة المــاتور ومناســبته لــوزن الســيارة والســرعة المطلوبة ونوعية الأراضـي الـتي ستسـير عليهـا .. وبعـد الانتهـاء من هـذه الدراسـة والاختيـار بين البـدائل المختلفـة يختـار رجـال الأعمـال نموذجـا مناسـباً ..** فيتم استدعاء مجموع جديدة من المصممين والبـاحثين والمهندسـين من أجـل تقـديم مقترحـاتهم حـول تقسيم السيارة لعدة أجزاء تجمـع معا في النهايـة وبنـاء الـورش الـتي سـيتم تصـنيع الأجـزاء بهـا وإمكانية استيراد أجزاء من ورش خارجيـة تناسـب الجــودة المطلوبــة وبعــد تمــام هــذه الدراســة والأبحـاث يتم إنشـاء الـورش المطلوبـة وتجهيزهـا بالمعــدات والعمالــة .. يكلفهــا رجــال الأعمــال بمهامها في الجــزء الخــاص بهــا وجــداول الإنتــاج للأعداد المطلوبة منهم وتوقيتات إرسالها للورشـة

النهائية .. تقوم الـورش المختلفـة بدراسـة الجـزء الخاص بها وتقسـيمه لوحـدات أصـغر وتـوزع هـذه الوحــدات على ماكينــات الورشــة محــددة عــدد الســاعات لكـل نوبـة عمـل وتصـل لفـترة العمـل اليوميــة الــتي تقســمها لمجموعــة من الورديــات وتحــدد عمــال والمهندســين لكـل ورديـة وتضـع لنفسـها هـامش أعطـال واحتيـاطي من الميكنـة والأفـراد لضـمان ألا تتعطـل عن الإنتـاج ثم تباشـر العمل بتجميع الجزء المطلوب منها وتقـوم إدارات الــورش بإرســاله لورشــة التجميــع النهائية .. من خلال نجــاح الــورش المختلفــة في التوقيتــات المحددة تستلم الورشة النهائية جميع الأجــزاء من الــورش المختلفـة .. وتقـوم بجمعهـا معـاً وتخـرج المنتج النهائي إلى إدارة التسويق التي تولت خلال فـترة البنــاء والتجهــيز الإعلان والتســويق لهــذه الســيارة .. ومن خلال تجربــة المنتج يتم إدخــال التعديلات عليه بإزالة العيوب وإضافة المزايا

اللون الأخضـر يمثـل **الأهـداف** .. واللـون الأزرق يمثــل **الإســتراتيجية العليا** .. واللــون الأحمــر يتنــاول **الإســتراتيجيات الــدنيا والتعبئــة والتكتيك** .. أما اللون البنفسجي فقد تكون هــذه **وزارة الحـرب أو الـوزارة المكلفة** بالمهمـة النهائية والتي تعاونت معهـا كـل الـوزارات لإنجـاح المهمة وتحقيق النصر ..

اللــــون الأخضــــر والأزرق هي مهــــام القيــــادة **السياســية** .. واللـون الأحمـر هـو برنـامج عمـل **القيـادات التنفيذية** .. واللــون البنفسـجي هـو

القيادة المنتقاة من المجموعة التنفيذية لتحقيق الحسم ..

الإستراتيجية العسكرية:

كنموذج للمجالات التخصصية ولأن موضوع الكتاب هو الحرب نأخذ الإستراتيجية العسكرية كنموذج لغيرها من المجالات التنفيذية .. وكما أسلفت فمع مرور الزمان وتطور الأسلحة والهدف من الحرب اختلف تعريفها ..

فإذا قدمنا بتعريف مختصر للإستراتيجية العسكرية بقولنا " هي فن توزيع (التعبئة) مختلف الوسائط العسكرية واستخدامها (التكتيك) لتحقيق هدف السياسة من الحرب" .. أجد مناسبا أن أعرف لها من خلال التعريف أولاً بما هو مندرج فيها .. فنعرف التكتيك ثم التعبئة .. لنصل إلى أنسب تعريف للإستراتيجية العسكرية ..

التكتيك[116]:

العلاقة بين الإستراتيجية والتكتيك عبارة عن تشابك يصعب معه إيجاد الحدود بينهم في أثناء التنفيذ ومن الصعوبة بمكان تقدير لحظة انتهاء الحركة الإستراتيجية وابتداء الحركة التكتيكية .. إذ لا يختلف أحدهما عن الآخر إلا في المستوى فالتكتيك يشمل مدى المعركة .. في حين أن الإستراتيجية لا تتجاوز هذا الحقل فحسب بل

[116] لفظ يوناني ويعني اتخاذ التدابير اللازمة .. (معجم مصطلحات الجغرافيا العسكرية والسياسية – هاني عبد الرحيم عزيز) ..

تعمل على التقليل من المعارك إن أمكن .. ولهـذا فالتكتيك جزء من كل ..

التكتيك علم تبلور من سجل الحرب عبر التاريخ .. إلا أنه موهبة وفن عند التطبيق في أعمـال القتـال المباشرة في مختلف ساحات الاشتباك الحربيـة .. البر والبحـر والجـو .. وهمـا (العلم والفن) سـواء في التخطيـــط أو التنفيـــذ .. فهـــو علم صـــقلته التجارب ومدعوم بالفن والموهبة الفطرية ..

النار والحركة هما عنصـرا المنـاورة الـتي يتـوجب على الجنـدي إتقانهمـا بحسـب سـاحة الحـرب .. ومسـتفيداً من تضـاريس الأرض .. كمـا يجب أن يسـيطرا على تفكـير المخـترعين عنـد ابتكـارهم لوسائل الحرب لتناسب المناورة العسكرية .. لأن التكتيـك مـرن ومتفاعـل مـع كـل سـلاح أو معـدة حديثة يتم اسـتخدامهم بواسـطة العنصـر البشـري المشـحون بالمعنويـات بحسـب مـا تمليـه طبيعـة الأرض ..

العمليات التكتيكيـة أشـبه بعمليـة المـد والجـزر .. فالبحار الخبير يـدرك أن كلاهمـا يحقـق المـراد إذا اســتخدم في الـــوقت المناســـب .. وعســـكرياً فالهجوم والانسحاب وأيضـا الـدفاع يحقـق النجـاح المطلوب .. فإذا كان الغرض تـدمير قـوات العـدو هاجمنــا .. أمــا إذا كــان المــراد المحافظــة على القوات في إطار عملية تفُوق إمكاناتنـا انسـحبنا .. أمـا إذا كـان الهـدف الحفـاظ على الأرض وإعـادة تنظيم القـوات دافعنـا .. وهـذه المواقـف تكتيكيـة

يستحيل القيام بها بعيداً عن الإستراتيجية إذ يجب أن يكون مخططاً لها من قبل ..

وكاستعراض بسيط لما يحدث في ساحة القتال عندما تلتقي قوات الطرفين: تحاول كل قوة منهما أن توجه على الأخرى اكبر قدر من الضربات وأن تحتمي في الوقت نفسه قدر المستطاع من ضربات القوة الأخرى المعادية لها .. وهي في سبيل تحقيق هذين الغرضين (الهجوم والحماية) تجري الحركة اللازمة لطبيعة كل منها ..

يعرف كلاوزفيتز التكتيك بقوله: "إن التكتيك هو نظرية استخدام القوات المسلحة في الاشتباك". ..

أما "ليدل هارت" فيعرفه بقوله: "عندما يؤدي استخدام وسائط الحرب إلى معركة حقيقة فان الاستعدادات التي تتخذ لإعداد مثل هذا العمل وتنفيذه تشكل ما يسمى التكتيك".

ويقول ماوتسي تونغ أن " دراسة القوانين الموجهة للحرب والتي تتعلق بأوضاع الحرب الجزئية فهي مهمة علم الحملات وعلم التكتيك".

ويقدم الجنرال اندريه بوفر تعريفه الخاص فيقول:" أن التكتيك عبارة عن فن استخدام الأسلحة في المعركة للوصول إلي المردود الأقصى ".

يعرف المهندس مصطفى حامد[117] التكتيك بقوله: "هو الإجراءات العملية في ميدان القتال التي تحقق الخطة الإستراتيجية" .. ويقول عن عناصر التكتيك: إجراءات التكتيك العسكري لا يمكن حصرها .. ولكنها جميعا تقوم على المناورة بعنصرين فقط لا غير هما: النيران والحركة .. أما هدف التكتيك: كما للتكتيك وسيلتان له أيضا غايتان هما: المحافظة على قواتنا و إبادة قوات العدو.

أما دائرة المعارف البريطانية فتعرف التكتيك بأنه "فن وعلم خوض المعارك .. وهو يتعلق بكيفية مواجهة الاشتباك .. وكيفية توزيع القوات .. واستخدام مختلف الأسلحة .. وتنفيذ التحركات اللازمة للهجوم أو للدفاع" ويقدم الفكر العسكري السوفييتي التعريف التالي للتكتيك: " يقوم التكتيك بدراسة القوانين الموضوعية التي تحكم الأعمال القتالية .. كما يقوم بتطوير أساليب إعداد وتوجيه القتال في البر والبحر والجو".

يتعلق التكتيك بعددٍ من العناصر: العنصر البشري المشحون معنوياً .. الأسلحة والآلات والمعدات العسكرية وارتباطها بالزمن .. طبيعة ساحة المعركة وتضاريسها (برية .. جوية .. مائية) .. الحركة الميدانية (خطة التنفيذ) ملائمة كل ما سبق هجوماً ودفاعاً وانحيازاً .. وتعريفنا للتكتيك هو تحقيق الانسجام والتناسق والتوافق الزمني بين العناصر السابقة لمفاجأة العدو وإرباكه

[117] حرب المطاريد

وتـــدمير قواتـــه ومن ثم تحقيـــق النصـــر في المعركة ..

كمـا أن للتكتيـك مبـادئ[118]: الحيطـة .. المرونـة .. المفاجـــأة .. الحشـــد .. الخـــداع .. الســـرية (الأمن) .. الاســـــــتطلاع (المعلومـــــــات) .. المبادأة .. الاقتصاد في القـوة .. ملاءمـة الوسـائل مع الهدف .. الروح المعنوية ..

العقيـدة[119] التكتيكيـة: هي تعليمـات ونظم تـدريب وكتيبـات خدمـة الميـدان .. الـتي تقنن الخـبرات المعتمـدة في مجـال البحث عن تطـابق الوسـائل الماديـــة مـــع الأعمـــال التكتيكيـــة .. والعكس بالعكس ..

أي .. المنـاهج العامـة الـتي تـبين أفضـل شـروط اسـتخدام للسـلاح والعتـاد والقـوات في المهـام القتاليـــة المختلفـــة من الهجـــوم أو الـــدفاع أو الانحياز .. مع مراعاة خصوصية كل معركة ..

وبناء على مـا سـبق من عناصـر مرتبطـة بالتـاريخ ومبـادئ وعقيـدة يمكن صـياغة تعريـف أكـاديمي للتكتيك[120] بأنه:

---

[118] تسمى عادة مبادئ الحرب .. وتستفيد منها الإسـتراتيجية العسـكرية أيضاً ولكن بصورة أعمق من استفادة التكتيك ..

[119] استخدم العسكريون لفظ العقيدة لبيان التزام الجندي بمـا سـطروه لتحقيق النصر في المعركة .. كمـا يلـتزم أصـحاب العقائـد بعقيـدتهم .. كما يستخدمون كلمة مذهب للدلالة على نفس المعـاني .. وهي عبـارة عن تعليمات وإرشادات تساعد الجندي لتأدية واجبه على أكمـل وجـه .. وتسـتخدم الكلمـة على مسـتوى الجنـدي وعلى مسـتوى القـوات مـع الفـارق .. فنقـول المـذهب العسـكري المصـري أوالسـوري ...الخ .. وسيأتي بيانه لاحقاً ..

[120] الموسوعة العسكرية

(علم اكتشاف حركة القوانين الموضوعية التي تتحكم في إعداد وإدارة أعمال القتال الجزئي خلال مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطور قوى الإنتاج وتقنية التسليح والحماية والحركة والفكر العسكري المرتبط بها جميعاً)

(فن تطبيق هذه القوانين الموضوعية على الحالات الخاصة والمتنوعة والمتغيرة للاشتباكات والمعارك المختلفة في البر والبحر والجو) أي أنه علم في معرفته وإعداده العقائدي أو المنهجي المسبق .. وفن في تطبيقه العملي المتغير ..

<u>التأمين الإداري (التعبئة - العمليات):</u>

تستخدم الدول المصطلحات الثلاث للدلالة على معنى واحد وهو الحشد للحرب .. وقد يقصر البعض كلمة التعبئة على التعبئة العامة للدولة .. ويقصر المصطلحان الآخران على الحشد لميدان المعركة ..

التعبئة العامة للدولة يقصد بها " مجموعة التدابير التي تتخذها الدولة عندما تتحول من حالة السلم إلى حالة الحرب" .. "مجموعة إجراءات[121] موضوعها أن تتحول الجيوش البرية والبحرية من حالة السلم إلى حالة الحرب .. وتقتضي التعبئة استدعاء الرجال والاستيلاء على بعض السلع والأدوات والسيارات وغيرها" ..

---

[121] معجم المصطلحات السياسية والدولية

وأما رؤية المهندس مصطفى حامد للتعبئة فيقول: هي الحلقة الوسطى ما بين الإستراتيجية والتكتيك وعسكريا يمكن القول بالآتى: التعبئة هي "تحريـك القوات والمعـدات إلى أمـاكن قريبـة من مسـارح العمليـات المرتقبـة وفقـا لمـا جـاء في الخطـة الإستراتيجية" ..

ويمكنني القول أن التعبئة لميدان القتال هي: حشد **القــدر** المناســب من القــوات والإمكانــات في **المكـان** المناســب لتحقيــق اســتمرارية تقــديم الدعم للمعركـة وفي إطـار **التـوقيت** (الـزمن) المناســب لإنجــاح سلســلة المعــارك ومن ثم الحرب ..

<u>الإستراتيجية العسكرية:</u>

يعــرف المهنــدس مصــطفى حامــد الإســتراتيجية العســكرية: بأنهــا الخطــط الكفيلــة باســتخدام القدرات العسكرية المتوافرة .. لتحقيـق الأهـداف السياسية للدولة (أو الأمة .. أو حركة تحرير) ..

وقد سبق في مقدمة المحاضرة بأنهـا: "اسـتخدام القــوة المســلحة بواســطة الدولــة لتحقيــق أهـدافها" .. وهي: "فن توزيـع مختلـف الوسـائط العسكرية واستخدامها لتحقيق هدف السياسـة" .. وتعريف بوفر الذي يجعلهـا أحـد عناصـر المواجهـة وهـو "فن اسـتخدام القـوة للوصـول إلى أهـداف السياسة وهي حوار الإرادات التي تستخدم القوى لحل خلافاتها" ..

وفي العصـر النـووي[122] تحـولت إلى: "منـع قيـام الحــرب والحفـاظ على الســلام وذلــك من خلال الردع"[123] .. لكن هذه الإستراتيجية لم تنجح بسبب الحروب بالوكالة وحروب العصـابات من طـرف .. ومن طرف آخر لأن الدول التي تملك سلاح الردع لا تملك منهجاً يصلح الحياة[124] ..

يمــيز العســكريون بين الإســتراتيجية والتكتيــك واللوجسـتيك (التـأمين الإداري) .. فالتكتيـك هـو فن اسـتخدام الوسـائط العسـكرية أي "اسـتخدام القــوات المســلحة في الاشــتباك .. أو هــو فن استخدام الأسلحة في المعركة للحصول على أكبر

---

[122] الإستراتيجية العسكرية والسياسية – مجموعة من الباحثين

[123] على الرغم من هذا التطور الخطير في عـالم الأسـلحة إلا أنـه نقض فكـرة الحــرب نظريــاً .. فـالحروب مسـتمرة في أنحـاء متفرقـة من العالم .. والذي يشرف عليها ويباشرها هي القوى التي امتلكت أسـلحة الردع لمنع الحرب .. ومع قوتها وضخامة مـا تملـك إلا أنهـا لم تسـتطيع إلى اليوم تحقيق النجاح في معركة فاصلة تجعـل الكـوكب بلا حـرب .. وتظـل الدراسـات والتعريفـات للإسـتراتيجية العسـكرية تتنـوع بتنـوع الزمان والسلاح ونـوع الحـرب وغـيره من عوامـل النصـر .. وفي حـال استخدام أسلحة الردع فإن الهـدف من وجودهـا لم يتحقـق .. وتحـولت إلى مجرد سلاح قوي من أسـلحة الحـرب .. تم ردعـه من خلال حـرب عصابات ناجحة .. والصراع ماض لن يقف إلى يوم القيامة ..

[124] تملك به قلب وعقل البشر .. فجميعها قوى اسـتعمارية لا يمكنهـا نشر ما تؤمن بـه لأنـه سـراب لا واقـع حقيقي لـه في الحيـاة حـتى في داخل دولهم .. فالديمقراطية أو الاشتراكية وحتى الشيوعية تزيد وتقـل نسبتها حسب الطبقات والمستويات الاجتماعية .. فالنفس البشـرية لن تتجرد من بشريتها وشهواتها .. ولهذا فلا يمكن منع الحــرب .. من خلال هذه المناهج والأيدلوجيات .. ويبقى الأمل معقوداً بالإسـلام في التقليـل من الحروب ..

قدر من الفاعلية .. وإجراءات التكتيك العسكري لا يمكن حصرها .. ولكنها جميعا تقوم على المناورة بعنصري النار و الحركة لتحقيق النصر في الحرب بأقل خسائر ممكنة.

أما اللوجستيك فهو فن نقل القوات والمعدات والأسلحة إلى مناطق الحشد لمسارح العمليات المرتقبة وفقا لما جاء في الخطة الإستراتيجية.

وبالتالي فالإستراتيجية هي "علم تنسيق هذين النوعين من العلوم العسكرية لتحقيق النصر .. ولكيفية استخدام القوة المسلحة لتحقيق أهداف الدولة".

وعلى القيادة العسكرية الإسلامية عندما تدرس أهداف الرسالة وتعي ضوابطها .. وتستلم مهامها .. وتباشر عملها لتضع إستراتيجيتها عليها أن تقوم بمعالجة سبعة عناصر دائمة وأساسية مندرجة تحت شقين: الأول شق البناء وتحته خمسة عناصر: بناء الفرد المسلم[125] عقائدياً ومعنوياً .. إعداده عسكرياً .. تصنيع ما تحتاجه الحرب من معدات ووسائط وتقنيات منسجمة مع عصرها أو استكماله من الخارج .. الاهتمام بالبحوث العلمية في مجال التقنية .. دعم برامج التطوير والابتكار .. الثاني شق الحرب وتحته عنصرين: التعبئة للعمليات .. التكتيك ..

[125] الأمة الإسلامية أمة مسلحة وحينما نقول الفرد المسلم نعني به الشعوب الإسلامية فلا ينبغي أن يتواجد مسلم على سطح الأرض دون أن يكون متخصصاً في صنف من صنوف الأسلحة أي ما يكون عمله أو مهمته سواء كان داعية أو طبيب أو مهندس أو محاسب أو مزارع أو تاجر أو فني أو حرفي ....الخ.

وبالتـالي لا تواجـه القيـادة العسـكرية الإسـلامية مهامهـا منفـردة عن منظومـة الدولـة فهي بحاجـة ماسـة للمتخصصـين في العلم الشـرعي الـذين يعملون على إيضاح عدالـة الحـرب الـتي يخوضـها الجنود والمقابل الغيبي الـذي يمنح الجنـدي روحـاً معنويةً لا تقـف أمامهـا الجبـال كمـا يعملـون على تثقيفه بفقه الجهاد فلا يقع في المحظـورات الـتي تحـد من ثوابـه أو تحـرف نيتـه .. فعلى العلمـاء وطلبـة العلم مهمـة البنـاء العقلي والنفسي للمجاهـد من منطلـق العقيـدة الإسـلامية داخـل المعاهـد العسـكرية .. ويـأتي دور أهـل الخـبرة والتجربة العسكرية في نفس المعاهد ممن خاضوا الحـروب ولـديهم القـدرة على إيصـال المعلومـة وتربيـة الجنـد لإعـداد وتنظيم القـوة العسـكرية (الجنود وعرفائهم ونقبائهم[126]) في ضـوء طبيعـة الحـرب المرتقبـة وإفهـام كـل مسـتوى الـدور التنفيـذي المطلـوب منـه وإكسـابه المهـارة والاحترافية في الوسـائط الـتي يسـتخدمها .. وفن تنسيق التعـاون بين صـنوف الأسـلحة المختلفـة .. كما يضع أمامهم القـدوة العسـكرية ومـا كـان في تجـاربهم ومعـاركهم من أفكـار ناجحـة من المهم تعلمها أو أخطاء يجب تلافيها .. وتأتي أهمية الـدور الاقتصادي ومـا يمكنـه توفـيره من تمويـل لابتكـار وتصنيع المعدات والوسـائط والتقنيـات الحربيـة أو

[126] لا توجد إشكالية في استخدام لغة العصـر من جنـود وضـباط الصـف والضباط ورتبهم المختلفة فهي عملية تنظيمية لتنفيـذ سلسـلة الأوامـر لإنجاح الحرب .. فلا يوجد مانع في استخدام أي شيء منضـبط يسـاعد في عملية التنظيم ويعالج مشكلات التسلسل القيـادي .. وأيمـا وسـيلة صالحة استحدثت تؤدي لإنجاح العملية الحربية فنحن أولى بها ..

لدور الأبحاث العلمية وبرامج التطوير .. وكلما كان الاقتصاد قوي كلما كانت العمليات العسكرية المرتبطة به نشطة وفعالة ومناسبة لزمانها .. وأخيراً تصب كل هذه العمليات لقادة الحرب الذين ينسقون بين التعبئة والتكتيك .. أي فن نقلها وتوزيعها مع مختلف الوسائط العسكرية .. واستخدامها لتحقيق أهداف الرسالة) ..

هذا الشرح المختصر تطرق إلى نظرية البناء العقائدي والمعنوي للفرد .. والإعداد العسكري الميداني .. والإنتاج الحربي المتماشي مع عصره .. ثم التعبئة .. ثم التكتيك .. وبين أن الإستراتيجية تنسق بين العمليات لتحقق أهداف الرسالة ..

الإستراتيجية المباشرة والإستراتيجية غير المباشرة:

عندما تحرك الإنسان للتأمين والحماية ابتكر أسلوبين للمواجهة مع خصومه .. وقد تولدا من خلال حسابات التفوق في القوة .. ففي حال تساويه في القوة أو تفوقه كان يستخدم إستراتيجية قتال مباشرة أشبه ما تكون بتناطح الثيران فلا ينتهي القتال حتى تتحطم رأس الأضعف منهما .. أما النوع الثاني وهي إستراتيجية القتال غير المباشر فيستخدمها الطرف الأضعف الذي لا يمكنه مقابلة خصمه في مواجهة عسكرية .. فيعمد إلى ابتكار أساليب أخرى مصاحبة للقتال لتفتيت قوة الخصم .. وهذه أشبه بمصارعي الثيران الذين يتجنبون أخذ الثور من

قرنيــه ويفضــلون العمــل على إنهاكــه واســتنزافه ومن ثم قتله .. في حين تزعم كلا من ليدل هارت وبوفر النظرية الثانيــة .. نظّــر كلاوزفيــتز للنظريــة الأولى حيث اعتبر القوة العسكرية الأداة الرئيســة لتحقيق الأهداف الوطنيــة .. ولا تســتثنى اســتخدام عناصر القوة الأخرى إلى جانب القوات العسكرية .. فالعناصـــر السياســـية والاقتصـــادية والثقافيـــة تشكل أجزاء مكملة للقــوة العســكرية ومجموعهــا يحدد لنا مفهــوم الإســتراتيجية المباشــرة . ويعطي عامــل الســرعة فيهــا أهميــة كــبرى وذلــك لعــدم إفساح المجال للعــدو بــترتيب وضــعه والــرد علينــا وبالتالي إجباره على الخضوع لإرادتنا .

أولاً: الاستراتيجية المباشرة يشبه كلاوزفيتز جــوهر الحرب بصراع بين متصــارعيين يحــاول كــل منهمــا إخضاع الآخر لإرادته بواسطة القوة البدنيــة .. أمــا الهدف المباشر فهــو القضــاء على الخصــم وجعلــه عاجزاً عن كل مقاومة .. وهكذا يمكن أن نقول إن العنــف المــادي هــو الوســيلة .. وتبقى الغايــة هي فرض إرادتنا على العدو .. وللوصول لهذه الغاية لا بد من تجريد العدو من سلاحه .. وهذا هــو الهــدف الحقيقي للعمليات الحربية ..

لهـــذه الإســـتراتيجية ســـمتين أساســـيتين همـــا الاســتخدام اللامحــدود للقــوة .. تجريــد العــدو من سلاحه .. وبناء على ذلك يــرى كلاوزفيــتز الاعتمــاد على مبدأين لتوجيه خطة الحرب الأول دفع العــدو إلى مراكز ثقل قليلة أو مركز واحد (حشد القوى

قـدر المسـتطاع) .. الثـاني حصـر الهجـوم عليهـا بأقل عـدد ممكن من الأعمـال الرئيسـية (العمـل المباشر بأسرع ما يمكن) ..

وقـد تـرجم الكـونت فـون مولتكـه رئيس الأركـان العامـة الألمانيـة عقيـدة كلاوزفيـتز في الهجـوم المباشـر على فرنسـا إلى عمـل من خلال: البحث عن القسم الأعظم من قوة العدو .. تدميره بقوى متفوقـة .. تسـتمد كفاءتهـا من تعبئـة الطاقـة البشـرية للأمـة .. والتخطيـط الـدقيق في زمن السـلم .. مـع الاسـتفادة من شـبكة المواصـلات الألمانية المتطورة نسبياً آنذاك ..

المبادئ العامة للإستراتيجية المباشرة:

لأن الحرب شأنها شأن الحيـاة فلا يمكن إخضـاعها لقـوانين جامـدة لا تتغـير .. لأنهـا قـد تصـح في ظـروف ولا تصـح في أخـرى .. وهـذه المبـادئ تسـاعد على تحديـد اتجـاه عـام للعمـل ويمكن تلخيصها بالأتي:

1- على الإستراتيجية أن تسـير جنبـاً إلى جنب مـع السياسة القومية ..

2- الجيش المعـادي هـو الهـدف الأول للإستراتيجية ..

3- لا بـد لتحقيـق أهـداف الإسـتراتيجية من توفـير الحد الأقصى من القوة ..

4- لا يوجد نظام ثابت في قيادة الحرب بل يعتمـد ذلك على الدراسة السليمة وشخصية القائد ..

5- العنف الدموي السمة الدائمة للحروب ..

6- يجب أن تكــون الحــرب جماعيــة ومطلقــة (مفهوم الأمة المسلحة) ..

7- لا يجــوز تغيــير الإســتراتيجية أثنــاء الحــرب إلا للضرورات القصوى[127] ..

ثانياً: الإستراتيجية غـير المباشـرة (العليـا) تبحث في تحقيق الأهداف بوسائط غير عسكرية بالدرجة الأولى .. وبالإنهـاك العسـكري بالدرجـة الثانيـة إذا اقتضــت الضــرورة .. أي بمعــنى أنهــا تبحث عن الحسم عن طريق اسـتخدام الوسـائل النفسـية .. كالدعايــة والإشــاعة .. وتســميم السياســة والاقتصاد .. والضغط الدولي .. والتفتيت الـداخلي وغيرها .. وتستهدف كذلك تـدمير معنويـات العـدو والحفـاظ على معنويـات الأصـدقاء .. وتسـتخدم أسلوب الحرب الثورية ..

وفي المجال العسكري طور الكاتب الشهير ليـدل هارت نظرية التقرب غـير المباشـر بعـدم مجابهـة العدو مباشرة إلا بعـد إزعاجـه ومفاجأتـه وزعزعـة توازنــه بتقــرب غــير متوقــع .. وهــذا يعــني أيضــاً التقرب نحو العدو من اتجاهـات غـير متوقعـة .. أو التقدم في اتجاهـات يمكن تغيرهـا بحيث ينصـرف تفكير العدو عن الهدف الحقيقي ..

ويمكن تحقيقها بأحد الصور التالية :

أولاً: اســـتخدام الأســـاليب السياســـية أو الدبلوماسية أو الاقتصادية لتحقيق الأهداف .. وقـد

---

[127] الإستراتيجية السياسية والعسكرية – مجموعة من الباحثين ..

طبقها هتلر عند احتلاله النمسا وشيكوسلوفاكيا

ثانياً: اللجوء الى أسلوب حرب العصـابات طويلـة الأمد ، كما حدث في الجزائر وفيتنام ..

ثالثـاً: فتح جبهـات ثانويـة في أرض العـدو أو في أقـاليم دول تابعـة أو مؤيـدة لـه بعيـداً عن جبهـة القتـال الرئيسـة ، وقـد طبقت بريطانيـا هـذه الإستراتيجية في الحرب العالمية الثانية بفتح جبهة شمال أفريقية .

رابعاً: إثارة الفتنة داخل دولـة العـدو بحيث يـؤدي إلى اقتتال مواطنيه وأضعافه من الـداخل .. وهـذا ما طبقه اليهـود في لبنـان لغـرض ضـرب الحركـة الوطنية والثورة الفلسطينية .

خامساً: الاستيلاء على هدف جزئي بسرعة كبيرة بفضـل المباغتـة وتفـوق القـوات ثم التظـاهر بالتوقف قبل القيام بعملية أخرى ، ثم تكـرار ذلـك بصورة متتالية .. وقد طبق اليهود ذلك عام 1948 بعد الهدنة الأولى .

طبعاً يكون العامل النفسي في الإستراتيجية غير المباشرة مسيطراً وسائداً كما تزداد أهمية عامـل الوقت إلى حد كبير ويتقلص عامل القوة فيها ، إلا أنه يبقى ماثلاً .

المذهب العسكري[128]:

يتـأثر أي مـذهب عسـكري بأصـوله التاريخيـة .. وسجل أمتـه الحـربي عـبر الزمـان .. كمـا يرتبـط بالشـعارات الـتي تطلقهـا الأمـة وترفعهـا وتلـتزم

[128] الإستراتيجية ابنة المذهب العسكري ..

بهـــا .. فنحن كمســـلمين نرفـــع شـــعار الوحـــدة الإسلامية[129] .. وعودة الخلافـة .. كهـدف من أجـل إعـادة سـيادة الشـريعة الإسـلامية على الأرض .. وبالتــالي يكــون الجهــاد ضــد: الحكــام المرتــدين الـــوكلاء للغـــرب أو الشـــرق المـــوالين[130] لهم .. والعمليات ضد الـدول الـتي تـدعمهم .. أو الجهـاد ضد: الدول المحتلـة لأراضـي المسـلمين .. تكـون هــذه الحــروب عادلــة ومشــروعة .. ويقــف إلى جوارها عموم الأمة الإسلامية .. بالمال والنفس .. حــدث هــذا في أفغانســتان وتكــرر في غيرهــا .. وسيظل إن شـاء اللـه يتكـرر لأن الحيـاة في ظـل الإســلام رغبــة حقيقيــة تعيش في عقــل الأمــة ووجدانها ..

وللمذهب العسكري وجهان مترابطان:

الأول: (شرعي - سياسي - اجتمـاعي) من أجـل تحقيق أهداف الحرب المقبلة

الثاني: (عسكري - تقني) من أجل خوض الحرب ..

---

129 والعكس صحيح .. فإذا رفعنا شعار سـيادة الشـريعة الإسـلامية على الأرض كهدف من أجل إعادة الخلافة والوحدة الإسلامية ..

130 يزعم العسكريون الذين امتطـوا صـهوة البلاد بالانقلابـات العسـكرية أن شعوبهم لم تصل بعـد لدرجـة الـوعي الكـافي لإدارة البلاد واسـتلام السلطة وأنهم أي العسكر هم الأقدر والأوعى والأنضج والمؤهلين لذلك .. وهذا المعنى وفق انتمائهم صـحيح تمامـا .. فالشـعوب الإسـلامية لم تخُن دينها ولن تتحول عن عقيدتها وتسلك نفق الخيانة والعمالة وسـفك الدماء والردة والانبطاح أمام أعدائها .. كما فعل العسكر الذين أطلقـوا على "الخيانة والردة واستحلال دماء المسلمين والعمالـة والانبطـاح" .. الـوعي والنضـج السياسـي .. وكـذلك يفعـل الملـوك والأمـراء الـذين يتوارثون الأرض ومن عليها .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

والمــذاهب العســكرية تختلــف من أمــة لأخــرى لاختلاف العقائـــــد والأيـــــدلوجيات .. والمبـــــادئ الأساسية لعملية الإعداد السياسي والمعنوي للأمة ..

المـــذهب العســـكري[131] عبـــارة عن: توجيهـــات مرشـــدة ومجموعـــة آراء وأفكـــار (حـــول جـــوهر الحرب المقبلة المحتملـة .. وأهـدافها وطبيعتهـا .. وحـــول إعـداد البلاد والقـوات المسـلحة ووسـائط الصراع اللازمة لخوضها .. ضمن إستراتيجية معينة) ..

وفي ضوء التعريف السـابق فالمـذهب العسـكري يرتبـط بالنظـام السياسـي للدولـة وبأعبائهـا في قطـاع السياسـة الداخليـة والخارجيـة وبالحالـة الاقتصـادية والثقافيـة للبلاد .. وهـو يحمـل طـابع الحـرب المقبلـة ومسـائل بنـاء القـوات المسـلحة وتحسـين تجهيزاتهـا التقنيـة .. وأسـاليب التطـوير لفن الحرب وطرق خوضها .. مـع تقـدم الـزمن .. فالمذهب العسكري سمة من سمات الدولة ..

مثـال: تفاعـل المـذهب العسـكري الأمـريكي مـع المتغيرات عبر الأيام:

يقـــوم المـــذهب العســـكري الأمـــريكي على إستراتيجية الرد الشامل (Prevalent Returning Strategy) .. "إن على الولايات المتحدة أن تكون جاهزة لتوجيه ضربة نووية شاملة في الزمان والمكان المناسبين وذلك خارج حدود أوروبا" ..

[131] الإستراتيجية السياسة العسكرية - مجموعة من الباحثين العسكريين ..

لكن المـــذهب العســـكري الأمـــريكي تفاعـــل في مطلـــع الألفيـــة الثالثـــة ليناســـب طبيعـــة الحـــرب الجديـــدة الـــتي فتح بفضـــل اللـــه بابهـــا تنظيم القاعـــــدة .. فجـــاءت إســـــتراتيجية "الضـــــربات الاستباقية" ..

نلحـظ أن فكـرة القـوة سـيطرت على المـذهب العسكري الأمريكي .. فكتاب "دليل ضابط الـركن في القـــــوات المســـــلحة الأمريكيـــــة" يعـــــرف الإستراتيجية العسكرية بأنها: "فن استخدام القـوة المســلحة وعلمهــا .. بغــرض تحقيــق أهــدافها السياسية القومية .. عن طريق استخدام القوة أو التهديد بها" .. ولنلق نظرة سـريعة على التغـيرات التي رافقت المـذهب العسـكري الأمـريكي[132] في النصف الثاني من القرن الماضي:

في خمسـينيات القـرن الماضـي اعتمـد المـذهب العسكري الأمـريكي على التهديد بإشـعال الحـرب العالميـة النووية من أجـل تحقيـق أهـداف أمريكـا الإستراتيجية السياسية والعسكرية ..

وفي الســتينيات ظهـرت في أمريكـا إســتراتيجية جديدة .. الرد المـرن (Supple Returning Strategy) .. وهي أن الإســــتراتيجية يجب أن تكــــون مرنــــة وحاسـمة في الـوقت نفسـه .. وتلحـظ الاستعداد لخوض أي حرب عالمية نووية أو تقليدية كبـيرة أو صغيرة ..

---

[132] المصدر كتاب "الإسـتراتيجية السياسـية العسـكرية" - مجموعـة من الباحثين ..

وفي عـــــام 1971م أعلنت واشـــــــنطن عن إستراتيجية الردع الـواقي (Strategy Deterrence Protector) .. فقـد قسـمت الحــرب في مــذهبها حســب طبيعتها وتصنيفها لأربعة أنواع وفقا للوسائط الـتي تسـتدعى للاشـتراك ومقـاييس التنفيـذ وتناسـب القــوى في سـاحة الصــراع: "الحــرب النوويــة الإستراتيجية الشاملة .. الحرب النووية المحــدودة على مسرح العمليات .. الحرب التقليدية الشـاملة .. الحـــرب التقليديـــة المحـــدودة على مســـرح العمليات" ..

ولوحظ على عتبة الثمانينيات انقلاب مفـاجئ فقـد غــدت القــوة وحــدها هي المــؤثرة في سياســة واشنطن الخارجية .. وأعلنت عن منـاطق مصـالح حيوية[133] حـول العـالم .. ووفقـا لمبـادئ المـذهب العسكري للولايات المتحـدة الـتي تقـترح وترسـم الإعداد ومجري الحروب المحتملة في أراضـي مـا وراء البحار .. فإن قوات أربع قيـادات موحـدة من أصل خمسة ووسائطها منتشرة حول العالم حــتى في زمن الســـلم "في أوروبـــا .. في المحيـــط الأطلســي .. في المحيـط الهـادئ .. في القـارة الأمريكيـة" .. وبنـاء على المهـام العسـكرية فقـد قسمت القوات الأمريكية "إلى قـوات إسـتراتيجية وقــوات عامة وقــوات وســائط نقــل القطاعــات وقــوات احتيــاط وقــوات تــدخل ســريع" لتــأمين التــدخل الســريع المباشــر في منطقــة الشــرق الأوســط بصــورة خاصــة وأي منطقــة أخــرى في

[133] انظر كتابي "انتهز الفرصة أو اللحظة ونصر بلا حرب" – نيكسون ..

العـالم .. وهـذا مـع انتشـار شـبكة من القواعـد العسكرية في جميع المنـاطق المهمـة اسـتراتيجيا في العـــالم .. كي تحقـــق مرونـــة للانتقـــال إلى الأعمال القتالية، وتؤمن لهذه الغاية الوجود الـدائم لتجمعات هامة من القـوات العسـكرية الأمريكيـة، على مسـارح مـا وراء البحـار ولتردفهـا بـالتعزيز اللوجيستي والتسليحي في حالة الأزمات.

في عـــام 1982م تبنت وزارة الـــدفاع الأمريكيـــة (البنتـاغون) بصـورة رسـمية نظريـة العمليـة أو الموافقة الجويـة – البريـة (Theory OF Operoitions Air-land) وقد تضمنت هذه النظرية وجهة نظـر جديـدة للقيادة العسكرية الأمريكية حول طبيعـة وطرائـق خوض الأعمال القتالية .. أن جوهر نظرية العمليـة (الموقعة) الجوية - البرية من وجهة نظـر الخـبراء العسـكريين الأمريكـيين ينحصـر في العمـل على سـحق العـدو على كامـل عمـق البنيـة العملياتيـة للقـوات المعادية، وذلـك عن طريـق التـأثير عليـه إلى أقصى حد ممكن بالأسلحة النووية والكيميائية والأسـلحة العالميـة .. جـاءت حـرب الكـويت عـام 1991م وُطبقت فيهـا نظريـة العمليـة الجويـة - البرية.

بعد هجمـات الحـادي عشـر من سـبتمبر 2001 م تبنت إدارة بوش إستراتيجية الحـرب الإسـتباقية .. وهي الهجمات التي فرضت على الولايات المتحدة الأمريكيـــة إعـــادة النظـــر في عقيـــدتها الأمنيـــة

التقليديـة السـابقة والمتضـمنة عنصـري (الـردع والاحتـواء) حيث أن تلـك الإسـتراتيجية القديمـة نسـبياً لم تعـد قـادرة علي الاسـتجابة للتحـديات الأمنيـة الـتي يفـر منهـا هـذا النـوع من التهديـدات الخطيرة وغير المألوفة - للأمن القومي الأمريكي.

أن الصـدمة الناجمـة عن هـذه الهجمـات أضـافت إليها بعـداً جديـداً، فقـد واجهت الولايـات المتحـدة تهديداً جديـداً ومتغـيراً، في حين وجـدت الحكومـة الأمريكية نفسـها من دون فكـرة شـاملة أو خطـة عملاقة لحماية الـوطن الأمـريكي من أي هجمـات جهادية جديدة.

وجرت صياغة الرد الأمـريكي[134] علي الحاجـة إلي سياسة أمنيـة جديـدة في ثلاث وثـائق نشـرت في العــام 2002م وهي إســتراتيجية الأمن القــومي للولايات المتحدة والإستراتيجية القوميـة لمكافحـة أسلحة الدمار الشامل والإستراتيجية القومية لأمن الوطن وهـذه الوثـائق الثلاث تحـدد مختلـف أوجـه الجواب الأمريكي الـذي يفـترض أن يحشـد أدوات سياسـية وعسـكرية ودبلوماسـية وقانونيـة (على الصعيدين المحلي والدولي) ضمن برنامج إجمـالي لتعزيز الأمن الأمريكي.

وكانت نظريـة الحـرب الاسـتباقية Preemptive War أو نظرية بوش الأمنية .. لقد حدد المذهب العسكري الأمريكي الجديـد لإسـتراتيجية الحـرب الاسـتباقية الأمريكيـة بضـع أهـداف إسـتراتيجية منهمـا اثنـان

[134] الإستراتيجية العسكرية والمـذاهب والعقائـد المعاصـرة .. المصـدر: الأهرام -الطبعة الدولية بقلم: جميل عفيفى..

رئيسيان هما: مكافحة الإرهاب، والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل .. يمكن القول إن الحربين الوقائية والاستباقية هما احتمال آخر ذو طابع مختلف إلى حد ما .. فالحروب الاستباقية Preemptive War تشير إلى الأعمال العدائية التي تبدأ في ضوء القناعة بأن هجوم العدو متوقع بشكل حتمي .. وتعتمد الحروب الوقائية Preventive War على الافتراض بأن العدو سيبدأ الحرب في المستقبل القريب وأنها ستكون ملائمة جداً للطرف الذي يباشر العمليات الحربية .. ويكتفي الرئيس الأمريكي الأفريقي بالضربات الوقائية دون الدخول في حروب محدودة كسلفه .. فيقوم بتوجيه ضربات بالطائرات الآلية على العناصر التي تشكل خطر قائم أو محتمل على الولايات المتحدة في أي مكان من العالم ..

والمثال علي الحرب الإستباقية هو عدوان إسرائيل في حرب يونيو عام 1967م .. والمثال على الحرب الوقائية الغزو الأمريكي الأخير للعراق عام 2003 م وفق وجهة نظر القيادة الأمريكية الحالية ..

***

مما سبق يتبين الفواصل بين الأهداف والاستراتيجيات .. وبين الإستراتيجية العامة للرسالة الإسلامية وما يندرج تحتها من استراتيجيات تخصصية ترتبط بوسائل السياسة المختلفة .. وكذلك في داخل التخصص مثلا داخل

العمل العسكري تظهر الفواصل بين الإستراتيجية والتعبئة والتكتيك ..

كما يظهر لنا الفوارق بين القيادات داخل الدولة .. القيادة السياسية .. القيادة العسكرية والمهام المختلفة لكل منهما ومستويات القرار والتبعات ..

لقد كانت العلاقة بين القيادة السياسية والعسكرية غاية في الوضوح في الدولة الإسلامية .. كما أن كل قيادة كانت تدرك مهامها وحدود التعامل مع المستويات الأعلى أو الأدنى أو المتوازية ..

وبسبب ذلك الوضوح والفصل بين المهام وعدم الجمود داخل الخطوط التي رسمها سايكو وبيكو .. لم تظهر مشكلات مصطفى كمال أتاتورك وجمال عبد الناصر وعبد الفتاح السيسي .. وكثير غيرهم من أدوات الاستعمار من حقبة الإنجليز وإلى عهد الرئيس الأفريقي الأمريكي ..

***

الملحق (أ):

الثورة الروسية 1905

في 27 كانون الثاني (يناير) 1904هاجم الأسطول الياباني مرفأ بورت آرثر (Port Arthur) دون إعلان الحرب .. ودمر أسطولا روسيا ضخما

في معركــة غــير متكافئــة اســتمرت45دقيقــة .. أظهرت خلالهـا بحـارة السـفن الروسـية بطـولات رائعــة .. ولم يستسـلموا لقـوات العـدو فـاغرقوا سفنهم .. ونزلت القوات اليابانية في كوريا ثم في منشــورات .. وفي أيــار (مــايو) 1904حاصــرت القوات اليابانية الحامية الروسية في قلعــة بــورت آرثــر ودارت معـــارك طاحنـــة اســتمرت ســبعة أشهر .. وأدت إلى سـقوط القلعـة في 20 كـانون الأول (ديســمبر) 1904 .. وقــد فقــد اليابــانيون خلال هــذه المعــارك زهــاء 110 آلاف بين قتيــل وجريح .. علي حين بلغت خسائر الـروس 35 ألفـا وهكـــذا ســيطر الأســطول اليابـــاني على بحـــر البلطيق.

وفي شباط (فبراير) 1905 جرت معركة ضخمة بــالقرب من موكــدن (Mukden) هــزمت القــوات الروســية هزيمـــة فادحـــة. وبلغت خســائرها 89 ألفا .. على حين خسر اليابانيون 71 ألفاً .. وكانت خاتمة هذه المعارك معركة تسوشـيما (Tsushima) البحريـــة . وكـــانت خســـائر روســيا في الحـــرب الروسـية –اليابانيـة نحـو 270 ألـف قتيـل وجـريح بالإضافة إلى تدمير اكبر أساطيلها .

وفي 5 أيلــول (ســبتمبر) 1905 وقعت معاهــدة صـــلح بين البلـــدين المتحـــاربين في قاعـــدة بورتسموث (Portsmouth) البحرية بالولايات المتحدة .. حيث أنهت هـذه المعاهـدة الحـرب بين روسـيا واليابـــان .. وتعهــدت فيهـــا روســيا بـــالجلاء عن منشورات .. والتنازل عن القطاع الجنـوبي لسـكة

حديد منشـورات .. وحصـلت اليابـان على النصـف الجنـوبي من جزيـرة (سـخالين sakhaline) .. وعلى ملكية الامتياز الروسـي الخـاص باسـتئجار جزيـرة (لياوتونغ Liao-tung) .. وعلى أثر هـذه الحـرب **بدأ التــذمر يســتفحل بين صــفوف الشــعب الروسي** نتيجـة الهـزائم الـتي ألحقهـا اليابـانيون بـالجيوش الروسـية من جهـة .. ونتيجـة اسـتبداد الحكم الأوتـوقراطي القيصـري من جهـة أخـرى .. وكـانت المسـألة الزراعية من أهم الأسـباب الـتي سـاعدت على انـدلاع الثـورة .. فبـدأ التمـرد بـأن عمت البلاد موجـة من المظـاهرات والاضـطرابات والإضرابات .. وبدأ تحرك العمال وتبعهم الفلاحون .. وكثرت الأحزاب والمنظمات الشعبية المعارضـة .. ومن هـذه الأحـزاب: حـزب العمـال الاشـتراكي الــديمقراطي .. وهــو أهمهــا .. وحــزب الحــرس الأحمـر الـذي ضـم عمـال المصـانع المسـلحين .. وحزب المناشـفة الأممين وهـو مؤلـف من عمـال بتروغراد بقيادة ليون تروتسكي.

وفي 3 كانون الثاني (يناير) 1905 أضرب عمال مصــنع بوتيلــوف (potelov) في بــتروغراد (وهــو الاسم القديم لمدينة لينينغراد) احتجاجا على طرد بعض العمـال المنتسـبين إلى المنظمـة الغابونيـة (منظمة مؤلفـة من عمـال المصـانع في بـتروغراد يقودها الأب جيورجي غابون (Georgy Gapon) ..وعم الإضراب بـتروغراد ابتـداء من (8 كـانون الثـاني - ينـاير 1905) .. وبلـغ عـدد المضـربين 150 ألـف

عامـل .. وتـوقفت أكـثر المؤسسـات الكـبرى عن العمل .. كما توقفت الصحف عن الصدور ..

وفي يوم الأحد .. في الصباح الباكر من 22كـانون الثـاني(ينـاير) 1905 (الموافـق 9ينـاير حسـب التقويم الروسي القديم) صاغ العمـال .. بمعاونـة الأب غـابون .. عريضـة حـددوا فيها **مطـالبهم** .. وكان أهمهـا: "إنشـاء مجلس تأسيسـي .. وتقـديم الأرض للفلاحين .. وحريـــة الكلام .. والنشـــر والاجتماعـات .. وتحديـد سـاعات العمـل اليـومي بثمـاني سـاعات بـدلا من 16 سـاعة" .. وتوجـه عمال بتروغراد بقيادة الأب غابون .. مـع زوجـاتهم وأطفالهم بثياب العيد .. نحو المقر الدائم للقيصـر نيقولا الثاني في قصـره الشـتوي في بـتروغراد .. يحملـون صـور القيصـر والأيقونـات ويرتلـون الصلوات .. وكـانت الحكومـة القيصـرية على علم مسبق بهذه المظاهرة السلمية .. فأعـدت للقائهـا خير قواتها التي تضم الحرس القيصري والقـوزاق وفرق الخيالة .. ومـا أن اقـترب المتظـاهرون من البوابات والجسور المؤدية إلى وسط المدينة حتى نفـذ الجنـود أوامـر القيصـر فضـربوا المتظـاهرين بالمـدافع والرشاشـات الثقيلـة .. وأعلمت فـرق الخيالة سـيوفها برقـابهم رجـالا ونسـاء وأطفـالاً .. وأجهـزت على الجـرحى منهم .. فقتـل في هـذه المجـزرة الرهيبـة في يـوم واحـد أكـثر من ألـف مواطن .. وجرح ما يقـارب الخمسـة آلاف .. وقـد عـرف هـذا اليـوم في التـاريخ بيـوم **الأحـد الدموي** .. وأثارت هذه المجـزرة الرهيبـة سـخط

الشعب والجيش معـا .. فهب الملايين من العمـال إلى السلاح .. ودعوا إلى النضال والانتقام والثورة ..

وفي كانون الثاني(يناير) 1905 قامت في موسكو إضـرابات جماهيريـة رافقتهـا مظـاهرات سياسـية تأيـدا للبروليتاريـا .. وجـرت في عـدد من المـدن اشـــتباكات عنيفـــة مـــع الشـــرطة والقـــوات العسكرية .. كما اضرب 440ألف عامل من عمال المصـانع .. وامتـدت موجـة الإضـرابات إلى جميـع أنحــاء البلاد .. وشــملت الإضــرابات في الشــهور الثلاثـة الأولى من العـام 1905اكـثر من800ألـف شخص ..

وهب الفلاحون بعـد العمـال .. ففي كـانون الثـاني (ينـــاير) وشـــباط (فـــبراير) 1905 انفجـــرت الانتفاضات الفلاحية في مختلف منـاطق روسـيا .. وفي 12 أيـار (مـايو) عـام 1905 اضـرب عمـال الحياكـــة في مدينـــة (ايفـــانوفو-فوزنسنســـك IVANOVO-VOZINSINSK) واســتمر إضــرابهم حــتى أواخر تموز(يوليو) .. وكان إضـرابا ضـخما اشـترك فيه 30 ألف عامل .. وفي هذه الأثناء أنشـئت أول منظمــة للعمــال في روســيا [أول ســوفييت (أو مجــالس) منــدوبي العمــال] في بــتروغراد .. وضمت ممثلي المصانع والعمال .. وكانت مهمتهـا تنظيم الإضرابات المختلفة وقيادتها .. وفي صــيف 1905 ساند الفلاحون العمال وشملت الإضـرابات الفلاحية معظم أرجاء البلاد .. **وهاجم الفلاحون** أراضـي الملاكين العقـاريين وأحرقوهـا .. وأنشـئوا

أول اتحاد سياسي لهم هو (إتحـاد الفلاحين) كمـا أنشـــئت المليشـــيا للمحافظـــة على الأمن .. **وأنشـئت مجموعـات قتالية** لصـد الشـرطة والقوات العسكرية .. وكان لإنشاء هذه التنظيمات الثورية تأثير على الجيش والأسطول .. فانتشـرت الأفكـار الثوريـة بين الجنـود والبحـارة .. وكـانت انتفاضة السفينة (بونيومكي PONIPMKY) (السفينة المتمـردة) حـدثا ثوريـا ضـخما .. إذ انضـمت لأول مـرة سـفينة حربيـة كبـيرة إلى جـانب الشـعب الثـائر .. وبقيت .. كمـا قـال ليـنين (ارض الثـورة التي لم تقهر) ..

وفي 18تمـــوز(يونيـــو)1905أرســـلت الحكومـــة القيصرية أسطولاً بحريـا مؤلفـا من (12 سـفينة) لقصـف السـفينة المتمـردة في البحـر الأسـود .. فـاتجهت هـذه السـفينة إلى الشـواطئ الرومانيـة للتزود بالوقود والمؤن .. إلا أن الحكومة الرومانية رفضت السماح لها بـذلك .. فبقيت هـذه السـفينة أكـثر من أسـبوع في البحـر الأسـود تحت الرايـة الحمـــراء تثـــير الـــذعر والـــرعب في الســـلطات القيصرية الـتي ظلت تطاردهـا وتقصـفها بمدفعيـة السواحل حـتى اضـطرتها في النهايـة للتوجـه إلى رومانيـــا من جديـــد والاستســـلام للســـلطات الرومانية ..

وفي أيلـول (سـبتمبر) من العـام نفسـه جـرى بقيادة البلاشفة إضراب جمـاهيري شـامل قـام بـه عمـال موسـكو .. واشـترك فيـه عمـال المطـابع والخبازون وعمال التبغ وعمال السكك الحديدية ..

وقاد مجلس السوفييت هذا الإضراب .. فكان كما وصفه لينين بالبرق الأول للعاصفة الذي أضاء ساحة المعركة ..

وفي تشرين الأول (أكتوبر) 1905 .. بدأ إضراب عمال سكة الحديد في موسكو .. وامتد إلى بتروغراد .. ثم تحول إلى إضراب سياسي في جميع أنحاء روسيا .. وقد شل هذا الإضراب الموصلات في الإمبراطورية .. وتوقف عن العمل أكثر من مليون شخص فكان إضراباً ضخما لم يشهده أي بلد حتى ذلك الحين .. واشترك فيه العمال والمثقفون والأطباء والمهندسون والمعلمون والصحفيون .. وتوقفت الجامعات والمعاهد والمخازن عن العمل.

وفي هذا الوقت أنشئ حزبان برجوازيان معارضان للثورة هما: حزب الاكتوبريين (octobrists) .. وهو حزب يميني مثل البرجوازية من كبار الصناعيين والتجار .. وكانت مهمته الإبقاء على نظام الحكم .. وحزب الكاديت (kadet) .. وهو حزب الديمقراطيين الدستوريين وكان مكونا من الليبراليين المنتمين إلى الطبقات المالكة والمثقفين البورجوازيين .. كما كان حزب الإصلاح السياسي.

وفي نهاية تشرين الثاني(نوفمبر) 1905اندلعت انتفاضة البحارة في سيباستوبول (sibastopole) وفلاديفوستوك (vladivostock) .. ولكن المدفعية القيصرية قصفت السفن الثائرة فحطمتها .. واستسلم بحارتها فاعدموا .. وفي 7 كانون الأول

(ديسمبر) من العام نفسه .. بدأ إضراب سياسي عام تلبية لنـداء مجلس السـوفييت .. وتوقـف عن العمل أكـثر من مئـة ألـف شـخص ..لكن القـوات العسكرية وقوات الشرطة فـرقت المتظـاهرين .. وتحول الإضراب إلى انتفاضة مسـلحة .. فـأقيمت المتــاريس .. وبــدأت حــرب الشــوارع .. وكــان النضال عنيـدا وقويـا .. وسـقط خلالـه المئـات من الضحايا .. واستمرت المعارك الدموية عشرة أيام وصفها لينين (بقمة الثورة وذروتها) ..

ونتيجة لهذه الثورة وقع القيصـر نيقـولا الثـاني في 30 تشـرين الأول (أكتـوبر) (17حسـب التقـويم الروسـي القـديم) عـام 1906بيانـا عـرف ببيـان أكتوبر منح بلاده بموجبه مجلسا نيابيا (دوما) ..

ولقـــد انتخب مجلس الـــدوما الأول في 10أيـــار (مـــايو) 1906 .. ونـــال فيـــه حزبـــا الكـــاديت والترودوفيك أكثريـة الأصـوات رغم أن الانتخابـات جرت في ظروف قمع بوليسي رافقتهـا اعتقـالات جماعية .. وقد سعى القيصر جهـده لإضـعاف هـذا المجلس لأنـــه لا يتفـــق وسياســـته الزراعيـــة الرجعيــة .. إلا أنــه لم يتمكن من ذلــك .. فأقــال رئيســه ويت (S.y.witte) من منصــبه .. وعين في 6تمــوز (يوليــو) من العــام نفســه ســتوليبن (p.a.stolypin) رئيسـا المجلس بـدلا منـه .. كمـا أعلن عن عزمه على تأليف مجلس الدوما الثـاني وذلـك بالاتفـاق مـع الـرئيس الجديـد .. ثم حـل مجلس الدوما الأول في22 تموز (يوليو) عام 1906.

لقـد كـانت الثـورة الروسـية الأولى 1905 .. رغم فشلها وعدم وصول القوى الثورية المشتركة فيهـا إلى السلطة .. وتعـرض هـذه القـوى لعمليـة قمـع رهيبة .. مقدمة لتفجير ثورة 1917 .. كما كان لها أثرهــا ونتائجهــا في الحركــات العماليــة خــارج روسـيا .. فبتأثيرهـا انـدلعت الثـورات في كـل من الصـين وإيـران وتركيـا .. كمـا اتسـعت الحركـات العماليــة وتطــورت في بلــدان أوروبــا والولايــات المتحدة الأميركية .. وأثارت شعور التحرر الوطني في الهنــد واندونيســيا ومصــر وبلــدان الشــرق الأوسط ..

***

الثورة الروسية (1917)

هي أول ثـورة اشـتراكية[135] **منتصـرة** في تـاريخ العـالم .. قـامت بهـا الطبقـة **العاملة** الروسـية متحالفــة مــع **الفلاحين والجنــود** الــروس الفقراء .. وبفضلها تمت الإطاحـة بسـلطة تحـالف البورجوازية[136] مع كبار الملاك في روسيا .. وعلى أنقــاض هــذه الســلطة أقيمت دكتاتورية البروليتاريا[137] ..

[135] الاشتراكية: نظرية سياسية تستهدف تحقيـق ملكيـة المجتمـع ككـل لوسـائل الإنتـاج (رأس المـال .. الأرض .. الـثروة) ويتـولى المجتمـع إدارتها من أجل المصالح العامة .. وحتى تخـول للكـادحين حريـة فعليـة وتحقق المساواة بشكل جدي .. ولها أشكال كثيرة (اشتراكية الأساتذة .. اشتراكية إنسانية .. تعاونية .. خياليـة .. فابيـة .. قوميـة .. المجـالس البلدية) ..

[136] البرجوازيـة: طبقـة اجتماعيـة تمثـل طبقـة وسـطى بين الجمـاهير المعدمــة وطبقــة الأشــراف .. ينعم أفرادهــا بوضــع ينطــوي على الرفاهية .. وهي تضـم التجـار وأصـحاب المصـانع والعـاملين في المهن والمـوظفين الحكومـيين الـذين يتمـيزون بثقـافتهم وخـبراتهم الخاصـة بأسـلوب مشـترك في حيـاتهم الاجتماعيـة .. وهي بـذلك تتعـارض مـع الطبقة العمالية والطبقة الفلاحية .. والبرجوازية ثلاث فئات: البرجوازية العليا (التي تملك وسائل الإنتاج) .. البرجوازية الوسطى (تضم جميـع الذين يتمتعون بمركز مرموق في النشاط الاقتصـادي أو يزاولـون مهن حـرة) .. البرجوازيـة الـدنيا (صـغار التجـار والصـناع الـذين ترتبـط مصالحهم بشكل وثيق بمصالح البرجوازية العليا والوسطى) ..

[137] ديكتاتورية البروليتارية: شكل من أشكال التنظيم السياسي للدولـة في أثنـاء التحـول للاشـتراكية .. يعطي للبروليتاريـا الحـق في فـرض الديكتاتورية لتصفية الرواسب الرأسمالية والمعوقات الإقطاعية ..
الدكتاتورية: تركيز السلطات المطلقة في يـد فـرد واحـد دون الاسـتناد على القوانين القائمة ويخضع له المحكومون بدافع الخوف .. ويمـارس الحكم الدكتاتوري عادة لصالح جماعة محدودة .. ويحاول الديكتاتوريون

في مطلع القرن العشرين .. تهيأت الظروف في روسيا للثورة الاشتراكية .. بعد أن دخلت روسيا القيصرية[138] .. مع الدول الرأسمالية[139] المتقدمة الأخرى .. مرحلة تعفن الامبريالية[140] واحتضارها .. تلك المرحلة التي تمثل .. في الوقت نفسه .. عشية الثورة الاشتراكية .. وكانت التناقضات الطبقية في روسيا القيصرية .. في بداية القرن العشرين .. أكثر تعقداً وأشد حدة عنها في الدول الأخرى .. ووجدت أكثر أشكال **الرأسمالية** تطورا جنبا إلى جنب مع بقايا المرحلة **الإقطاعية**[141] .. والأساليب

المحدثون صبغ حكمهم بصفة دستورية يعتمدون على حزب رسمي وشرطة سرية ودعاية واسعة ..

[138] القيصرية: نظام حكم تترك فيه السلطة السياسية المستمدة من الشعب نظرياً بين يدي شخص واحد يكون موضع ثقة ويمارسها بطريقة تسلطية ..

[139] رأسمالية الدولة: تنشأ رأسمالية الدولة حين تمتلك جانباُ كبيراً من وسائل الإنتاج وذلك بإنشاء مشروعات ضخمة تمولها الدولة .. ويرى بعض الكتاب أن النظام الاشتراكي المطبق حالياً في روسيا عبارة عن رأسمالية الدولة ..

[140] الامبريالية: السياسة القومية التي تهدف إلى التوسع بضم أراضي ومستعمرات للدولة .. أما الشكل الحديث للإمبريالية في المفهوم الاشتراكي فاقتصادي وليس سياسي حيث تهدف إلى امتداد وسيطرة رأس المال واحتكار أسواق المواد الأولية واستغلال العمال الوطنيين ..

[141] النظام الإقطاعي: تدل الكلمة على السلطة والسيادة ثم انتقل استخدامها لسيطرة سيد إقطاعي .. وهو نظام سياسي أساسه اقتصاديات الريف .. ويتسم بتشتت السلطة في أنواع الأقاليم شبه المستقلة .. ويطلق على هذه الأقاليم اسم إقطاعيات .. ويكون الحصول عليها مشروطاً بأداء خدمة .. وقد عم هذا النظام أوروبا خلال القرنين الثاني والثالث عشر .. وكان كبار الملاك طبقاً لهذا النظام يحوزون الأراضي ثم يعهدون بها للمزارعين أو رقيق الأرض .. لاستغلالها مقابل ولائهم للإقطاعي والقيام بالخدمات العسكرية ..

الأُوتوقراطية[142] .. **واستبداد** الحكومة **وإرهابها** القمعي .. إلى جانب كل هذا كانت الطبقة القائدة للحركة الثورية الروسية (الطبقة العاملة) تنمو وتزداد قوة في روسيا .. ووصل عدد عمال مصانع السكك الحديدية والبناء والزراعة في العام1913نحو (12) مليون عامل .. وامتزج الكفاح الطبقي الذي شنته الطبقة **العاملة ضد الرأسمالية** الروسية .. مع كفاح ملايين **الفلاحين** الكادحين **ضد ملاك الأراضي** .. ولأن روسيا القيصرية كانت دولة متعددة القوميات .. اتبعت القيصرية سياسة استعمارية مكشوفة في قهر القوميات التي تتكون أساساً من الفلاحين.

ولقد تضافر الاستغلال الرأسمالي والإقطاعي .. والقهر القومي .. والإرهاب البوليسي .. والاستبداد السياسي .. وتعفن بلاط القيصر نيقولا الثاني .. وهزائم القوات المسلحة الروسية أمام القوات الألمانية .. ويؤس الجماهير إلى جوار بذخ الأقلية المستغلة التي أفادت من الحرب وازدادت غنى حتى وصل السخط الجماهيري إلى ذرى عالية .. ووصلت البلاد إلى أبواب الثورة.

وكانت قد قامت في روسيا .. في العام 1905 ثورة بورجوازية ديمقراطية عنيفة .. إلا أنها منيت بالفشل .. واعتبرها لينين مجرد (بروفة) لثورة

---

[142] الأوتوقراطية: حكومة يقوم على رأسها شخص واحد أو جماعة صغيرة أو حزب .. لا تتقيد بدستور او قانون .. ويقال أوتوقراطي من يحكم حكماً مطلقاً .. ويقرر وحدة السياسة التي تتبع دون أي مساهم من الجماعة .. ويتخذ الحكم أشكالاً عدة: كحكم الأقلية والدكتاتورية ..

تشـــرين الأول (أكتـــوبر) 1917.. وكـــانت ثـــورة شباط (فبراير) (حسب التقويم الروسي القـديم الـــذي يتـــأخر 13يومـــا عن التقـــويم الميلاد) الـــتي دمـــرت الأوتوقراطيـــة الروســـية .. خطـــوة هامـــة قربت ثورة تشرين الأول (أكتوبر) .. ولقـد سـبق هذه الثورة عدة محاولات قـامت بهـا البورجوازيـة لإصلاح الأوضاع وإنقاذ النظام عن طريق استبداله بنظام دسـتوري[143] .. وكـان آخـر هـذه المحـاولات طلب رئيس مجلس الـــــدوما (رودزيـــــانكو) من القيصر في 10شـباط (فـبراير) 1917 [تقـويم قـديم] عـزل وزيـر الداخليـة (بروتوبـو بـوف) المكـــروه شـــعبيا .. ولقـــد رفض القيصـــر هـــذا الطلب .. وفي 14\2 أضـــــربت 60 مؤسســـــة صـــناعية وهتـــف المتظـــاهرون ضـــد الحـــرب والأوتوقراطيـــة .. وفي 18و22 أضـــرب عمـــال مصـانع بوتيلـوف للأعتـدة الحربيـة .. وكـان يـوم 23شـباط (فـبراير) بدايـة الثـورة الـتي انـدلعت على شكل مظاهرات عمالية في بتروغراد اشترك فيها90 ألـف شـخص .. ثم اسـتمرت الإضـرابات والصـــدمات مـــع الشـــرطة في اليـــوم التـــالي .. واشترك في الإضراب 200 ألف عامل .. تظاهروا في بتروغراد .. ونددوا بالحكومة القيصـرية .. ولم تتخـذ السـلطات العسـكرية تـدابير شـديدة لقمـع الهبـة الجماهيريـة .. مـع أن تعـداد الحاميـة كـان حـــوالي150 ألـــف رجـــل .. وفي يـــوم 25 اتســـع

[143] نظـــام دســـتوري: أيدلوجيـــة سياســـية تـــؤمن بالنظـــام والمبـــادئ الدستورية وترى أن السـلطة التنفيذيـة للحكومـة يجب أن تقتصـر على ممارسة السلطات التي خولها لها الدستور ..

الإضراب حتى شمل 240 ألـف عامـل واسـتمرت الصـدامات مـع الشـرطة .. ولم يتـدخل القـوزاق بعنف لقمع المتظاهرين .. مع أنهم كانوا يشـكلون مع اليـونكرز (طلاب المـدارس العسـكرية) قـوة الصـدمة الـتي تعتمـد عليهـا الحكومـة لقمـع الشغب .. أمام هـذه التحـولات الخطـيرة .. ابـرق القيصر نيقولا في يـوم 25 إلى الجـنرال خابـالوف يأمره بوضـع حـد للفوضـى .. وفتحت فصـيلة من فصائل السيارات المصفحة النـار لأول مـرة على المتظاهرين .. وهدد خابـالوف العمـال .. وأمـرهم بـالعودة إلى أعمـالهم قبـل يـوم 28 .. وإلا فإنـه سيرسـل إلى الجبهـة جميـع العمـال الـذين يمكن دعـوتهم إلى خدمـة العلم .. وفي ليلـة 25-26 اعتقلت الحكومـة حـوالي مائـة من المناضـلين الثـوريين من بينهم 5 أعضـاء من لجنـة بلاشـفة بـتروغراد .. ولكن الثـوار سـيطروا على أحيـاء فيبورغ (ضـاحية عماليـة من ضـواحي بـتروغراد) بكاملهـا .. واسـتولوا على مراكـز الشـرطة .. وسيطروا على عدة شوارع في العاصمة نفسها .. وفي يـوم 26 اتسـعت المظـاهرات والصـدمات وتـدخل الجيش ضـد الثـورة وأطلـق النـار على المتظـاهرين .. وكـان الثـوار يحـاولون اسـتمالة الجيش وتحييـده .. وفي المسـاء تمـردت السـرية الرابعـة من فـوج بافلوفسـكي .. وتـركت الثكنـة ونزلت إلى الشارع بقيادة ضابط صف واصطدمت مع الشـرطة ثم عـادت إلى الثكنـة حيث حاصـرها فـوج بريـو براجينسـكي .. وجردهـا من سـلاحها

واعتقل عدداً من أفرادها .. وقام القيصر نيقولا الثاني بحل مجلس الدوما .. وفي يوم 27 قرر العمال متابعة النضال .. وكان ذلك يعني **العصيان المسلح** .. ولقد أدى هذا القرار إلى اندلاع الثورة بشكل عفوي لم تخطط الأحزاب الثورية له .. وحاول العمال استمالة فوج موسكوفسكي وفوج الاحتياط .. ولكن الضباط أحبطوا هذه المحاولات .. وأطلق الجنود النار على الجماهير التي أخذت تطالب بالسلاح .. ونظرا لعدم توفر الأسلحة لدي العمال بشكل مسبق فقد بدأ هؤلاء العمال بنزع سلاح الشرطة لاستخدامه ضد الجيش وانتزاع سلاحه ومقاتلته به .. وتضافر نضال العمال المسلح .. وأساليبهم النفسية لاستمالة الجنود .. والاستفادة من حقد القِطْعَات الاحتياطية على القيادة وعدم ثقتها بها وعدم رغبتها في استمرار الحرب أو الذهاب إلى الجبهة .. فتمردت الأفواج الاحتياطية الموجودة في بتروغراد .. وكان فوج فولهينسكي أول المتمردين وانضم إلى العمال .. وتمرد الفوجان الليتواني وبريوبراجينسكي أيضا .. واستولى العمال الثوريون على الأسلحة من الثكنات ومن مخافر الشرطة ومستودعاتها .. **وتضافرت الحركة الثورية العمالية مع الحركة الثورية للجنود الذين نزلوا إلى الشارع** .. وأخذتا تعملان معا لكنس النظام القديم .. وانضم فوج موسكوفسكي إلى الثورة التي صارت تملك سيارات مصفحة ورشاشات وآلاف البنادق ..

ووقعت اشـتباكات بين العمـال والجنـود الثـوريين من جهة .. واليونكرز وقوى الثورة المضادة وبعض قطاعـات الجيش من جهـة أخـرى .. وانتشـرت الانتفاضـة داخـل الجيش كالنـار .. وفي مسـاء 27 انضـم فـوج سيمينوفسـكي إلى الثـورة .. وحـاول خابالوف قمع الثورة بالقوة .. ولكن القـوات الـتي كان يرسلها لتنفيـذ المهمـات كـانت تختفي وسـط الجماهير .. لذا حـاول التمـترس في مقـر الشـتاء وتحويلـه إلى قلعـة حصـينة والاتصـال مـع كرونشتادت لاستقدام قوات تقمع الثـورة .. ولكن **العـدوى الثورية** كـانت قـد انتقلت إلى مختلـف المنـاطق .. وعنـدما احس خابـالوف بـأن تـدابيره غدت بلا جدوى هـرب من مقـر قيادتـه في مسـاء 27 ولم يعتقـل إلا في اليـوم التـالي .. وفي يـوم 28 ترك القيصر مقر قيادته العليا .. واعتكف في تسـاركويه - سـيلا .. وتم توقـف وزراء الحكومـة القيصرية . وأعلن الإضراب العام في موسكو ..

هكـذا وبكـل سـهولة انهـار النظـام القـديم .. واستولت الجماهير على السجون وأطلقت سـراح الموقـوفين السياسـيين .. وسـيطرت على جميـع المؤسسـات الحيويـة في المدينـة .. وأقـامت في (قصر توريد) هيئة أركان ثورية .. واعتقلت أعداء الثورة **وتحقق انتصار الثـورة بثمن صـغير** .. إذ قـدر عـدد الضـحايا في بـتروغراد بــ (1443) قـتيلا وجريحـا .. من بينهم (869) عسـكريا كـان بينهم (60) ضابطا ..

وعلى أثـــر نجـــاح الثـــورة تشـــكلت مجـــالس السـوفييتات (سـوفييتات العمـال والفلاحين والجنــود) .. وفي 2 آذار (مـارس) تشـكلت حكومـة مؤقتـة بورجوازية برئاسـة الامـير لفلـوف واسـتقال القيصـر لصـالح أخيـه ولي العهـد الأمـير ميخائيل .. ولكن ميخائيل استقال في اليوم التالي .. وتقـرر عقـد مجلس تأسيسـي لتحديـد شـكل الدولة الروسـية المقبـل .. وفي 8 آذار(مـارس) جرى توقيف نيقولا الثاني وفرض الإقامة الإجبارية على العائلـة الإمبراطوريـة في تسـاركويه سـيلا .. وكـان هنـاك ازدواج واضـح في السـلطة بين الحكومة المؤقتة والسوفييتات المنتشـرة في كـل أنحاء البلاد .. ولقـد طـالب الشـعب الروسـي بعـد نجاح الثورة بإنهاء الحرب الاستعمارية الـتي كـانت روسـيا تخوضـها إلى جـانب الحلفـاء .. وإقـرار السـلام .. وإلغـاء ملكيـة كبـار ملاك الأرض .. وتخفيض سـاعات العمـل .. كمـا طـالب بـإطلاق الحريات الديمقراطية .. ووقـف القهـر القـومي .. إلا أن الحكومة المؤقتة تجـاهلت مطـالب الشـعب هذه .. ووصل بها الأمر إلى حد أنها لم تعلن إلغاء النظام الملكي .. انتظـارا لأول فرصـة تمكنهـا من إعـادة القيصـر إلى عـرش روسـيا .. وأعلنت في 27آذار(مارس) عن عزمها على متابعة الحرب (حـتى النصـر النهـائي) .. ورفضـت مجـالس السوفييتات التي يهيمن عليها ممثلوا البورجوازيـة الصغيرة (المناشفة .. والاشـتراكيون الثوريـون .. والفوضـويون) أخـذت زمـام السـلطة بيـدها ..

وبسبب تمتع البلاشفة بتأييد الشعب المسلح .. أصبحوا مؤهلين للاستيلاء على السلطة دون إراقة دماء .. ودون الحاجة إلى تفجير انتفاضة مسلحة .. وفي الثالث من نيسان (ابريل) 1917] بالتقويم الروسي القديم] عاد لينين إلى روسيا من منفاه في سويسرا داخل عربة قطار مغلقة حملته مع 30 ثوريا روسيا منفيا عبر ألمانيا وبإذن من حكومتها .. وفي اليوم التالي اطلع قادة الحزب البلشفي على خطته الرامية إلى الانتقال بالثورة من مرحلتها **البورجوازية الديمقراطية** إلى **الثورة الاشتراكية** .. وبعد ثلاثة أيام من وصول لينين .. نشرت (البرافدا) - جريدة الحزب البلشفي التي انتقلت بعد الثورة البورجوازية عن السرية إلى العلن - موضعات لينين التي تشير إلى انتهاء المرحلة الأولي من الثورة .. تلك التي أوصلت البورجوازية إلى السلطة .. وبداية المرحلة الثانية التي يجب أن تنتهي بانتقال السلطة إلى أيدي الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين الكادحين .. وإلى ضرورة تحول الثورة البورجوازية الديمقراطية .. إلى ثورة اشتراكية .. وطالب لينين بإتباع **تكتيكات**[144] مؤداها: عدم الثقة بالحكومة المؤقتة .. وعدم مساندتها .. مع فضحها أمام الشعب نظرا لأنها أدارت ظهرها لمطالبه في السلام والخبز والحرية والأرض ..

[144] يلاحظ هنا عمق رؤية القيادة بعدم استخدام وسائل الانتفاضة المسلحة عند القدرة على إسقاط النظام بوسائل الانتفاضة السلمية .. فالانتقال من حالة لأخرى ومواجهة أشكال النظام بما يلائمه .. يؤكد على نضج القيادة وفهمها لمهامها ..

وإقنــاع الشــعب بــأن ســوفييتات نــواب العمــال والجنـــود هي المؤهلـــة للاســـتجابة إلى مطـــالب الشعب وتحقيقها .. ومن هنا رفع الحزب البلشفي شعار: (كل السلطة للسوفييتات) .. ووضع لينين منهاجا لنشاط الســوفييتات تضــمن مــا يلي:- **في الميدان الدولي** .. النضال في سبيل عقد صــلح ديمقراطي عام .. **في الميدان الاقتصــادي** .. تأميم جميع المصــارف .. وإنشــاء مصــرف شــعبي واحد موحد .. وتأميم احتكارات السكر والتعدين .. وفرض رقابة الســوفييتات علي كــل إنتــاج وتوزيــع المنتجات .. **في الميدان الــزراعي** .. مصــادرة أراضي الملاك بــدون أي تعــويض .. وتــأميم جميــع الأراضــي الزراعيــة في روســيا .. **في الميــدان القــومي** .. منح شــعوب الأقــاليم الــتي تســيطر عليها روسيا حق تقرير المصير.

وفي 24 نيســـان(ابريـــل) [حســـب التقـــويم القديم] انعقــد المــؤتمر الثــاني للحــزب البلشــفي الروسي .. فصادق على خطة ليــنين للانتقــال إلى الثورة الاشتراكية .. وبدأ الحزب البلشــفي نشــاطا ضخما بين جماهير الشعب الروسي .. لتعبئتها في وجـــه الرأســـمالية .. ومن أجـــل إنجـــاز الثـــورة الاشــتراكية .. وفي أول أيــار (مــايو) 1917 .. احتفل العمال الروس بعيد العمال العالمي .. لأول مرة بشكل علــني .. وفي هــذه الاحتفــالات جــرى التنديد باستمرار الحكومة الروســية في الحــرب .. وفي اليوم التالي خــرجت مظاهرتــان في شــوارع بـــتروغراد:- الأولى صـــغيرة الحجم .. تحركهـــا

الحكومــة المؤقتــة .. وتــدعو إلى الاســتمرار في الحرب .. والثانية بلشفية .. ضمت نحو مائـة ألـف عامل .. تطالب بنقل السلطة للسوفييتات .. وفي هذه اللحظة التي وضعت فيها الحكومة في مـأزق حرج .. هرع المناشفة والاشتراكيون الثوريون إلى مد يد المساعدة للحكومـة .. فشـاركوا في 5أيـار (مـايو) في تشـكيل حكومـة مؤقتـة ائتلافية من ممثلي الأحزاب البورجوازية (الكاديت أساسا) .. ترأســها الأمــير لفــوف .. وتــوالت مظــاهرات الاحتجـاج ضـد الحكومـة في موسـكو وفي مـدن الاورال وفي المراكز الصناعية الأخـرى .. وأخـذت قطاعات واسعة من العمال والجنود في بـتروغراد تنفض من حــــول الاشــــتراكيين الثــــوريين والمناشـــفة .. وبـــدأ العمـــال يســـحبون من الســـوفييتات النـــواب المناشـــفة والاشـــتراكيين الثوريين .. ليحلـوا مكـانهم نوابـا بلاشـفة .. وازداد مع الأيام عدد المؤيدين للبلاشفة بين عمال وجنود بتروغراد .. وبالرغم من تعـاظم نفـوذ البلاشـفة .. إلا أن نفوذ الاشتراكيين الثـوريين والمناشـفة ظـل هـو السـائد في روسـيا .. واتضـح ذلـك جليـا في المؤتمر الأول للسـوفييتات المنعقـد في بـتروغراد في 3 حزيران (يونيو) 1917 [تقـويم قـديم] .. فقد حضر جلسات المـؤتمر زهـاء ألـف منـدوب .. لم يكن البلاشفة يمثلون وسطهم سـوى أكـثر من العشر بقليل .. واسـتغل المناشـفة والاشـتراكيون الثوريـــون الأغلبيـــة .. ومـــرروا في المـــؤتمر مشروعهم بتحبيذ سياسة التحالف مع البورجوازية

.. ورد البلاشـفة بالـدعوة إلى إقامـة مظـاهرة في بتروغراد .. في العاشر من حزيران(يونيــو) .. إلا أن المؤتمر منع المظاهرة .. عشية اليوم المحـدد لقيامها .. عندها قـررت اللجنـة المركزيـة للحـزب البلشفي إلغاء المظاهرة .. تجنبا منها للصدام مــع الســوفييتات .. وفي محاولـــة لامتصـــاص نقمـــة العمال .. عاد المـؤتمر وقـرر إقامـة مظـاهرة في الثــامن عشــر من حزيــران (يونيــو) [تقــويم قــديم] .. ولكن تحت شـعار الثقــة في الحكومـة المؤقتـة .. ودعـا البلاشـفة العمـال إلى الاشـتراك في هــذه المظــاهرة .. ولكن تحت شــعار(كــل الســلطة للســوفييتات) .. وفي اليــوم الموعــود تجمـع نحـو (500 ألـف) من العمـال والجنـود .. سارت أغلبيتهم تحت الشعار البلشـفي .. في حين رفعت قلـة لافتـة (الثقــة) بالحكومـة .. وخـافت الحكومــة من النفــوذ المتزايــد للبلاشــفة .. ولجــأ زعماء البورجوازية إلى الوسيلة التقليديـة لاغتيـال الثورات .. وهي ضربها بحجة حماية مـؤخرة جبهـة القتــال .. فقــررت شــن هجــوم عســكري علي القــوات الألمانيـــة .. فــإذا نجح هــذا الهجــوم .. توطدت سلطة الحكومة .. مما يسهل عليها مهمـة قمـع القــوى الثوريــة .. أمــا إذا فشــل فســتلقي باللوم على البلاشفة .. الذين يقفون ضد الحــرب ويفســدون معنويــات الجيش الروســي .. وجــاء توقيت الهجوم موافقا ليوم قيام المظاهرة.

ولقــد مــني الهجــوم الروســي بقيــادة الجــنرال بروسليوف وتحت إشراف وزير الحربية كيرنسكي

بفشل ذريع .. بسبب سوء تحضـيره .. ممـا أعطى الفرصـــة للقــوات الألمانيـــة كي تشـــن هجومـــا مضاداً .. وتستولي على رقعة واسعة من الأراضي الروســية .. وعلى كميــات كبــيرة من الأســلحة والـــذخائر .. كمـــا أســـرت العديـــد من الجنـــود الروس .. وفي الهجوم الروسي والهجوم الألماني المضاد خسرت القوات الروسية نحو60 ألـف بين قتيل وجريح .. وفي الثاني من تموز (يوليو) ترك وزراء الكـــاديت الحكومـــة الائتلافيـــة المؤقتـــة .. وبمجرد فشل الهجوم .. بدأت الحكومـة الروسـية في تنفيذ خطتها .. فشددت الصحافة الموالية لهــا الهجــوم على البلاشــفة .. بـــدعوى أنهم أحبطــوا الهجـوم الروسـي بـدعايتهم ضـد الحـرب .. إلا أن سخط الجماهير الكامن سرعان ما انفجـر بصـورة عفويـة .. ففي 3 تمـوز (يوليـو) [تقـويم قـديم] نظم جنــود فــوج الرمــاة الأول المرابــط في بــتر وغـــراد .. مظـــاهرة مســـلحة ضـــد الحكومـــة .. وأرسلوا مندوبيهم إلى المصـانع وإلى بقيـة أفـواج حاميـــة بـــتروغراد .. يحثـــونهم على الانضـــمام إلى المظاهرة .. ولقـد انضـم اليـهم في مسـاء 7\23 جنــود 9 قطعــات عســكرية بالإضــافة إلى بحــارة كرونشــتادت وعمــال المصــانع الــذين تجمعــوا في ساعة متأخرة من الليل أمام قصـر توريـد وأخـذوا يطـــالبون بإســـقاط الحكومـــة المؤقتـــة وتســـليم الســـلطة للســـوفييتات .. وكــان البلاشــفة بقيــادة لينين قد عارضـوا القيـام بالمظـاهرة .. إذ رأوا أن الظـــروف لم تنضـــج بعـــد لإســـقاط الحكومـــة ..

فــالقوى الثوريــة الموجــودة في العاصــمة تكفي للاستيلاء على السلطة .. إلا أن الحفاظ على هـذه السلطة كان مستحيلا .. بسبب ثقـة البلاد وقـوات الجبهــة بالحكومــة .. ممــا يجعــل وقــوف أغلبيــة الشعب ضد الثورة أمراً مرجحـا .. إلا أن البلاشـفة عجـــزوا عن كبح جمـــاح الجمـــاهير الهائجـــة .. **وقرروا السير في مقدمتها لتنظيمها** ..

وفي الرابع من تموز(يوليو) [تقويم قديم] خرج أكــثر من 500 ألــف شـخص إلى الشــوارع تحت شــعار:(كــل الســلطة للســوفييتات) .. وضــمت المظاهرة فصائل من الحرس الأحمر ومن بحـارة كرونشــتادت والجنــود الثــوريين .. وتــردد زعمــاء اللجنة التنفيذية للسوفييت .. وتمركـزت الحكومـة المؤقتة في قصـر مـاري .. واسـتقدمت من جبهـة القتال قوات مضمونة (فرقة الخيالة 14 .. وفـوج قوزاق الـدون .. وفرقــة من الأوهـالانس .. وفـوج ايسبورســكي177 .. وفــوج مالوروسيســكي) .. وفتحت هذه القوات النار على المظـاهرة وشـتتت الجنــود والعمــال .. وفي ليلة4-5 تمــوز(يوليــو) حطمت الفصائل الموالية للحكومـة مقـر صـحفية (البرافــدا) ومطبعتهــا .. وعهـدت الحكومــة إلى فصــيلة خاصــة من اليــونكرز (طلبــة المــدارس العسكرية) البحث عن ليـنين واعتقالـه أو قتلـه .. إلا أن لينين تمكن من الاختفاء مـع عـدد من قـادة البلاشفة ..

وحــاولت الحكومــة المؤقتــة إقامــة **دكتاتوريــة للثــورة المضــادة** .. وشــنت حملــة اعتقــالات

واسـعة .. في الشـهر نفسـه .. ضـد البلاشـفة .. وسـحبت الوحـدات العسـكرية الثوريـة من بـتروغراد .. وأرسـلتها إلى الجبهـة .. وفي الجيش أعيـد العمـل بعقوبـة الإعـدام في 27تمـوز (يوليو) .. وتم اعتقال آلاف الجنود لرفضهم تنفيذ الأوامـر الصـادرة إليهم .. وتم إعـدام العديـد منهم رميـا بالرصـاص .. وانتقلت السـلطة بكاملهـا للبورجوازيين .. عنـدها تأكـد الحـزب البلشـفي أن إمكانيـة وصـول العمـال والفلاحين الكـادحين إلى السـلطة بطريقـة سـلمية قـد اختفت .. واسـتبدل البلاشـفة تكتيكـاتهم الكفاحيـة .. بمـا يتلائم مـع الأوضاع الجديدة .. فمنذ 27 تمـوز (يوليـو) حـتى بداية آب (أغسطس) [تقويم قـديم] انعقـد في بتروغراد .. بصورة شبه سرية .. المؤتمر السادس للحزب البلشفي .. الذي بلغت عضويته .. آنذاك .. 24الف عضـو .. وقـرأ سـتالين التقريـر السياسـي الذي أعـده ليـنين .. الغـائب عن المـؤتمر .. ولقـد ذكـر ليـنين في تقريـره ان من المسـتحيل على الطبقـة العاملـة الروسـية أخـذ السـلطة بصـورة سلمية .. **إذ لا يمكن الاستيلاء على السلطة إلا بالقوة** .. بعد إسقاط حكومة الثورة المضادة .. ورأى لينين أن شعار (كل السلطة للسوفييتات) لم يعد يناسب الوضع الجديد .. بعـد أن أصـبحت السـوفييتات ذيلا للحكومـة البورجوازيـة .. ودعـا ليـنين المـؤتمر إلى تشـديد الكفـاح لكسـب السوفييتات إلى جانب البلاشـفة .. وأقـر المـؤتمر خطـة إعـداد الانتفاضـة المسـلحة لإسـقاط حكم

الرأسمالية .. وصادق المؤتمر على خطـة الحـزب الاقتصـادية .. الـتي صـاغها ليـنين فيمـا عـرف بـ (موضوعات لينين) .. وهي التي رأت أن اقتصـاد روسـيا يتـدهور .. وأن الشـعب يعـاني من الجـوع والفقـر المـدقع .. وأن قيمـة النقـد الروسـي في هبوط مسـتمر .. في حين اشـتدت التبعيـة لـرأس المـال الأجنـبي .. ممـا حـول روسـيا إلى شـبه مستعمرة للامبريـاليين الأجـانب .. وانتهت الخطـة إلى أن إنقـاذ روسـيا لا يتم إلا بإسـقاط الحكومـة البورجوازية .. وبنقل السلطة إلى الطبقة العاملـة والفلاحين الكادحين ..

وفي هذا المؤتمر ضُمت إلى الحزب الفرقـة الـتي كان يرأسها تروتسكي .. كما ضُم الجناح اليسـاري من المناشـفة و(الانـتر-ديسـتريكت) .. ودعـا المـؤتمر إلى مضـاعفة النشـاط وسـط الجمـاهير الروسـية .. ورص صـفوف كـل القـوى الثوريـة الروسـية .. من أجـل إسـقاط ديكتاتوريـة البورجوازيـة .. وفي 1 آب (أغسـطس) تم إبعـاد نيقولا الثاني وعائلته إلى طوبولسك في سيبير يا (ولقـد بقي القيصـر هنـاك حـتى أعـدم في العـام 1918) ..

وفي خريـف 1917أوصـلت سياسـة الحكومـة المؤقتة روسيا إلى حافـة كارثـة وطنيـة .. بعـد أن اتسعت أعمال التخريب في الصناعة وفي وسائط النقـل .. وتناقصـت المـواد الخـام والوقـود ممـا تسـبب في إغلاق مئـات المصـانع .. وانتشـرت البطالـة بين العمـال .. واختفت معظم مـواد

التموين الرئيسية .. وارتفعت أسعار كل السلع .. وكادت البلاد أن تشهر إفلاسها .. بعد أن أغرقت الحكومة المؤقتة الأسواق بالعملة الورقية دون غطاء ذهبي .. وارتكنت الحكومة المؤقتة .. بالكامل .. على القوى الاستعمارية الغربية .. حتى وصلت ديونها من هذه الدول إلى حوالي 60 ألف مليون روبل من الذهب .. ووقعت إضرابات عمالية واسعة .. وتوقف 700 ألف من عمال السكك الحديدية عن العمل مطالبين بتحسين شروط حياتهم .. وما كادت الحكومة تسوي أمر هذا الإضراب حتى أضرب عمال التعدين والأحذية .. وتبعهم 300 ألف من عمال النسيج .. وتميزت هذه الإضرابات عما سبقها من إضرابات .. بطرد العديد من أصحاب العمل .. واستيلاء العمال على إدارة المصانع .. واشتعلت هبات فلاحية في سائر أنحاء روسيا ..

وفي 21 آب (أغسطس) سقطت ريغا بيد الألمان .. واستغل الجنرال كورنيلوف القائد العام لجيش الروسي هذه الفرصة وحاول القيام **بانقلاب عسكري**[145] في 27 آب (أغسطس) لإقامة ديكتاتورية عسكرية .. وتحركت قواته باتجاه العاصمة .. وهنا **تضافر البلاشفة مع الحكومة** .. وأحبطوا المؤامرة الانقلابية .. وألقي القبض على كورنيلوف .. وعين كيرنسكي قائدا عاما

[145] تغيير مباغت وحاسم في حكومة ما بفضل تدخل الجيش أو بعض فئاته .. يستخدم فيه العنف أو التهديد باللجوء إلى العنف .. وكثيراً ما يعقب الانقلاب العسكري إجراء استفتاء عام يقصد به اسباغ الشرعية على الأمر الواقع الجديد..

للجيوش الروسية في 30 آب (اغسطس) .. مما أجج حركة الفلاحين .. فهبوا يطالبون بالأرض .. وسيطروا .. في الشهر نفسه .. على 440 ضيعة من كبار الملاك .. وفي الشهر التالي فرضوا سيطرتهم على 958 ضيعة أخرى .. وفي 31 آب (أغسطس) [بالتقويم القديم] وافق سوفيات بتروغراد على مشروع قرار قدمه النواب البلاشفة بنقل السلطة إلى السوفييتات .. فسارع كيرنسكي .. في اول ايلول (سبتمبر) .. إلى تشكيل **حكومة مديرين** من خمسة أعضاء .. وأعلنت الجمهورية الروسية .. وفي 5 أيلول (سبتمبر) وافق سوفييات موسكو على قرار بنفس معنى قرار سوفيات بتروغراد .. وتوالت بقية السوفييتات في تبني قرارات مماثلة .. وانحازت حاميتا بتروغراد وموسكو إلى صف البلاشفة في الكفاح ضد .. الحرب الاستعمارية ومن أجل إقرار السلام .. وحدث الشيء نفسه مع أسطول البلطيق .. ومع جنود الجبهتين الشمالية والغربية .. وتعاظمت حركة التحرر القومي في الأقاليم التي تهيمن عليها روسيا .. وفي الوقت نفسه كانت الحكومة المؤقتة تعاني أزمة مستمرة في السلطة .. وجدت تعبيرها في التغير المستمر في مجلس الوزراء .. **وعمت الفوضى صفوف المناشفة** .. وانفصل عنهم فريق سمى نفسه (الاشتراكيون الديمقراطيون الأمميون) .. وطالب هذا الفريق بضرورة التحالف مع البلاشفة .. وظهر جناح يساري في الحزب

(الاشـتراكيين الثـوريين اليسـاريين) .. وبـادر إلى التحـالف مـع البلاشـفة .. وتطـور الموقـف .. حين رفضـت (القاعـدة) العيش بالطريقـة القديمـة .. في حين عجـزت (القمــة) عن الحكم بالطريقــة القديمــة .. ودوليــا .. كــانت القــوى الامبرياليــة مشتبكة مع بعضها البعض في حرب ضـارية .. ولم يكن بوسعها وقف هذه الحرب والتفرغ لوأد الثورة في روسيا .. **وبذا تكـون الأزمـة الثوريـة قـد نضجت .. إذ أصبحت الظـروف الموضـوعية والذاتيـــة مواتيـــة لإشـــعال الانتفاضـــة المسلحة صد الحكومة الؤقتة ..**

وفي منتصف أيلول (سـبتمبر) [حسـب التقـويم الروســي القــديم] أرســل ليــنين .. من منفــاه الاختيــاري بفنلنــدا .. عــدة رســائل إلى اللجنــة المركزية للحزب البلشفي .. والى لجني بـتروغراد وموسكو .. أكد فيها على ضرورة إسراع البلاشـفة في الاســتيلاء على الســلطة في روســيا .. وفي الســابع من تشــرين الأول (اكتــوبر) [تقــويم قـديم] **عـاد ليـنين** من فنلنـدا إلى بـتروغراد .. **متخفيا** .. ومنــذ العاشــر من الشــهر نفســه .. عقـدت اللجنـة المركزيـة للحـزب البلشـفي عـدة اجتماعات .. ترأسها لينين .. وكانت بهدف مناقشة الاسـتعدادات للثـورة وخطـوات تنفيـذها .. كمـا انتخبت مكتبـا سياسـيا من سـبعة أعضـاء .. وقـرأ لـينين .. في الاجتمـاع الأول (10\10)تقريـرا عن ضـرورة إشـعال الانتفاضـة المسـلحة .. وصـادقت اللجنة المركزية على مشروع القرار الـذي صـاغه

لينين .. والقائل بحتمية الانتفاضة .. وان الظـروف الموضوعية والذاتيـة تامـة النضـوج .. إلا أن اثـنين من أعضــاء اللجنــة المركزيــة .. وهمــا كــامنييف وزينوفييف .. عارضـا هـذا القـرار .. في حين أيـده 20 من أعضــاء اللجنــة المركزيــة وامتنــع ثلاثــة آخرون عن التصويت .. وكان عدد أعضاء الحـزب البلشفي قد بلغ .. حينذاك .. زهاء400 ألف عضو .. وعن هـــذه الـــدورة للجنـــة المركزيـــة انبثقت (اللجنــة العســكرية الثوريــة) .. وترأســها ليــنين بنفسه .. وأشرفت هذه اللجنة المركزيـة للحـزب البلشفي في المنـاطق الصـناعية الروسـية بهـدف قيــادة الانتفاضــة .. وشــكلت اللجنــة التنفيذيــة لمجلس ســـوفييتات بـــتروغراد لجنـــة ثوريـــة عســكرية .. ترأســها بودوفويســكي .. وأرســلت اللجنـة مفوضـيها إلى كافـة الوحـدات العسـكرية المرابطـة في العاصـمة وضـواحيها .. واسـتكملت قوى الثـورة اسـتعداداتها لشـن الهجـوم .. وفجـأة نشــر كــامنييف وزينوفــييف خــبرا في صــحفية (نوفايـــاجيزن) المنشـــفية عن معارضـــتهما للانتفاضة الـتي قـررت تفجيرهـا اللجنـة المركزيـة للحــزب البلشــفي .. وفي الرابـع والعشــرين من تشرين الأول (أكتوبر) [حسب التقويم الروســي القديم] .. 6 تشـرين الثـاني (نوفمـبر) [حسـب التقــويم الميلادي] دعــا ليــنين قــوى الثــورة إلى (حسم الأمر هذا اليوم .. بالذات مساء أو ليلاً) .. وطلب من اللجنــة المركزيــة للحــزب البلشــفي السماح له بترك مخبئه في ضاحية فيبورغ والتوجه

إلى سمولني .. وما أن وصل إلى مكـان الاجتمـاع حتى أعطت اللجنة العسكرية الثورية الأمـر بشـن الانتفاضة المسلحة ..

واكتظت بـــتروغراد ليلة24-25 تشـــرين الأول (أكتـوبر) [حسـب التقـويم القـديم] بفصـائل الحــرس الأحمــر والجنــود والبحــارة الثــوريين وبسيارات الشحن التي تقل المواطنين المسلحين .. وبناء على أوامر الحزب البلشفي ولينين .. قائد الحزب .. احتل الحرس الأحمر والجنود والبحارة الثوريـون محطـات السـكك الحديديـة والجسـور ومراكـز المواصـلات ومحطـات الكهربـاء ودوائـر الحكومـة ومصـرف الدولـة .. وتم الاسـتيلاء على هـذا المصـرف تجنبـا لخطـأ (كومونـة بـاريس) القاتل .. الـتي لم تجـرؤ على المسـاس بأصـحاب المصارف .. مما أسلمها للإفلاس والجوع .. ومَخَرَ الطراد الموالي للبلاشفة (أورورا) في مياه نهـر نيفا .. وتوقف عند جسر نيكـولا يفسـكي .. وفي الصباح يـوم 25 كـانت أغلب بـتروغراد في أيـدي الثـوار البلاشـفة .. وإن احتفظت قـوات الثـورة المضادة ببعض مراكـز في وسـط المدينـة .. بمـا فيها (قصر الشتاء) .. حيث قبـع وزراء الحكومـة المؤقتة .. تحت حمايـة كتيبـة من اليـونكرز .. في حين هرب رئيس الحكومة كيرينسـكي .. سـرا من بتروغراد .. في سيارة السفارة الأمريكية .. واتجه إلى قطعات القوازق المسحوبة من الجبهة .. بغية العودة معها إلى العاصـمة .. وسـرعان مـا صـفت قـوات الثـورة جيـوب قـوات الثـورة المضـادة في

بتروغراد .. وحتى مساء 25 تشرين الأول (أكتوبر) [بالتقويم الروسي القديم] ظل (قصر الشتاء) .. محاصـرا بقـوات كثيفـة من الحـرس الأحمـر والجنـود والبحـارة الثـوريين .. وفي السـاعة 21 دوت فوق نهر نيفا وبتروغراد .. القنبلـة الأولى من مـدافع الطـراد (أورورا) .. إشـارة للبـدء في الهجوم علي(قصر الشتاء) .. وبعد ساعات قليلـة احتلت قـوات الثـورة القصـر .. حيث اعتقلت الـوزراء السـابقين .. وأودعتهم قلعـة بطـرس وبولص .. حيث كان القيصر يسجن الثوار من قبل .. ورفرف العلم الأحمـر فـوق العاصـمة الروسـية بتروجراد ..

وفي مساء السادس والعشرين من تشـرين الأول (أكتوبر) [تقـويم قـديم] افتتحت جلسـة مـؤتمر السـوفييتات الثـاني .. الـذي ضـم أكـثر من 650 مندوبا .. منهم نحو400 بلشفيا .. وقرابـة 180من الاشـتراكين الثـوريين والمناشـفة مـا بين 70-80 مندوبا .. غادر معظمهم مكان المؤتمر .. في حين انضـمت بقيتهم إلى أغلبيـة المـؤتمر .. واتخـذ المـؤتمر قـرارا بانتقـال السـلطة كلهـا إلى السـوفييتات .. وألقى ليـنين في المـؤتمر تقـارير عن السلام والأرض .. أشار فيها إلى أن البلاشـفة عرضـوا على حكومـات البلـدان المحاربـة جميعهـا الشروع فورا بمفاوضـات لعقـد صـلح ديمقـراطي عام .. وبدون إلحاقـات ولا تعويضـات .. أي بـدون الاسـتيلاء على أراضـي الغـير .. وبـدون ابـتزاز التعويضات الحربية من المهزوم .. مـع منح جميـع

الأمم والشــعوب الحــق في تقريــر مصــيرها .. واقترح لينين على المؤتمر إقرار (مرسوم الأرض) .. الــذي ينص على **مصــادرة** جميــع أراضــي الملاك والأديرة والعائلة القيصرية .. بلا تعويض .. وتمليكهـا للشـعب .. وشـكل المـؤتمر الحكومـة السـوفياتية .. الــتي حملت .. آنــذاك .. اســم (مجلس مفوضـي الشـعب) .. وتم تعـيين ليـنين رئيسا لهذه الحكومة .. كما انتخب المؤتمر أعضاء (اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا) واختـار كامنييف رئيسا لهذه اللجنة [في 8 تشرين الثاني (نوفمـبر) اسـتبدله بسـفيردلوف] .. وفي إطـار الحكومة السـوفياتية تم تشـكيل (لجنـة الشـؤون العسكرية والبحريـة) .. الـتي ضـمت بلاشـفة من ذوي الخــبرة العســكرية .. وهم : انتونــوف .. و أوفسيينكو .. والملازم الثـاني كريلينكـو .. والبحـار ديبينكو (رئيس اللجنة المركزية لأسطول البلطيق) .. وكانت هذه اللجنة أول هيئة حكومية سوفياتية للإدارة العسكرية .. وبعد فترة وجـيرة أضـيف إلى هذه اللجنـة أعضـاء جـدد وتحـولت إلى (مفوضـية الشعب للشؤون العسكرية والبحرية) ..

ولم تستســلم قــوات الثــورة المضــادة للهزيمة .. فقــاد كيرينســكي مــع الجــنرال كراســنوف وحــدات من القــوزاق من مدينــة أوستروف في اتجاه بتروغراد .. بهدف اسـتردادها من الثــوار .. وفي 27 تشــرين الأول (أكتــوبر) [حســب التقــويم الروســي القــديم] .. احتــل القـوزاق بقيـادة كراسـنوف (غاتشـينا) الواقعـة

جنوب غربي العاصمة .. وفي اليوم التالي احتالوا (تساركويه - سيلو) وتقدموا حتى مسافة 20 كيلومترا من العاصمة .. في الوقت الذي أحبط فيه الثوار البلاشفة محاولة قام بها طلبة المدرسة العسكرية للتمرد في بتروغراد .. وتكاتفت فصائل الحرس الأحمر ووحدات حامية بتروغراد والمدفعية والسيارات المصفحة وسفن أسطول البلطيق الحربية في مواجهة هجوم القوزاق .. ونجح الحرس الأحمر والقوات الثورية في وقف تقدم القوزاق والانتصار عليهم على مرتفعات بولكوفو في 30 ـ 31 تشرين الأول (أكتوبر) .. وإجبارهم على التراجع نحو (غاتشينا) .. مما هيأ الفرصة للثوار كي ينتقلوا من الدفاع إلى الهجوم ..

وطلب قسم من القوزاق **التفاوض** مع البلاشفة .. فتوجه ديبينكو يرافقه بحار ثوري واحد .. مساء الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) [تقويم قديم] إلى (غاتشينا) .. حيث يتمركز مقر قيادة القوات الرئيسية للقوزاق .. ونجح في إقناع جموع القوزاق بوقف القتال ضد البلاشفة وتسليم غاتشينا .. بل وتقرير اعتقال كيرينسكي وكراسنوف .. وتسليمهما للحكومة السوفياتية .. وفي اليوم التالي أصدرت (اللجنة الثورية العسكرية) بلاغاً عن العمليات .. أعلنت فيه دحر قوات كيرنسكي .. واعتقال كافة أركانه .. وعلى رأسهم كراسنوف وفويتينسكي .. في حين هرب كيرينسكي متخفيا في زى بحار ..

واعتباراً من السـابع والعشـرين من تشـرين الأول (أكتـوبر) [تقـويم قـديم] نشـبت في شـوارع موسكو اشتباكات دامية .. سرعان ما تحـولت إلى معركة حقيقة .. بين قوات الثـورة وقـوات الثـورة المضـادة .. وتصـدت فصـائل الحـرس الأحمـر .. والجنود الثوريون .. لقوات الثورة المضادة .. التي نجحت في الاسـتيلاء على الكـريملين وبعض المواقع الهامة في موسكو .. وسـارع عمـال تـولا وفلاديمير وغيرهما من المدن المجـاورة لموسـكو إلى نجدة ثوار موسكو .. وترأس فرونزه الفصـيلة المؤلفة من عمال مدينتي ايفانوفو وشويا لمؤازرة الثوار في موسكو .. ومن بتروغراد وصلت فصائل البحارة الثوريين .. وخاض الثـوار معـارك طاحنـة ضد قوات الثورة المضادة .. لانتزاع المواقـع الـتي تسيطر عليها .. وفي 3 تشرين (نوفمبر) [تقويم قـديم] أعلنت اللجنـة الثوريـة العسـكرية **تدمير قـوات الثـورة المضـادة** في موسـكو .. بعـد معركـة دامت خمسـة أيـام .. وانتصـار السـلطة السوفييتية في باكو وبسكوف ..

ونشب العديد من الاشتباكات والمعارك الأخـرى .. من أجـل إقامـة سـلطة السـوفيات .. في كـييف وخاركوف وطشقند وفلاديقوستوك ومعظم أرجـاء سيبيريا وغيرها من المنـاطق الروسـية .. في حين تم انتقـال السـلطة إلى البلاشـفة في كثـير من المنـاطق بشـكل سـلمي .. وفي 20 نوفمـبر (تشرين الثاني) تم احتلال مقـر قيـادة موجيليـف العليا من القوات السوفييتية ..

وحاز الحزب البلشفي .. أثناء ثورة تشرين الأول (أكتـوبر) .. على تأييـد وحـدات كبـيرة من القـوات المســـلحة الروســـية .. في حين وصــــل حجم (الحـرس الأحمـر) في العاصـمة وحـدها زهـاء (40,000) مسلح .. بينما انتشر200 ألـف آخـرون من عناصر(الحرس الأحمر) في أنحـاء روسـيا .. ووصل عدد الجنود الثوريين في حامية بتروغراد .. إلى حــوالي 150 ألــف رجــل .. وفي أســطول البلطيق .. المؤيد للبلاشـفة .. بلـغ عـدد المؤيـدين للبلاشفة نحو 180 ألف بحار .. يعملـون على متن 700 سـفينة حربيـة وقـارب مسـاعدة .. وانضـم مئــات الألــوف من الجنــود الثــوريين في جيش الميدان وحاميـات مـؤخرة القـوات المسـلحة إلى الثـورة البلشـيفية .. و انعـزلت الحكومـة المؤقتـة عن جمـاهير الشـعب الروسـي .. وعن الوحـدات العســكرية الروســية .. ولم يقــف إلى جــانب الحكومة المؤقتة من القـوات المسـلحة الروسـية سـوى اليـونكرز .. حـتى وحـدات القـوزاق الـتي كانت أمـل الحكومـة الرئيسـي .. فإنهـا لم تغـادر ثكناتهــا .. عاصــية بــذلك أوامــر الحكومــة .. وفي بــتروغراد نجحت الثــورة البلشــفية دون إراقــة دماء .. نسبيا .. في حين اتسـمت مقاومـة القـوى المضادة للثورة بالعنف في موسكو .. مما ضاعف عدد الضحايا لدى الطرفين ..

وفي نهايـة العـام1917 وخلال العـام 1918 .. تم **تأميم** المشرعات الصناعية الكبرى .. والبنوك .. والنقل .. والتجـارة الخارجيـة .. وحـررت السـلطة

السوفياتية شعوب روسيا من القهر القومي .. وأعلنت المساواة والسيادة الكاملتين لشعوب روسيا كلها .. وفي 3 آذار (مارس) 1918 .. توصل السوفيات إلى السلام .. وانسحبت روسيا من الحرب العالمية الأولى .. بعد عقد معاهدة بريست ليتوفسك .. ولكن الحرب الداخلية لم تلبث أن اندلعت .. وساعد على اندلاعها تدخل الدول الإمبريالية (انظر الحرب الأهلية الروسية وحرب التدخل) ..

شكل إعلان حقوق العمال والشعوب المستغلة أساس الدستور السوفياتي الأول (1918) .. (دستور جمهورية روسيا الاشتراكية السوفياتية المتحدة) .. وفتحت الثورة الروسية صفحة جديدة في تاريخ العالم .. وانقسم العالم بها إلى نظامين متعارضين " النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي" .. وكانت هذه الثورة بداية عصر الثورات الاشتراكية في الدول الرأسمالية .. وحركة التحرر الوطني .. ومهدت السبيل إلى الاشتراكية ..

وتَكمن أهمية هذه الثورة .. في **النمط الجماهيري** الذي قدمته في مجال المؤسسات الثورية .. ألا وهو السوفييتات .. ولم تكن تلك السوفييتات من صنع حزب سياسي بل من صنع الجماهير ذاتها .. ابتكرها العمال إبان الثورة الروسية الأولى الفاشلة (1905) .. وفيها رأى لينين النموذج المسبق للسلطة الجديدة .. وفي ثورة شباط (فبراير) 1917 .. انبعثت

السوفييتات من جديد وانتشرت في عموم روسيا .. ونتيجة لانتصار ثورة تشرين الأول (أكتوبر) تحولت السوفييتات من هيئات لتعبئة الجماهير و لإعداد الانتفاضة المسلحة إلى هيئات لسلطة جديدة .. هي سلطة العمال والفلاحين .. ووفرت السوفييتات أحسن الإمكانيات لإشراك جماهير الكادحين في إدارة الدولة الجديدة و في بناء الاشتراكية .. وقضت ثورة تشرين الأول (أكتوبر) على خطر تقاسم روسيا بين الإمبرياليين الأجانب .. وضمنت توطيد استقلال روسيا .. وحطمت هذه الثورة نظام الامبريالية الروسي الذي طالما عانت منه الشعوب التابعة لروسيا القيصرية .. ونالت هذه الشعوب حريتها[146] .. وحقها في تقرير مصيرها .. وأمنت ثورة تشرين الأول (أكتوبر) الشروط والظروف للتغلب على تأخر روسيا الاقتصادي والثقافي المزمنين .. وكانت انتصاراً للماركسية - اللينينية .. وأكدت بصورة ملموسة .. لجميع الكادحين أهمية وفعالية الحزب الماركسي الثوري ..

ولثورة تشرين الأول(أكتوبر)أهمية عالمية كبيرة .. فلأول مرة في تاريخ البشرية تنتصر الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين الكادحين في تحقيق ثورة وإقامة دولة مترامية الأطراف .. وتضم مساحات شاسعة من أوروبا وآسيا .. وبذا انفصل عن النظام الامبريالي بلد يبلغ عدد سكانه

146 ربما حكومات هذه الشعوب وإلا فإن الشعوب الإسلامية عانت الأمرين مع النظام الشيوعي الملحد ..

عند الثورة أكثر من 150 مليون نسمة .. ويشغل سدس الكرة الأرضية .. ويملك إمكانات اقتصادية هائلة .. ومن هذا شكلت هذه الثورة .. بحق .. انعطافا حاسما في تاريخ البشرية .. حيث أطلقت المبادرات الثورية للعمال في العالم .. كما دفعت حركات التحرر الوطني خطوات واسعة إلى الأمام .. ودشنت بداية نضال البشرية للتحرر من نير الامبريالية .. وأطل فجر عصر جديد على العالم .. عصر انتهاء الرأسمالية وتصفية الامبريالية .. عصر بناء الاشتراكية .. أهـ النقل من الموسوعة العسكرية للمؤسسة العربية للدراسات والنشر ..

ملاحظات:

* ثورة 1905 كانت انتفاضة سلمية قامت بها الطبقة البرجوازية ضد الحكم القيصري القمعي .. من أجل الحصول على بعض الإصلاحات .. انتهت بالفشل ..

* انتصرت الانتفاضة المسلحة على الدولة القيصرية القمعية .. ثم تحولت بعد مجيء لينن إلى انتفاضة سلمية لكنها لم تنجح في إسقاط الحكومة البرجوازية المؤقتة .. فتحولت قناعته بأن انتزاع السلطة لا يتم إلا بالقوة .. فعادت لتقود انتفاضة مسلحة .. خاضت معارك طاحنة ودامية ..

* يلاحظ سرعة انقضاض الطبقة البرجوازية التي لم تشارك في أعمال الانتفاضة أو شاركت بشكل رمزي فيها على الحكم وإقصاء الثوار .. والعمل

على إعــادة شــكل النظــام القــديم بمــا يخــدم مصـــــالحهم ويثبت أقـــــدامهم في الحكم .. دون إحداث تغيير ثـوري حقيقي .. وإزالـة هـذا الشـكل الطفيلي من الحكم لا يمكن من خلال انتفاضـــــة ناعمة مدعومة بالسلاح .. وإنما بانتفاضـة مسـلحة تقاتل وبقوة ..

* يلاحـظ قفـز بعض الثـوار في مـركب الحكومـة مسـتفيدين من كـل تحـرك ثـوري .. فسـرعان مـا تحــولت الحكومــة المؤقتــة إلى حكومــة مؤقتــة ائتلافيـة بعـد مظـاهرات بـتروجراد .. ومثـل هـذه التحركات الأنانية تطيل من عمر النظام وبلا فائدة حقيقـة .. فـإن تغـول النظـام لاحقـاً أكلهم .. فـإن استمر بقية الثوار في تفاعلهم الثـوري .. فيسـتمر الأمل بنجاح تجربتهم ..

التعليق:

يجب ملاحظة أن الانتفاضات السـلمية فاشـلة مـع الحكومــات القمعيــة الدكتاتوريــة إلا فيمــا نــدر (الثـــورة الإيرانيـــة) .. وأنـــه لا حـــل نـــاجع مـــع الحكومات الأوتوقراطية إلا بالانتفاضة المسـلحة .. وهذا ما تم في روسيا وغيرها من حركـات التحـرر الوطـني .. أمـا الحكومـات المؤقتـة المتولـدة عن ثورة غير مكتملة والـتي لا تلـبي مطـالب الشـعب ولا عمـق لهـا فيمكن لانتفاضـة سـلمية مـع تهديـد باسـتخدام القـوة أن تسـقطها شـريطة أن تكـون منظمة وتحت قيادة واعية ولديها غطـاء عسـكري قـــوي .. وفي حالـــة تنمـــر الحكومـــة المؤقتـــة واسـتخدامها للعنـف المفـرط فلا حـل إلا بـالعودة

للانتفاضة المسلحة .. وهذا يوفر قناعة بأن **الحكم لا يؤخذ إلا بالقوة** ..

الانقلاب العسكري يمكنه الانتصار على كافة أشكال الحكومات إلا أنه لا يمكنه الاستمرار في الحكم إذا كان مرفوضاً من الشعب .. ويمكن لانتفاضة مسلحة منظمة جيداً مع حركة عصيان مدني إسقاطه .. وفي حال نجاحهم يجب على قيادة هذه الانتفاضة أن تكون على درجة كبيرة من الوعي من خطر السماح لقيادات الجيش المهزومة بأن تدخل ضمن أي تسوية سياسية تضمن لهم مستقبلاً في إدارة الدولة .. وإلا فإن عمر الانتفاضة سيكون قصيراً جداً هذا إذا لم تحرف عن مسارها .. الواجب هو إعدام هذه القيادات أو القيام بمحاكمة هذه القيادات والقضاء المبرم عليها ..

***

الحرب الأهلية الروسية

وحروب التدخل الأجنبي(1918-1920)

هي الحرب التي دارت على الأراضي الروسية بعد ثورة تشرين الأول (أكتوبر) الاشتراكية ..

واشـــتركت فيهـــا القـــوات البلشـــفية النظاميـــة (الجيش الأحمر وشبه النظامية .. الحرس الأحمر) ضد التشكيلات المسـلحة الـتي أنشـأتها القـوات المضـادة للثـورة (الجيش الأبيض) ودعمتهـا كـل من الولايات المتحـدة وبريطانيـا وفرنسـا وألمانيـا والنمسا واليابان وتركيا بالسـلاح والمـال والخـبراء وبفيــالق تــدخل نظاميــة (انظــر الجيش الأحمــر والجيش الأبيض) ..

بعد انتصـار ثـورة تشـرين الأول (أكتـوبر) 1917 الاشـــتراكية في روســـيا .. خاضـــت الطبقـــات المستغلة الروسية مقاومة مسـلحة ضـد السـلطة الجديدة .. ومدت الحكومات الأميركية والبريطانية والفرنسـية والألمانيـة يـد العـون لقـوى الثـورة المضـادة الروسـية .. وفي العـام 1918 .. بـدأت القوات الألمانية - النمساوية هجومها المسلح على روسيا السوفيتية .. وصد الجيش الأحمر الروسي(الوليـد) المتـدخلين في بسـكوف ونارفـا .. إلا أن مـيزان القـوى كـان يميـل لصـالح قـوى التـدخل الأجنبي .. ممـا اضـطر الحكومـة السـوفياتيى إلى عقـد معاهـدة صـلح مـع ألمانيـا وحلفائهـا .. في الثالث من آذار(مـارس1918 .. عـرفت بمعاهـدة بريست ليتوفسك.

وفي الشهر المـذكور والشـهر الـذي تلاه .. احتلت قــوات التــدخل الألمانيــة - النمســاوية أوكرانيــا والقرم ومناجم الفحم في دونيتز .. كمـا اشـتركت مع القوات التركيـة في غـزو منطقـة القفقـاس .. وكـون الجـنرال الروسـي كراسـنوف - بمعاضـدة

قــوات التــدخل الأجنــبي - جيش الــدون للثــورة المضــادة .. جنــد فيــه القــوزاق .. وشــن هجومــا مسلحا على تساريتزين (فولغا غراد الآن) ..

وفي ربيــع 1918 .. تــدخل الحلفــاء والولايــات المتحـــــدة الأمريكيـــــة .. وفي الســــادس من آذار(مــارس) .. نـزلت القـوات البريطانيـة .. ثم الأمريكية .. في مورمانسـك .. وفي الخـامس من نيسـيان (ابريـل) .. نـزلت القـوات اليابانيـة في فلاديفوســـتوك .. وتلتهـــا القـــوات البريطانيـــة والأمريكية والفرنسية ..

وفي آب(أغســــــطس) .. احتلت القــــــوات البريطانية مدينة باكو .. وغزت تركستان ..

وكـــون الجـــنرالات الـــروس: كورنيلـــوف .. وألكســييف .. وديــنيكين جيشــا من المتطــوعين أسموه (الحـرس الأبيض) في الـدون في أواخـر العـام 1917 .. ومـارس الحـرس الأبيض نشـاطه المعادي للثورة الاشـتراكية في شـمال القوقـاز .. إلا أنـــه تقهقـــر مـــع بدايـــة العـــام 1918.. وفي الخـامس والعشـرين من أيـار(مـايو) بـدأ تمـرد القـوات التشـيكية (المشـكلة من أسـرى الحـرب النمســاويين - المجــريين في وقت ســابق) على امتداد سـكة حديـد سـيبيريا .. وفي بعض الأقـاليم الروسـية على نهـر الفولغـا .. وجـاء هـذا التمـرد بتحريض من القوى الاستعمارية .. واجتـاحت البلاد موجة من الهَبَّات والانتفاضات الثورية ضد مقاومة الكولاك للتحـولات الاشـتراكية الثوريـة في الريـف الروسي.

وفي صـيف عـام 1918 .. سـقطت ثلاثـة أربـاع الأقــاليم الروســية في قبضـــة الحـــرس الأبيض الأجنــــبي .. وانقطعت الصـــلة بين الجمهوريـــة السـوفيتية ومنـاطق إمـدادها الرئيسـية .. إلا أن الجيش الأحمر أخذ - منذ النصف الثاني من العـام 1918- يحرز المزيد من الانتصارات .. فحرر بعض المـدن الواقعــة على ضــفاف الفولغــا .. وبعــد استسلام ألمانيا (تشرين الثاني [نوفمبر] 1918) للحلفــاء .. ســارع هــؤلاء إلى الحلــول محــل القوات الألمانيـة .. فضـربوا حصـارا حـول روسـيا السوفيتية .. وحلت القوات الفرنسية والبريطانيــة محل الغزاة الألمان والأتراك .. في جنوب أوكرانيا والقـرم والقوقـاز .. وأعلن الأمـيرال كولتشـاك .. حاكمـــا أعلى لوروســـيا .. في تشـــرين الثـــاني (نوفمـبر) 1918.. وفي بدايــة العـام 1919 .. أصـبح ديـنيكين قائـدا لجيش المتطـوعين وجيش القوزاق الأبيض .. في الدون والكوبـان والتريـك .. وفي أواخـر العـام 1918وبدايـة العـام 1919 .. انقض الجيش الأحمـر على قـوات كولتشـاك في منطقـة بـيرم .. وحـرر جـزءاً كبـيراً من أوكرانيـا ومناطق البلطيـق وروسـيا البيضـاء .. وأعـاد بنـاء خطـوط مواصـلاته مـع تركسـتان .. ومـع ذلـك .. شنت قوات كولتشاك - يـدعمها الحلفـاء - هجومـا على الأورال .. في آذار(مـــارس) 1919 .. في محاولـة منهـا للوصـول إلى نهـر الفولغـا والالتقـاء بقــوات ديــنيكين .. إلا أن الجيش الأحمــر قطــع

الطريق على قـوات كولتشـاك .. بمجـرد اقترابهـا من الفولغا .. وألحق بها الهزيمة ..

وفي العــام 1919 .. تم للجيش الأحمــر تحريــر جبال الأورال وغرب سيبيريا .. كمـا هـزم الحـرس الأبيض في الشــمال عنــد بــتروغراد (ليــنينغراد الآن) .. فأثرت هذه الهزائم على الـروح المعنويـة لقوات التدخل الأجنـبي .. ووقـع تمـرد في نيسـان (ابريل) بين صفوف القوات الفرنسية في البحــر الأسود .. وبدأت حركة (ارفعوا أيديكم عن روسيا) في أوروبــــا الغربيــــة والولايــــات المتحــــدة الأمريكيـة .. ممـا اضـطر الاسـتعمارين إلى الكـف عن إرسال النجدات إلى قواتهم في روسـيا .. بـل وإلى سـحب قـواتهم من أوكرانيـا والقـرم .. في نيسيان (إبريل) 1919 .. ومن منطقة بحر الخزر في تمـــــوز (يوليــــو) .. ومن بـــــاكو في آب (أغســطس) .. واســتعاض الاســتعماريون عن التـدخل المباشـر بمضـاعفة مسـاعداتهم الماديـة للجنرال دينيكين ..

وفي صـيف عـام 1919 .. بـدأت قـوات ديـنيكين هجومهـــا على موســـكو .. وفي تشـــرين الأول (أكتــوبر) وصــلت إلى أوريــول وإلى مشــارف تــولا .. ولكن القــوات الســوفيتية شــنت هجومــا مضـــاداً خاطفـــاً على قـــوات الثـــورة المضـــادة المهاجمة .. وذلـك مـع نهايـة العـام 1919 وبدايـة العـام 1920 .. حيث التقت بــالحرس الأبيض في أوريـول وفـورونيج وروسـتوف .. على نهـر الـدون وشمال القوقاز وهزمتهـا .. كمـا تم تحريـر الجـزء

الأكبر من أوكرانيا .. وفي آذار(مارس) 1920 .. تم دحـر بقايـا قـوات ديـنيكن إلى القـرم .. حيث تـولى الجـنرال الروسـي الأبيض ورانجـل قيـادة قـوات الثـورة المضـادة .. وفي خريـف 1919 .. هزمت قوات الجنرال يودينيش في مدينة بترنغراد .. وفي بدايـــة العـــام1920 قطعت خطـــوط المواصـلات والتمـوين عن قـوات كولتشـاك في سـيبيريا .. وطـرد الجيش الأحمـر قـوات التـدخل الأجنـبي من الشـمال .. وحـرر منطقـة القوقـاز .. وفي نيسـان (ابريـل) من السـنة نفسـها .. اسـترد الجيش الأحمـــر أذربيجـــان .. وأرغمت الحركـــة الديمقراطية في أوروبا الغربية الاستعماريين على ســحب قـــواتهم ورفـــع الحصـــار عن الدولـــة السوفيتية .. وإن بقيت قوات اليابـان في الشـرق الأقصى حتى العام 1922..

وأحبط الجيش الأحمـر محاولـة بولونيـا السـيطرة على أوكرانيا وروسـيا البيضـاء .. وألحـق الهزيمـة بالقوات البولونية .. وإن فشل الجيش الأحمـر في احتلال العاصـمة وارسـو .. وسـارعت الحكومـة البولونيـــة إلى طلب الصـــلح مـــع الحكومـــة السـوفيتية .. وفي الـوقت نفسـه أحبـط الجيش الأحمر هجوما لقوات ورانجيل شـنته من القـرم .. وفي عـامي1921و1922 سـحق الجيش الأحمـر تمـــردات الحـــرس الأبيض والكـــولاك والعناصـــر البورجوازيـة القوميـة في كرونشـتادت ومنطقـة تـامبوف وأوكرانيـا والقوقـاز والشـرق لأقصـى .. وفي الخـــامس والعشـــرين من تشـــرين الأول

(أكتوبر) 1922 أتم الجيش الأحمر تطهير منطقة فلاديفوستوك ..آخر معقل لقوات التدخل الأجنــبي في روسيا.

وأثنـاء الحـرب الأهليـة الروسـية وحـروب التـدخل الأجنـبي .. بـرز العديـد من القـادة الموهـوبين من بين صفوف الجيش الأحمر.

وبانتهاء هذين الحــربين أخـذت الثـورة الاشـتراكية الروسية تدعم مواقعها في الـداخل .. وبـدأت في حياة البشرية صفحة جديـدة بترسـيخ أقـدام ثـورة اشتراكية في العالم.

***

في الختام .. أسئلة مرشدة في الثورات

ما الذي حرك الناس للثورة؟ .. المعاناة .. والوعي .. والإرادة ..
ما الذي من أجله تحركت الثورة؟ .. الحرية .. الكرامة .. العدالة .. ولن يجدوها إلا في الإسلام ..
ما الذي يجب أن تقضي عليه الثورة؟ .. القهر .. الاستبداد .. الكفر ..
ما الذي تهدف الثورة لإقامته؟ .. إقامة نظام يضمن لها كرامتها ويحقق لها طموحها واستقلالها وفق مرجعيتهم وأصالة هويتهم الإسلامية ..
ما الوسيلة التي تحرك الناس بها؟ وما الأدوات التي اعتمدوا عليها؟ .. اندفع الناس نحو الانتفاضة .. واستخدموا الأدوات السلمية من تظاهرات وإضرابات .. وهي لغة لا يعرفها العدو ولا تهز ضميره ولا تقلق باله .. بل على العكس ينسجم معها ويمكنه التعايش لفترة طويلة حتى تفتر وتذوب .. أو التحايل عليها والاستفادة منها للعودة مجدداً ..
ما الوسيلة التي يجب أن يتحرك بها الثوار؟ وما أدواتها؟ .. يجب التحرك بانتفاضة مسلحة منظمة معد لها مسبقاً وهذه الوسيلة ناجعة إن أحسن التدبير لها .. أو تحول الانتفاضة السلمية إلى انتفاضة مسلحة أو حرب عصابات وهذا التحول سوف يأخذ وقته للقضاء على النظام وتحالفه .. كما يحدث في سوريا اليوم .. والأدوات كثيرة منها أساليب العمل السري في المدن وتكتيكات العصابات في الأماكن الوعرة أو البعيد عن

سـيطرة النظـام .. وهـذا لا يمنـع من خـروج المظاهرات والإضـرابات وحـتى العصـيان المـدني الداعم لها .. وعوامل نجـاح هـذا النـوع هـو وحـدة الفكر والراية ..
في حـال نجـاح الثـورة مـا هي عوامـل استمراريتها؟ .. المنهج والمرجعية التي تتحرك بها .. مناسبة العمل مـع الـوقت .. إقامة نظـام جديـد بكامـل مؤسسـاته وعـدم الاسـتفادة من بعض المؤسسات القديمة إلا في أضيق صورة ممكنة .. إنشـاء وحـدات مسـلحة ووحـدات اسـتخبارية لا تنافس القوة العسكرية الأمنية من جيش وشرطة فقط بـل وتردعهمـا حـتى يتم إحلال بـديلا لهمـا .. ردع كل من تسول لـه نفسـه ممارسـة أعمـال أو أقوال تعطـل التغيـير الثـوري بحـزم وفـق معـايير سـليمة .. سـرعة محاكمة الفاسـدين من النظـام السابق سياسـيين أو اقتصـاديين أو غـيرهم وتوقيع العقوبـة عليهم وتنفيـذها بلا أي اسـتئناف وفـق محـاكم شـرعية أقامتهـا الثـورة .. القضـاء على المؤسسـات البيروقراطيـة في الدولـة خاصـة منظومـة القضـاء والإعلام ورجـال الأديـان المنحرفين ورجال المـال .. العامـل الرئيسـي في تماسك النظام واستمرار روح الثورة هـو الانطلاق بها نحو الأعداء الإقليميين ونحـو البعـد العـالمي .. وعدم حبسها في الـداخل .. فـالانطلاق يبقي على حيويتها وروحانيتها .. ويـديم لهـا قـوة انطلاقتهـا .. ويحافـظ على شـبابها .. ويمنـع عنهـا أغلب صـور التآكـل الـداخلي .. هـذا مـا جعـل الإسـلام يسـتمر

كإمبراطورية لأكثر من ألف وأربع مائة عام .. وهو ما لن تحظى به أي حضارة أخرى ..

***

والخلاصة في الثورات العربية:

هـذه الثـورات تم الـدفع والتحـريض عليها لتحـدث التغيير المنشود إلا أنه تم استعجالها للقضـاء عليها فكان المنتج ثورات عفوية ..

أما كونهـا عفويـة فلسـرعة وضـخامة الخـروج الشعبي في المنطقة بعـد انـدلاع الشـرارة الأولى وعدم التريث لإعطاء كـل قطـر الـوقت المناسـب لبروز مرجعية فكرية موحدة للثورة .. تتبلـور **أولاً** في نضـج سياسـي يفـرز لهـا قيـادات ومنظومـة سياسية يتمخض عنهمـا نظـام حكم يكـون ثمرتهـا المقبلـــة .. و**ثانيـــاً** يمنـــع عنهـــا ويحصـــنها من المتملقين والمتسللين والمنـافقين وعملاء النظـام السابق وجواسـيس الأنظمـة الغربيـة الـتي كـانت تقـف خلـف وكلائهـا المحلـيين .. و**ثالثـاً** يعـالج مسـتقبل أصـحاب الأمـوال الـذين أثـروا من خلال النظـــام الســـابق وتقـــف خلفهم مصـــالح دوليـــة وشـركات عـابرة للحـدود .. و**رابعـاً** يقضـي على الـذئاب النهمـة الـتي عاشـت على دمـاء شـعوبها ونـــالت من كرامتـــه .. هـــذه المرجعيـــة الفكريـــة

الموحدة لم تظهر في الثورات العربية .. لم تظهر حتى على مستوى حد أدنى بين الثوار .. فكان كل تيار يجذب الثورة في اتجاه .. وكلهم على فترات متباينة ترك قوة المد الثوري وراح يغازل القوة التي بدا أنها قد تعالج الموقف وتحسمه ولو بقوة دباباتها للتيار الذي يتنازل لها .. وضلت أحلام الشعوب طريقها إلى المستقبل وخمدت قوتهم الثورية بسبب تفاهة المتصدرين للثورة .. وإلى أن تجد الشعوب ضالتها المنشودة وسبيلها المستقيم عليها أن تتحمل وزر إخفاقهم وعليها أن تعالج **أولاً** ميلها بل ركونها إلى السلمية الخرقاء .. فالنظم لا تولد على الأسرة بين الملاءات والمعاطف البيضاء .. إنها ثمرة زواج شرعي بين الفكر والوقت تكتب مسيرتهما بالدماء والأشلاء .. وستظل الثورة مستمرة حتى تجد ما يوحدها ..

أما أنه تم استعجالها أو الدفع إليها فيرجع سببه الرئيسي إلى احتواء أجواء ما بعد الحادي عشر من سبتمبر من طرف .. ومن طرف آخر لاستثمار أجواء ما بعد الحادي عشر من سبتمبر .. ويقف خلف كل طرف فريقين متضادين:

أولاً الفريق الذي استعجلها ليجهضها يصطف فيه كثر منهم القيادة العسكرية التي رفضت أن يورث فيها الحكم .. ومنهم الأنظمة الغربية التي ملت من المجرمين الذين يمثلونها .. ومنها أصحاب الأموال والاستثمارات الذين ملوا من النظام الذي يبتزهم ويشاركهم في أموالهم .. وأيضا الهيئات

المالية الدولية الذين يتحكمون في اقتصاد الدولة ..

ثانياً على الطرف الآخر الفريق الذي دفع إليها بشكل مباشر أو غير مباشر كان يقف مباشرة خلف الثورات حالة البؤس التي تعيشها الشعوب من خوف وفقر وجوع وذل وقهر .. وكذلك الرغبة في الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية .. وعلى رمية حجر من ذلك وبشكل غير مباشر تنظيم القاعدة الذي استثمر تجربة جهاد المسلمين في أفغانستان وما تولد عنه من تداعي الاتحاد السوفيتي وانهياره وتحرر الدول التي سبحت في فلكه .. فسعت القاعدة لتهيئة هذا المناخ لشعوب الأمة الإسلامية بضرب الولايات المتحدة الأمريكية لإضعافها وتسريع انهيارها لتتجرأ الشعوب المسلمة وتثور وتتحرر من حكامها ..

وقامت الثورات العربية بين التحريض عليها واستعجالها وعفويتها .. وافتقرت لعوامل الربط بينها وبالتالي لم يُمكن لها ..

السلبية التي وقعت فيها القاعدة أنها اعتمدت على قدرة التيارات والجماعات الإسلامية في المنطقة وإمكانيتها في قيادة التغيير وقدرتها على استيعاب حجم المهمة والعمل على إعادة رص الصف الإسلامي واحتواء المترددين وإخضاع المعاندين .. ولم تبذل القاعدة جهداً كبيراً لتنسيق الجهود مع هذه التيارات والجماعات وتوضيح برنامجها لهم وحثها لهم على التحضير للحالة

الثوريـــة القادمـــة .. كمـــا أن هـــذه الجماعـــات والتيارات كـانت لـديها شـكوكها في قـدرة برنـامج القاعـدة على الوصـول إلى هـذه المرحلـة .. فلم تكتـــف – الجماعـــات والتنظيمـــات – بالســـكوت وموادعة النظام بل تنفلت بـالهجوم على القاعـدة وانتقاصها وانتقادها .. وكان الواجب على القاعـــدة في مسيرتها بعـد توكلهـا على ربهـا أن تنسـق مـع التيـارات الجهاديــة في المنطقــة ولا تــدع الأمــر يحدث وكأنه تطور طبيعي للمرحلـة الزمنيـة الـتي تعيشها الأمة ..

لماذا اعتمـدت القاعـدة على التيـار الإسـلامي في المنطقة ولم تنشأ مجموعاتها الخاصة في البلـدان الإسلامية .. أسباب كثـيرة أهمهـا محدوديـة كـوادر القاعدة فسيطر على فكرنا أن التيارات الإسلامية وكذلك الجماعات في المنطقة قد نضـجت وتـربى لهـا العديـد من الكـوادر وأنهـا سـتكون على قـدر المسؤولية وتستثمر الفرصة المتاحة لتحقيق مراد الله ..

ولكنا كنا مخطئين ..

ونسينا في غمرة الأحداث وسرعتها سنن اللـه في خلقه .. وفي قصة نبي الله موسـى عليـه السـلام مع فرعون وبني إسـرائيل الكفايـة .. فلقـد خضـع بني إسرائيل للقهر في مصر حتى تشربت قلوبهم بالـــذل والمهانـــة .. والعجيب أن القهـــر والـــذل والعبوديـة لم تقـودهم إلى التحـرر والاجتهـاد في كسر طوق الذل والعبودية بـل أثمـر عقلهم بـأنهم

يجب أن يتعايشوا مع هذا البؤس ومضـوا في درب اليأس حتى أعمل الفرعون فيهم الـذبح .. ورضـوا بـه! .. فـانتزع اللـه منهم وليـداً ليـتربى في قصـر الفرعون أبصر في القصر نـور الحريـة و الكرامـة والقوة والمنعة والريـادة وتـربى على العـزة الـتي افتقر إليها الشعب اليهودي فجاءت مسـيرته كلهـا وفقاً لكرامتـه وإحساسـه بـالعزة والقـوة والمنعـة وتـوجت بـالنبوة فقـاد قومـه إلى العـزة والحريـة وعـانى منهم الأمـرّين لتأصـل الـذل بهم ولهـذا لم يشأ الله لهذا الجيل اليهــودي أن يمكن في الأرض حـتى ينشـأ جيـل جديـد ولـد في الحريـة وتشـرب بالعزة .. فلينتبـه لـذلك في هـذه المرحلـة .. وقـد سـبق وبينت ذلـك في المقالـة الخامسـة بعنـوان (هذا الجيل .. وجيـل يوشـع بن نـون) من سلسـلة (يا ما في الجراب يا حاوي) فليرجع إليها ..

***

واليـوم على الأمـة إدراك الواقـع كمـا هـو عليه:

فعلى قيـادة الثـورة أن تـوازن بين حجم الاعتـداء الذي يمارسه العـدو ورد فعلهـا عليـه .. خاصـة إذا

أدركت أن العنصـر الإنسـاني منتفي عن العـدو .. العدو هـو [التحـالف بين العسـكر والبيروقراطيـة ورجال المال والدين ومؤسسات الإعلام والسـينما محليـاً .. اليهـود والكيـان السـعودي ودول الخليج إقليمياً .. والأمريكـان والاتحـاد الأوربي عالميـاً] .. لن يهتم العـدو بمشـاعركم ولا آلامكم بـل إنـه في قراره نفسه يضحك ويسخر لأنكم تتبعون مثالية لا وجـود لهـا في عـالم الصـراع .. وإذا قـدر يومـاً وخضتم في الـدماء لوصـموكم بالوحشـية والعنـف والإرهاب .. ولـو اعتـديتم بـالحرق يومـاً على أحـد مجـرميهم لقـامت الـدنيا ولم تقعـد رغم أن نظـام السيسي حرق المعتصمين بالمسجد والأبريـاء في سـيارة الـترحيلات ولم نـرى منهم أو نسـمع غـير تقليب الشـفاة .. فلم تصـرون على البقـاء محـل اسـتهزاء وضـعف وشـفقة والصـراع لا علاقـة لـه بـذلك .. هـل رأيتم منهم بـواكي على الأحـدث في مصـــر .. بـــل على العكس فالتحـــالف الإقليمي والمحلي كلاهمـا في بوتقـة الفعـل القاتـل سـواء بالنفس أو السـلاح أو المـال .. واكتمـل بينهم كـل معاني الموالاة من حب ونصرة وتعـاطف وتـراحم وتكافل وتعاون وكف كـل أنـواع الأذى والشـر عن الانقلابيين في مصر .. وعالمياً ما رأيناه كان صمتاً وتشجيعاً باطنياً للعسكر على سرعة القضـاء على الإرادة الشعبية .. لقد كفرت هذه الـدول وارتـدت عمـا تـؤمن بـه وخـرجت على مـا تـدعو إليـه وهي إرادة الشعب الحرة في اختيار نظامـه وحكامـه .. والحقيقة أنهم هم من دبر وخطط ودعم وأشــرف

على الانقلاب .. بل ذهبوا أبعد من ذلك فخالف بعضهم دستوره واستمر في دعم حكومة الانقلاب .. وأنكر الواقع وشوهوه وأضلوا شعوبهم بين متاهة هل هو انقلاب عسكري أم رغبة شعبية .. لقد تحالفوا جميعاً على ضرب أي إرادة شعبية أو إسلامية للتغيير .. ضرب أي إرادة تعطل عليهم مصالحهم أو تحد من مساحة سوق الخامات أو تسويق المنتجات .. ضرب أي إرادة تعمل على بناء بلدها ليتطور ويدخل مجال المنافسة العالمية ويحد من سيطرتهم على المنطقة وما بها من ثروات .. ضرب أي إرادة تقلق العدو اليهودي .. ضرب أي إرادة تشجع الجهاد وتعيد للمسلمين مفهوم الأمة وتحقق استقلالهم .. إنهم يريدوننا مسخ بشري يتبعهم في ما إليه يذهبون .. قال تعالى { وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ { 120}ـ البقرة .. هذا بالنسبة لمحمد ✈ .. أما بالنسبة لنا فلن يقبلوا بنا إلا عبيد لأطماعهم ونزواتهم .. وبوابين على شهواتهم .. وبالتالي فلماذا يحاول المشرفون والموجهون للانتفاضة أن يخاطبوا هؤلاء .. هم العدو .. ولماذا يحاولون إظهار تمسكهم بالسلمية معهم وهذا الأمر لا يعنيهم في شيء .. فالإنسانية وحقوق الإنسان هي كلمات جوفاء تستخدم للغش والخداع وحال توافق المصالح .. هم لا يعرفون غير لغة القوة .. والسلمية وسيلة فاشلة في تغيير موازين الصراع وتحقيق أي مكاسب واقعية .. هم لا يعرفون إلا

سياسة الأمر الواقع .. فمتى تتحرر إرادة الموجهين للانتفاضة باتخاذ قرارات أكثر حكمة وحزماً وفهما بالصراع؟ .. بل متى تتحرر الشعوب من هذا التوجيه الفاشل والمخدر وأن يخرجوا من متاهة السلمية؟ .. كما تحررت من التلبيس والخداع والتخدير الذي كانت تمارسه الحكومات عليهم .. عموماً طال الأمر أو قصر فستكفر مجموعات من الشعب بالسلمية وما أخشاه هو تحولها للقتال دون أن تكون اكتملت تنظيمها .. وما أدعوا إليه هو الصراع المنظم العاقل الذي يعمل بمشرط جراح .. فحيث يكون الإثخان فعليهم أن يثخنوا .. وحيث يكون الخطاب وإعطاء الفرص فعليهم أن يفعلوا .. أما مللتم من تجريب المجرب .. أما تعلمتم مما فعله جهاز المخابرات العسكرية بمصر .. إن السيسي وجهاز مخابراته وعسكره خالفوا المبادئ التي يظن الشعب أنهم يحمونها .. فانقلب على أسس نشأة أي جيش .. وتردى وجيشه في منهجه الأخلاقي .. وانحرفا عن مسارهما الطبيعي .. وبالتالي افتقرا إلى الحجة الدامغة التي لا تقوى على مواجهة المثل العليا .. وأخطر الحجج وأشد المناهج عليه هو المنهج الإسلامي وقوة حجته .. وعليه: فلا عوض عن الحرب لإسكات الحق وإخفاء الحقيقة .. ولا مكان للشرفاء وأصحاب القيم والمبادئ إلا في غياهب السجون .. ولا سبيل لبقاء النظام واستمراريته إلا بإفساد شعبه وإضلاله .. فإن نجح ببلوغ هذه الغاية فلا حاجة للتغيير .. فكلهم فاسدون .. نجح في

ذلك نظام (مبارك) المخلوع ويسعى على تعجـل إليه وبحماقات متكررة نظام السيسـي وزبانيتـه .. وفي حين سـتر نظـام مبـارك على الكثـير من أوراقه وكـان أكـثر سـرية .. جـاء نظـام السيسـي على النقيض وبوقاحة وجرأة وكأنه لا يبالي وفضـح كل المنتسبين إليه .. ولعله خـير .. فحماقتـه هـذه ستكون سبب رئيسي في القضاء عليـه وعلى كـل من ولاه .. فالشـر مرتعـه وخيم .. والجهـاد مـاض إلى يوم القيامة .. ومهما قتـل وأمـات فعزاؤنـا أن الله حي لا يموت .. وأنه سبحانه بالمرصاد .. وأنـه يمهل ولا يهمل .. وعلى هذا الأمل معقـود ثم على الجيل الجديد .. الـراغب في حيـاة نظيفـة تناسـب أحلامه وطموحه .. الذي تبين له شـمولية الإسـلام دعوة وجهاداً وسياسـة واقتصـاداً وأخلاقـاً وآدابـاً .. جيـل ينـتزع الحـق ولا يسـتجديه .. جيـل يطـير بجنـاحي الـدعوة والجهـاد .. جيـل دسـتوره قـرآن يهـدي وسـيف يحمي .. جيـل يُصـدق النبـوءات وتَصـدُق فيـه .. جيـل أسـامة بن لادن ورفاقـه الأبطال .. قال تعـالى { وَقَضَـيْنَا إِلَى بَنِي إِسْـرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِـدُنَّ فِي الأَرْضِ مَـرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُـوًّا كَبِـيرًا {4} فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَـا أُوْلِي بَـأْسٍ شَـدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَـانَ وَعْـدًا مَّفْعُـولاً {5} ثُمَّ رَدَدْنَـا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَـرَ نَفِـيرًا { 6} إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَـأْتُمْ فَلَهَـا فَـإِذَا جَـاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَـا دَخَلُـوهُ أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَـا عَلَـوْاْ تَتْبِـيرًا {7} عَسَـى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا {8} إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّـرُ الْمُـؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا {9} الإسراء ..

هذه المحاضرات وما يأتي بعد هي ثقافة تغييريه .. الهدف منها أن يخطوا المجاهدون بأقـدامهم فـوق أرض صـلبة وعلى بصـيرة .. لأن تجـارب التغيـير تجارب حية تتفاعل مع واقع متغير له خصوصيته .. وبالتالي يحتاج المتوغل فيه إلى علم بفهم ومهارة بفن .. والله منه أرجو لهم الهداية والتوفيق ..

***

تنويه:

كنت قد رتبت فصلاً سادساً لهـذا الكتـاب أسـميته وقفـات شـرعية أقـف فيهـا مـع أربـع موضـوعات أساسية وهي (من يستحق مسـمى الخـوارج هـل هم المجاهدون الذين يواجهون المحتـل ووكيلـه أو المرتد أم الخوارج هم الملوك الـذين خرجـوا على الخلافة العثمانية وقـادة الجنـد الـذين انقلبـوا على من اسـتخدمهم - مصـطلحات جديـدة تليـق ببعض التيارات الإسلامية كالسلفية العلمية أو الرافضـين للجهاد أو المنخرطة في أجهـزة أمن الدولـة يصـح فيها لفظ السلفية التعايشية أو مرجئة السـلفية أو منـافقي السـلفية - البحث في مسـألة الفـرق بين من أراد الحـق فأضـله ومن أراد الباطـل فأصـابه كـالفرق بين مرسـي والسيسـي - لا يصح إطلاق

قاعــدة من لم يكفــر الكــافر فهــو كــافر دون تفصيل) ..

وكنت أظن أنــه يمكن الانتهــاء من صــياغتها في حـدود الخمسـين صـفحة بحيث لا يطـول الكتـاب ويكون من السهل التفاعل معه .. فإذا بالموضــوع الأول يتجاوز المائة صفحة .. فـآثرت أن أدون هـذا الفصل في مذكرة منفصلة عن هـذا الكتـاب حـتى يتم إشباع نقـاش فقراتـه وتأخـذ بعـدها وتسـتوفي حقها .. والله الموفق ..

***

الفهرس

صور غلاف الخلفية

المهندس **محمد عطا** وإخوانه أبطال الحادي عشر من سبتمبر رحمهم الله .. من أبناء الأمة الإسلامية

القائد **شامل باسييف** رحمه الله .. من الشيشان

البطل **خالد الإسلامبولي** رحمه الله .. من مصر

البطل **همام البلوي** أبو دجانة رحمه الله .. من الأردن

الشيخ **محمد خليل الحكايمة** رحمه الله .. من مصر

الشيخ **أنور العولقي** رحمه الله .. من اليمن

الشيخ الأسير **سليمان بوغيث** فك الله أسره .. من الكويت

البطل الأسير **أبو زبيدة** فك الله أسره .. من فلسطين

البطل الأسير **أبو الفرج الليبي** فك الله أسره .. من ليبيا


يتناول الجزء الثاني من كتاب
الصراع .. ورياح التغيير
موضوع الثورة (السلمية والمسلحة)
ويستعرض بعض التجارب
ويطرق موضوع الاستراتيجية
ونسأل الله أن يكتب له القبول ..
ونأمل أن يكون إضافة إلى المكتبة الإسلامية ..
فالأمة في أمس الحاجة لثقافة الصراع
خاصة وهي في صراع دام لم يتوقف
عبر التاريخ ضد تحالف من الأعداء
الأمريكان واليهود والأنظمة الحاكمة
ومؤسسات الدولة الفاسدة
ورجال الأعمال والسينما
وللأسف بعض من ينتسب للسلفية
والعلم الشريف
ولا حول ولا قوة إلا بالله